

العدد الثاني

شباط (فبراير)

مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر

في فن العرو

ابحاث

العربي الانسان	الدكتور عبد الله عبد الدائم
العروض والشعر الحر	نازك الملائكة
في مؤتمر التضامن الاسيوي الافريقي	رئيف خوري
تيارات الادب المصري المعاصر	الدكتور محمد مندور
مكسيم غوركي	سلامه موسى
« في ازمة الثقافة المصرية »	الدكتور سهيل ادريس
التكليف الحضاري والفكر العربي	الدكتور محيي الدين صابر
نقد ابحاث العدد الماضي	سامي المدروبي
ضرورة ثقافية عاجلة	رجاء النقاش
رأي في كتابة تاريخنا	ذوقان قرقوط
الانسان المأساة في شعر نزار قباني	محيي الدين صبحي
المذريون والتصوف	احسان الملائكة
المدنية سراها وقيمتها	شريف الراس
النقد والشعر العراقي الحديث	عبد الجبار البصري

قصائد

اغنية انتصار لطروادة	يوسف الخطيب
توحيدة	مجاهد عبد المنعم مجاهد
المحروم	ملك عبد العزيز
الخوف	حسن فتح الباب
الساقى	زكي قنصل
فقدت ابنتي	ابراهيم محمد نجا

قصص

الشيخ حداد	عثمان سعدي
الميد للجميع	علي بدور
مغامرة	ادكار سركيس
انتيتسا	ترجمة نقولا طويل
التاج الجديد - مناقشات - الفنون العربية في شهر -	
النشاط الثقافي في الوطن العربي ...	

السنة السادسة ١٩٥٨

دار مكتبة الحياة الحية العالم العربي

معجم

مِثاق اللغة



موسوعة لغوية حديثة

للعلمة اللغوي الشيخ أحمد رضا

عضو المجمع العلمي العربي بدمشق

للمراسلة : دار مكتبة الحياة - للطباعة والنشر - بيروت - شارع سوريا - ص.ب. : ١٣٩٠

العدد الثاني

شباط (فبراير) ١٩٥٨

السنة السادسة

No. 2 Fev. 1958

6ème année

الآداب

مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر

بيروت

ص.ب. ٤١٢٣ - تلفون ٣٢٨٣٢

AL-ADAB REVUE MENSUELLE CULTURELLE

BEYROUTH, LIBAN B.P. 4123

Tél. 32832

رئيس التحرير

والنفس المستود

الدكتور سهيل إدريس

Rédacteur en chef et directeur

SOUHEIL IDRIS

العربي الإنسان

بقلم الدكتور عبدالله عبدالم

العربية . غير أنك تلمس في الوقت نفسه بؤسا ما بعده
بؤس ، وتلمس جموعا انسانية حرمت نعمة الحياة، وأقامت
تلتحف الشقاء وتجترع الموت البطيء .

وانت حين ترى هذين الواقعين ، واقع التوثب العربي
وواقع الفقر والبؤس ، تخرج بنتيجتين :

اولاهما أن الذي يستطيع أن يقضي على فساد الاوضاع
هناك هو هذا الشعور العربي الصادق . فهذا الشعور
الذي يحمله كثير من ابناء هذه المناطق ، والذي تجده حادا
صارخا عند بعض القادة الواعين ، هو الذي يثور دوما
ضد الفساد ويدعو الى القضاء عليه . وأنت تدرك أدراكا
بيننا أن عمق الشعور بالفساد وسوء الاوضاع ووطأة الفقر
يتناسب تناسباً طردياً واضحاً مع عمق الشعور العربي .

وكلما كانت الفكرة العربية اوضح لدى الذي تعرف ، كان
تحسسه بالآلام ابناء شعبه وبؤسهم انبل واصدق . ومن
هنا تدرك ادراكاً عميقاً أن المنفذ الاول لهذه الجموع البشرية
البائسة هو يقظة الشعور العربي ، ولا سيما في اوساط
القيادة . ومن هنا تلمس بالتالي كيف تكون الفكرة القومية
العربية سلماً طبيعياً للفكرة الانسانية ، وكيف ترقى من
الشعور العربي الى الشعور الانساني عن طريق تدرج حي .

بل أنت تدرك من وراء هذا كله المعنى الحي للفكرة
القومية العربية . فهذه الفكرة ليست كما يريد ان يصورها
بعضهم بناء نظرياً مصطنعاً او تركيباً عقلياً مقصوداً . انها
من حياة الشعب العربي وفي حياته . فواقع الشعب
العربي ، واقعه البائس ، يبعث الفكرة القومية لا محالة .
والفكرة القومية بدورها هي الوسيلة الوحيدة للقضاء على

كلما وعت الفكرة العربية القومية ذاتها أدركت عمق
منازعتها الانسانية في الوقت نفسه ، واستبان لها مضمونها
الايجابي .

ونحن اذا تركنا جانباً ماضي الامة العربية الذي اتحدث
خلال سطور تاريخه سورة النزعة القومية مع صفاء النزعة
الانسانية وخيرها ، وجدنا في واقع هذه الامة العربية
اليوم ما يحدثنا افصح الحديث عن الاهداف الانسانية
العميقة للنزعة القومية العربية .

ويتجلى هذا الغرض واضحاً جلياً اذا اطل ابناء العرب
الاطلالة الواجبة على دنيا العرب كلها ، أي اذا خرجت
الفكرة العربية من قوقعتها الضيقة التي أقامت فيها حتى
الآن ، قوقعة البلدان العربية التي نالت بعض الحظ من
التقدم . ومن طبائع الامور ان تصبح الفكرة أوعى لذاتها
اذا نظرت سائر وجودها ، وان تظل مقصرة عن مداها ما
دامت تظل على جانب من موضوعها دون جانب .

ففي دنيا العرب عوالم ما تزال مجهولة الى حد كبير من
العرب أنفسهم . وما تزال البلدان العربية المتقدمة فسي
معزل عن البلدان العربية المتخلفة . وهذه البلدان العربية
المتخلفة تحدثنا أبين حديث عن المعنى الايجابي الانساني
الذي تحمله الفكرة العربية الصحيحة . فهناك في أقاصي
الجزيرة العربية ، في الخليج العربي ، تثوي امارات صغيرة ،
فيها عبق العروبة الاصيل ، وان يكن هذا العباقرة مطموسا
الى حد كبير بسوء الاوضاع وفساد البيئة الاجتماعية .
في هذه البلدان العربية النائية المعزولة ، تجد العربي في
صفائه وايمانه وشممه ، وتجد التوثب العربي والعزة

هذا الواقع البائس . وتكاد لا تلقى متحسسا بفقر شعبه
ويؤسه الا وتلقى وراء هذا التحسس . وبسببه ومن أجله ،
تحسسا بالعروبة والفكرة القومية . ولهذا أخذنا نلمس في
البلدان العربية تقاربا طبيعيا بين الذين بدأوا من رؤية
البؤس والفقر وظنوا ان القضاء عليه يمكن ان يكون عن غير
طريق الفكرة القومية ، وبين الذين بدأوا من شعور عربي
قومي خلو من المضمون الايجابي في كثير من الاحيان .
فرؤية البؤس والثورة على البؤس قادت الفريق الاول الى
جذوره ومنابعه وقوتها لديه الاحاسيس العربية ، فاذا به
يدرك ان الفكرة القومية هي الوسيلة الوحيدة للقضاء عليه .
والشعور العربي العاطفي الخالص ، ما لبث حتى قاد الفريق
الثاني الى محتواه الحقيقي وتكاملته الطبيعية ، الى تحميله
معنى النضال ضد الاوضاع الاجتماعية الفاسدة .

ويقين أن وعي الواقع العربي من قبل ابنائه لا بد أن يقود
يوما بعد يوم الى عمق الايمان بالوحدة التامة بين الفكرة
العربية والعدالة الاجتماعية ، بين القومية والانسانية . وهل
ادعى الى اهتزاز عروق العروبة وأعصابها من ان ترى بألم
عينك طفلا في قرية نائية من قرى « قطر » العربية ، يقرأ
امامك العربية ويحفظ كتابها الاكبر ويردد من احاديث
رسولها ، ويكتب حروفها لا يسعفه في ذلك كله الا جسم

هزيل بأئس ، وفيم جائع . وعينان اضواهما الرمد ؟ هل
ادعى الى استيقاظ القومية والانسانية في نفسك في آن
واحد ودفعة واحدة ، من ان تشهد من خلال هذا العربي
المعدم نور العلم وبريقه يتفتح لينقذه ويرده انسانا سويا ؟

اجل ، انك لتدرك ادراكا حيا حارا أن مثل هذا الفتى
لن ينقذه الا عربي شعر بوشائج القربى معه واهتز للفئة
العرب تخرج من فمه المتعب ، وأدرك أن وراء هذه الاسمال
البالية والجسد الضنك روحا وثابة قد تحمل معها عبقرية
« عمر » او بطولة « عبد الناصر » . ولن يراودك الشعور
في لحظة من اللحظات أن انقاذ مثل هذا الفتى والتحسس
بآلامه قد يأتيان على يد غريب عن العروبة ، مهما تكن
مشاعره الانسانية عريقة سامية . أرايت الى ذلك الابن
الضعيف الذي تحمله أمه وتزيد في عنايته لضعفه ولما
يشكو من عاهات ؟ قد تراه غير امه فترى انه غير جدير
بالحياة ، وقد تتمنى موته . أما أمه فعنايتها به بسبب
ضعفه ، وأملها فيه أقوى ، لانها تريد ان تنقذه من ضعفه .

وكثيرا ما تتخيل في رأسه الهزيل بطلا او عالما . كذلك ابناء
العروبة : ان هزيلهم يزيد في حماسة العربي لانقاذه ، وقد
يراه الغريب عن العروبة غير جدير بالحياة ، وقد يرى من
الانسانية تخليص الانسانية منه . ان الشعور الانساني
جزء لا يتجزأ من الشعور القومي . والانسانية ان لم تغتذ
بالفكرة القومية التي تهب لها مضمونها ، ضلت ذاتها ،
وانجرفت الى نقيض الانسانية ، واتخذت من انسانياتها
ذريعة تبيح لها القيام بأعمال غير انسانية ، وادعت أن في
وسعها تحقيق الانسانية ولكن على انقاض الانسانية
وأشلائها . أفلا يزعم بعض من يدعي الانسانية في فرنسا
أن تقتيل شعب الجزائر يستهدف أنبل غاية انسانية ، الا
وهي نقل الحضارة الغربية الى تلك البلاد ؟ ألم يقل قائلهم منذ
الايام الاولى من احتلال الجزائر ان هدف مقامهم هناك
تحضير شعب الجزائر ونقل المدنية اليه ، وان اقصر طريق
لتحقيق هذه الغاية هي انبل طريق وأشرفها ! وما دامت
اقصر طريق هي الحرب والقتل ومقاومة ابناء البلاد الذين
لا يفقهون خيرهم ، فلتكن الحرب وليكن الدمار ! أفلا يدعي
اكابرهم اليوم أن الهدف من استخدام القوة في الجزائر
هو الوصول الى السلم والسلام ؟

اما النتيجة الثانية التي يخرج منها المتأمل لواقع الشعب
العربي في هذه البلدان المتخلفة خاصة فهي ان الفكرة
القومية العربية لا يمكن ان تكون صادقة مع نفسها ان ظلت
في نطاق البلدان العربية التي نالت بعض الحظ من التقدم .
فالفكرة العربية الحققة اما ان تكون شاملة واما لا تكون .
وعمق الشعور العربي ، كعمق عاطفة الام ، يتجلى في
الاهتمام بالمتخلف قبل المتقدم ، وبالهزيل قبل القوي . ولا
نتجنى على الفكرة القومية العربية ان قلنا انها ما تزال غالبا
تبحث الامور على الصعيد المحلي لا على الصعيد العربي
الواسع . وهي رغم محاربتها للنضال الاقليمي ، ما تزال

تاريخ الفلسفة العربية

بقلم

هنا الفاضل
مؤسس كلية لبنان

خليل الجري
دكتور في الفلسفة

كتاب جديد يتناول بالبحث الرصين ، والتحليل
الوافي ، جذور الفلسفة العربية ، وهم مدارسها
وأشهر رجالها بالاستناد الى أحدث
المصادر ، وفي النصوص المحققة

يطلب من
دار المعارف - بيروت

بنية العليبي - السور - ص ٢٦٧٦ - تلف ٢٧٥٧٤

ومن جميع المكتبات الشهيرة

منجرة اليه . وقد يكون لها بعض العذر في ذلك ، اذ ما تزال في حاجة الى العمل التدريجي . غير أننا نعتقد أن ليس لها العذر كله ، وأنها لا تقوم بما يمكن أن تقوم به تجاه سائر البلدان العربية ، ولا سيما البلدان العربية النائية المتخلفة .

أن هذه البلدان العربية النائية تحن الى اخبار العروبة حنين الارض الجدية لماء السماء ، وأن قليلا من اهتمام البلدان العربية الاخرى بها ، وعلى رأسها البلدان العربية المتحررة ، ليعت فيها حياة جديدة وقوة جديدة . وغني عن البيان أن هذه البلدان العربية المتخلفة لا تستطيع أن تنهض من كبوتها وتتخلص من عقاب بؤسها وتنال حريتها الا اذا نهضت بها البلدان العربية التي سبقتها في ميدان التطور . ولا يجوز في حال من الاحوال أن تظل صلة البلدان العربية الاخرى بهذه البلدان المتخلفة مقصورة على نزوح بعض الافراد القلائل الذين يأتون للارتزاق غالبا بل كثيرا ما يراودهم الاستثمار والاستغلال . ولا بد أن تكون هذه الصلة صلة واعية مدروسة ، تقدم فيها البلدان العربية الناهضة وسائل التقدم والنهوض لهذه البلدان العطشى .

★

وبعد ، لقد ظهرت رسالة الاسلام في واد غير ذي زرع ، في قلب صحراء كانت تعاني من التخلف والبؤس ما تعاني . واختار الاسلام لرسالته اولئك العرب الاعزة في اطمارهم البالية . ذلك أن رسالة الاسلام الانسانية ، كان لا بد لحملها من مثل هؤلاء القوم الذين ينزعون بحكم وجودهم البائس الى أسنى المثل والمعاني الانسانية ، كما ينزعون بفطرتهم الى العزة والشمم . وليس من قبيل الصدفة أن يخاطب عمر بن الخطاب من يخلفه قائلا : « وأوصيك بالعرب خيرا فانها مادة الاسلام . » فمادة الاسلام قائمة في قلوب اولئك القوم الذين كانوا « خير أمة اخرجت للناس » ، والذين نراهم ، بحكم ذلك الازدواج القائم في حياتهم ، نعني ابناء العربي وبؤسه ، يمزجون بين أعماق معاني القومية وأنبل مشاعر الانسانية . وهذا الازدواج تقرأه في اعماق صورته اليوم في البلدان العربية المتخلفة التي نتحدث عنها . فنحن ما نزال نرى الروح العربية الكريمة عزيزة قوية لدى أناس لا يملكون من النعم الا ذمائها ولا يعرفون من طراوة العيش الا قسوته ، ما نزال نقرأ لدى هذه الشعوب المعاني التي عبر عنها مثل المتنبي حين قال :

وانا لمن قوم كأن نفوسهم بها أنف أن تسكن اللحم والعظام
ولن يقدر للفكرة القومية العربية اليوم أن تحمل كامل
رسالتها ما لم يتصل الماضي بالحاضر ، فتنبت الحياة في
الصحراء موطن العروبة الاول ، وينطلق مرده البادية
يحملون ايمانهم ويحطمون أغلالهم .

عبدالله عبدالنائم

الدوحة - قطر - الخليج العربي

● مقاييس الجمال في العصر الجاهلي ، في صدر

الاسلام ، في العصر الاموي والعصر العباسي ..

الجمال في المغرب والاندلس .

● العرب والجمال .. مقارنة بين جمال الطبيعة

وجمال الحضارة ... بين جمال الجسم وجمال

الروح .

● جسم المرأة تحت المجهر .

● والفاظ من لغة الجمال

كلها

في كتاب

جمال المرأة عند العرب

للدكتور صلاح الدين المنجد

مع اجمل ما قيل من الشعر في اوصاف المرأة

في مؤتمر التضامن الأفريقي الآسيوي بقدم رئيسه هنري

من السخف أن نتجاهل وجودهما ، كما أننا لا نتجاهل الولايات المتحدة الأميركية أو المملكة المتحدة البريطانية أو غيرهما ، بل نقف من هذه الدول جميعاً موقفاً بعيداً عن السلبية حين يتسع فهمها لحقوق العرب والشعوب عامة. في الاستقلال والسيادة والتحرر والتقدم . ولقد أيد المؤتمر شعب الجزائر في نضاله للتحرر من الاستعمار الفرنسي وكل استعمار ، وأيد مطالب الشعب اليمني في عدن والمحميات ، ومطالب البحرين والخليج في الاستقلال ، وصرح بحق العرب في خليج العقبة لأنه مياه عربية إقليمية ، ودعا إلى وجوب وقف الحرب العدوانية في عمان ، وإلى تمكين المغرب من استرجاع جميع مناطقه التي ما زال يسيطر عليها الاستعمار . وذلك كله كسب معنوي لقضايا عربية حيوية ! كسب كبير ما كنا لنفوز به لولا هذا المؤتمر ولا كانت تلك القضايا العربية الحيوية لتطرح على الشعوب بوصفها قضايا ملحة تتصل بالتحرر والسلام العالمي أوثق اتصال .

أما قضية فلسطين - القضية التي لا تمكن المبالغة في مقدار خطورتها ! - فإن الوفود العربية قد أحرزت انتصاراً كبيراً حين أقنعت المؤتمر بأن يتخذ في موضوعها هذه القرارات بالاجماع :

« ١ - يتبنى المؤتمر التقرير المرفق من وفد فلسطين عن هذه القضية .

٢ - يعلن المؤتمر أن دولة إسرائيل قاعدة استعمارية تهدد تقدم الشرق الأوسط وسلامته ، ويدين سياستها العدوانية التي تكون خطراً على السلام العالمي .

٣ - يؤكد المؤتمر أن حقوق العرب في فلسطين ، ويعلن عطفه على اللاجئين الفلسطينيين ، ويؤيد جميع حقوقهم وعودتهم إلى وطنهم . »

ونحن من أبعد الناس عن التقليل من قيمة هذه القرارات وما تضمنت من الحكم على إسرائيل حكماً قاطعاً في مصلحة العرب . وما نحن ممن يعتبرون أن عروبة فلسطين يمكن أن تخدمها الزيادة في الكلام .

ومع ذلك ، أننا لا نجد السبيل إلى موافقة الذين يعتبرون هذه القرارات - على عظم أهميتها - توضح القضية الواضح الذي ينفي كل إمكان للغموض والابهام .

فدولة إسرائيل هي في وجودها ثمرة عدوان . إنها قامت حيث تقوم ، بهجرة مصطنعة هيأ لها الصهيونيون تحت ظل استعمار تنعم بحمايته ، وبحراب هذا الاستعمار احتلت أرضاً في فلسطين وشردت مليون لاجئ عربي ، اقتلعتهم من أرضهم وبيوتهم اقتلاعاً . ولا عبرة بهذا الحق التاريخي الذي تذرعت به إسرائيل . فالعرب الذين عربوا فلسطين منذ ثلاثة عشر قرناً لم يأخذوها من إسرائيل . ثم لا

مؤتمر تضامن الشعوب الآسيوية الأفريقية الذي عقد في مدينة القاهرة بين ٢٦ كانون الأول ومستهل كانون الثاني كان تعبيراً رائعاً عن عمق الأمان التي تخفق بها جوانح أكثر من ثلثي البشرية . ذلك بأن هذا المؤتمر العظيم قد ضم وفوداً كبيرة ، رسمية وغير رسمية ، تمثل ستاً وأربعين دولة ، يقطنها أكثر من ألف وخمسمائة مليون إنسان ! واتفقت كلمة هذه الوفود جميعاً على بيان باسم المؤتمر أيدت فيه مبادئ باندونغ العشرة ، وعلى نداءين يطالبان الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الأميركية والمملكة المتحدة البريطانية وعلماء العالم أجمع ، بتحريم الأسلحة الذرية . وفي الوقت نفسه اتفقت هذه الوفود على مقررات وتوصيات ، سياسية واقتصادية واجتماعية وعملية وثقافية ، وعلى إقامة هيئة دائمة تتخذ اليوم مركزها مدينة القاهرة ، وتسعى لتنفيذ مقررات المؤتمر وتوصياته .

ولن نعد هنا إلى سرد تلك المقررات والتوصيات الخطيرة التي انتهى إليها المؤتمر باجماع الوفود بعد مناقشات حرة طبقت فيها أساليب الديمقراطية . فقد تناقلت هذه المقررات أكثر من صحيفة سيارة ، ولكن حسبنا أن نقول أن هذه المقررات والتوصيات انصبت كلها في اتجاه واحد هو إرساء السلام والتفاهم العالميين على دعائم ثابتة ، وإلغاء الاستعمار والعدوان والاضطهاد في أيما صورة ، وإطلاق سبل الحرية والسيادة والتقدم لجميع الشعوب . وهكذا يصبح من الحق أن نقول أن هذا المؤتمر حين عبر عن آماني ثلثي البشرية أعرب في الوقت نفسه عن آماني البشرية بأسرها .

وإذا كان هذا المؤتمر لم يسلم من الحائقين فإن هؤلاء لم يوفقوا إلى شيء سوى الكشف عن مدى تضاييقهم من كل خطوة تخطوها الشعوب في سبيل الخلاص منهم . . . وطبعي ، أن تكون القضايا العربية رأس ما يعيننا من هذا المؤتمر ومقرراته وتوصياته .

لقد أثبت هذا المؤتمر أن القومية العربية ، وفي طبيعتها مصر ، أصبحت قوة فاعلة في السياسة العالمية ، وأن القومية العربية ، ومصر في طبيعتها ، غير معزولة ، بل هي واجدة أصدقاء أقوياء في هذا المنهج الذي تنهجه ، أي : التحرر والحياد الإيجابي . فلا طوق خائف بعد اليوم ! وغبنا تبويق الأبواق بأن المؤتمر شيوعي سيطر عليه تمذهب معين . فالمبوقون أنفسهم يعلمون بأنهم كاذبون ، ولذلك ضعفت أصداء أبواقهم في النفوس . ويعلمون أننا لسنا نحن المسؤولين - أن كان ثمة من مسؤولية - عن وجود الاتحاد السوفياتي والصين الشعبية وغيرهما ، وأن

راوا . من الواجب ان يتبعوا سياسة انقاذ لما يمكن انقاذه من ثمار عدوانهم السابق .

ولا يبعد ان تكون هذه بالذات هي خطة اسرائيل ، ففي الوقت الذي تشتت فيه بالمناطق التي احتلتها وراء خطوط التقسيم ، توغز الى اصدقاتها ان يجسوا النبض بشأن تسوية تنازل فيها عن هذه المناطق - يا للتساهل والكرم - وتكسب صلحا مع العرب او اقرارا بشرعية وجودها ، وهو نهاية ما تطمح اليه .

اننا نصر على المطالبة بتصفية اسرائيل ولا مندوحة لنا عن المطالبة بتصفيتها ، لتقوم مقامها دولة عربية لفلسطين الموحدة ، تعاد اليها اجزاؤها المفصلة ويعاد اليها عربها المشردون ، مع من شاء من العرب ان يقطنوها لانها بعض وطنهم الكبير . ذلك هو الحد الأدنى الذي يمكننا قبوله . ذلك هو الحق المعتدل الذي نتمسك به ، ونتمسك باعادة النظر في هذه الهجرة المصطنعة التي تدفقت على فلسطين في سبيل تجميع كثرة اسرائيلية فيها .

ونبقى هذا كله واضحا نصب اعيننا . فنهتف به عاليا في مسمع الدنيا كلها لاننا نرفض ان نتهم يوما بالعدوان ونحن لسنا بمعتدين .

ونعتبر ان هذه القضية حياتية لا بالقياس الى الشعب العربي الفلسطيني وحده ، بل بالقياس الى القومية العربية جملة . فبقاء دولة في فلسطين ، اي دولة تتخذ صفة اسرائيل ، لا تؤذي الشعب العربي الفلسطيني وحده اذ في الصميم ، وانما تؤذي القومية العربية كلها ، اذ تفسد عليها وحدة ارضها ، وبالتالي تفسد عليها استكمال استقلالها وسيادتها وتحررها ووحدتها .

ان اسرائيل كيفما دارت الامور هي اسفين تشق بمجرد وجودها الوحدة العربية . وليس هذا بالذي يرضاه اي حر يؤمن بحق القوميات ان تسعى الى استكمال نمو ذاتها بالوحدة .

لا ذنب للعرب اذا كانت فلسطين قد خرجت عن ان تكون اسرائيلية منذ نحو من الفي سنة ، اي قبل ان يظهر العرب على مسرح التاريخ العالمي بزمان طويل . ولا لوم على العرب اذا رفضوا ان تقوم في فلسطين دولة لاسرائيل في القرن العشرين ، دولة تشردهم من وطنهم ، دولة تريد ان تلفق بالهجرة المصطنعة وبمحض الرابط الديني قومية عادمة الاساس .

ان مؤتمر التضامن الاسيوي الافريقي قد اعلن باسم اكثر من ثلثي البشرية ان دولة اسرائيل قاعدة استعمارية ذات سياسة عدوانية ، وطالب بحق اللاجئين العرب ان يعودوا الى وطنهم .

وليس هذا بالقليل .

ولكن دولة اسرائيل ، مع ذلك ، دولة غير شرعية ، وللعرب وعلى العرب ان يصفوها دون ان يحسبوا معتدين . وفي رأينا انهم لا تعوزهم الامكانات لتحقيق هذا المطلب الحيوي من مطالبهم القومية .

رئيف خوري

عبرة بالذريعة الانسانية التي تستغلها اسرائيل ، وهي ان ذاقوا من الوان الاضطهاد في العالم ، ولا سيما في المانيا الهتلرية ، ما اوجب هجرتهم الى فلسطين وانشاء دولتهم فيها . فاضطهاد اليهود في المانيا الهتلرية لا يبرر الاضطهاد الذي حل بالعرب من جراء اسرائيل . ان رفع الضيم عن شعب - اذا صح ان هذا هو القصد ، وليس هذا هو القصد - لا يبرر ابدا تحويل ذلك الاضطهاد الى شعب آخر والتنكيل به افطع تنكيل .

اذا ، فدولة اسرائيل هي في اصل وجودها عدوان سافر لا يتحمل ادنى تمخل للاعداء . وذلك يعني ان وجود اسرائيل غير شرعي ، ولا يمكن في حال ، ان يكتسب طابعا شرعيا الا برضى العرب ، وهو مستحيل .

وكون اسرائيل قاعدة استعمارية وذات سياسة عدوانية ، انما هو نتيجة لاحقة لهذه الحقيقة الاساسية لان وجود اسرائيل في اصله ثمرة عدوان وغير شرعي .

وهذا المعنى يحتمله نص المقررات التي اتخذها المؤتمر ، لكنه لا يضمنه بالضرورة . فالدولة قد تكون في وقت قاعدة استعمارية ، وقد تسلك في وقت سياسة استعمارية الا ان ذلك لا يجعل اصل وجودها غير شرعي . بل يقضي بمطالبتها ان تكف عن سياستها العدوانية ، وان ترفض ان تكون قاعدة استعمارية ، فان فعلت ، ان تغيرت طبيعة هذه الدولة نتيجة انقلاب داخلي او انتخابات نيابية او هزيمة في حرب ، لم يجادل احد في حقها ان توجد . تلك دولة تركيا مثلا . انها اليوم قاعدة استعمارية . وهي تحاول ان تمارس بازاء الجمهورية السورية والعرب سياسة عدوانية صريحة . لكن اذا امسكت تركيا عن ان تكون قاعدة استعمارية ، وعدلت عن السياسة العدوانية ، فمن ذا يجادل الانراك في حقهم ان يعيشوا في وطنهم ، لانه حقا وطنهم منذ اكثر من خمسة قرون ، وان يقيموا في هذا الوطن دولة قومية لهم ؟

لكن ليس هذا هو الواقع في امر اسرائيل ... لقد اندر الاتحاد السوفياتي قادة هذه الدول بانهم يتلاعبون بمصير الشعب اليهودي . وقادة هذه الدولة ، اي الصهيونيون ما برحوا حقا يتلاعبون بمصير هذا الشعب .

فماذا يكون الموقف اذا كان للانذار السوفياتي ولوثة القومية العربية ، اثرهما ، فازيح القادة الذين يتلاعبون بمصير الشعب اليهودي ، وبرز قادة يرون من المصلحة ان لا تعير اسرائيل نفسها قاعدة للاستعمار او اداة للعدوان . ووافقوا حتى ان يعود بعض العرب المشردين الى وطنهم . فهل تصبح دولة اسرائيل شرعية ؟ كلا ، والف كلا !

نحن لسنا من الذين يقولون بالانتقام من اليهود واضطهادهم . بل نحن نحارب هذه الفكرة باعتبارها غير انسانية ، وباعتبارها تسيء الينا قوميا . ولكننا نرفض حق الصهيونيين ، وحق اليهود ، وحق غيرهم ، ان يتدفقوا الى ارضنا تحت حماية الاستعمار ، ويشردونا عنهما ، ويقيموا لهم دولة فيها ، ويواجهونا ويشردونا عنها . عن الاستمرار في عدوانهم اذا اصبح مستحيلا عليهم ، واذا

العروض والشعر الحر

بقلم نازك الملائكة

وقد كان لهذه الحقيقة البسيطة نتائج غير سارة فسي شعرنا الحديث ، فكان الشعراء يلتصقون ببحر من البحور الستة سنوات ويلوكونه في قصائد كثيرة حتى يتساح لواحد منهم ان يكتب قصيدة مشيرة في بحر آخر فيشيع ويحل محل الاول ، وهكذا كان البحر الاثير خلال السنوات ٥٠ - ١٩٥٤ هو (الكامل) ثم اختفى في السنتين الماضيتين وبرز في مكانه بحر (الرجز) وكثر كثرة عجيبة حتى لم يعد المرء يجرؤ على استعماله خوفا من الوقوع في الرتابة . اما في هذا العدد من الآداب فان البحر الذي يتصدر هو (الخبب) الذي كتبت به أربع قصائد من مجموع عشر . يليه الرجز الذي كانت منه ثلاث قصائد . ولعل في هذا أرهاضا بمستقبل للخبب يقدمه على الاوزان الستة . .

وسيكون منهجنا في نقد القصائد ان نعدها بمجموعها محصولا جماعيا ، بمعنى انه يمثل جماعة لا افرادا ، وقد يكون مضمون هذا أننا نفتقد الروح الفردية في القصائد اجمالا ، وذلك حتى في قصيدة الشاعر الموهوب نزار قباني الذي اعتدنا منه الابداع الدائم والخصوبة التي لا تنضب ، فلا ريب في ان هذه القصيدة دون المستويات العالية التي يصلها خط الابداع عنده ، وقد بحثنا فيها عن نزار الاصيل الذي نعرفه فلم نجده الا في لمسات هنا وهناك تختنق خلف الاشطر المرصوفة والايات المنظومة .

- ١ -

التفعيلات وتشكيلاتها

الظاهرة العروضية التي تلفت النظر في هذه القصائد الحرة ان بعضها يقدم تشكيلات (١) تفعيلية غير متجانسة مع ان القانون الاول في الشعر الحر انه يركز الى وحدة التفعيلة التي لولاها لم يستطع الشاعر ان يتحرر من نظام الشطرين القديم . والواقع الذي لا مفر للشاعر من مجابهته ان اللحظة التي تقحم فيها تفعيلة غريبة على النموذج هي لحظة تقضي على الحرية وتعيد الشعر الى قيوده القديمة . ولعلنا حريون بان نلتفت الى ان الشعر القديم انما كان مقيدا لا حرا لان ابحره ارتكزت الى اكثر

لعله شيء لا ريب فيه ان كثيرا من الشعراء الذين تلقوا الدعوة الى الشعر الحر في حماسة لا يعرفون حتى الان الغرض منها . ان بعضهم يخالط بينها وبين الدعوة الى تجديد الموضوع في القصيدة العربية ، وبعضهم يرى ان غايتها الوحيدة هو تثبيت دعائم ما يسمونه بالواقعية في الشعر . ولئن كنا لا ننكر ان هذه الظنون وامثالها قد لا تتعارض مع طبيعة الشعر الحر ، فنحن نلح مع ذلك على التذكير بان اصطلاحنا « الشعر الحر » يتناول الشكل الموسيقي للقصيدة ويتعلق بعدد التفعيلات في البيت ويعني بترتيب الاشطر والقوافي واسلوب استعمال التدوير والزحاف وغير ذلك مما هو قضايا عروضية بحتة . والحق اننا ، مع الشعر الحر ، بازاء دعوة الى دراسة الامكانيات التي تقدمها ابحر الشعر العربي الستة عشر للشاعر المعاصر الذي يهيمه التعبير عن حياته في حرية وانطلاق . وما لم يدرك الشاعر العربي خطورة موقفه في هذا المفرق الموسيقي من تاريخ الشعر العربي ، ومدى ما يمكن ان يسقط فيه من اغلاط ذوقية وعروضية وهو يندفع ، فان حركة الشعر الحر تقترب يوما بعد يوم من نهاية مبتدلة لا نحب ان تصير اليها .

وانه ليخيل لمن يراقب ما تنشره الصحف الادبية من هذا الشعر ان شعراءنا يتناولون الاوزان الحرة ويلعبون بها كما يلعب طفل غير مسؤول بحزمة اوراق مالية عالية القيمة . انه فرح بملمسها الناعم ، بخشخشة ورقها ، بالوانها ورسوها . انه يكدها ويدعكها ويبعثرها ويمزقها ثم يقف متفرجا ، منتشيا بما صنع ، غير منتبه الى ما بين يديه من ثروة . ولن ينكر احد ان في ابحر الشعر العربي امكانيات موسيقية غنية في وسعنا ان نستخرجها اذا نحن كففنا عن اللعب بالتفعيلات وصفها وتلويينها وبعثرتها على اسطر متتالية فارغة من المعنى . والحق انه اذا كانت ثمانى سنوات من الشعر الحر لم تصح شعراءنا من السكر الاولى التي جاءت بها فرحة الحرية فان الامر لا يبشر بالخير الكثير . وبعد ، فقد نظرت في قصائد عدد ديسمبر ١٩٥٧ من مجلة « الآداب » فوجدت تسع قصائد حرة الاوزان من مجموع عشر . ومن هذا يبدو ان حركة الشعر الحر قد جرفت الشعراء حتى انستهم ان الاوزان الحرة لا تصلح للموضوعات كلها ، وانها بطبيعتها تجابه مجالا ضيقا من جهة ابحرها كما سبق لنا ان ذكرنا في مقال عنوانه « حركة الشعر الحر في العراق » وهذا لانها تقوم على ستة ابحر وحسب من الابحر العربية الستة عشر .

(١) لا نجد كلمة اخرى تعبر بها عن النموذج الذي يختاره الشاعر لقصيدته في ترتيب التفعيلات مما يكون بمجموعه الشطر في القصيدة الحديثة . ان القدماء من العروضيين قد اطلقوا الكلمات العامة « بحر ، مشطورات ، مجزوءات .. » وكلها لا تفي بغرض الناقد الحديث الذي يجابه به شعرا حرا تنوع اطوال اشطره . ونحن نختار كلمة « تشكيلة » موقتا ريثما يتم الاصطلاح على كلمة انسب .

مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني

بيروت شارع سوريا ص.ب. ٢١٧٦ • تلفون ٢٧٩٨٣

حضرات مديري المدارس والاساتذة المحترمين
قبل ان تقرروا كتبكم المدرسية للعام الدراسي المقبل
نرجو ان تطلعوا على سلسلات الكتب المدرسية الآتية :

سلسلة الجديد في القراءة العربية: جزءان لروضة الاطفال
خمس أجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي (الشهادة الابتدائية)

سلسلة الجديد في الادب العربي: أربعة أجزاء لمرحلة
التعليم الابتدائي العالي (الشهادة التكميلية) - جزءان
لمرحلة التعليم الثانوي (البكالورية)

سلسلة الاشياء والعلوم الجديدة: خمسة أجزاء لمرحلة
التعليم الابتدائي

سلسلة التربية الصحية في المدارس: جزءان لمرحلة
التعليم الابتدائي والثانوي

السلسلة القصصية لطلاب الادب: ثلاثة أجزاء يحكى
عن العرب والادب القصصي عند العرب
تاريخ لبنان الموجز: تأليف فواد افرام البستاني والدكتور
اسد رستم

سلسلة القواعد العربية الجديدة: ثمانية أجزاء لصفي
الشهادة الابتدائية والتكميلية

سلسلة الجديد في الجغرافية: ثمانية أجزاء لصفي
الشهادة الابتدائية والتكميلية

Mon Nouveau livre de Lecture et de Français

جزءان لمرحلة الروضة - خمسة أجزاء لمرحلة التعليم
الابتدائي (الشهادة الابتدائية)

Mon Nouveau livre de Grammaire

أربعة أجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي (الشهادة الابتدائية)

The New Direct English Course

أحدث سلسلة لتعليم القراءة الانكليزية - جزءان لمرحلة
الروضة - أربعة أجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي

The New Direct English Grammar

أحدث سلسلة لتعليم قواعد اللغة الانكليزية في ثلاثة
أجزاء

الخطوط العربية الجديدة في خمسة أجزاء لتعليم الخط
العربي

خمس أجزاء لتعليم الخط الانكليزي

New Script and Cursive Handwriting :

خمس أجزاء لتعليم الخط الافرنسي

La Nouvelle Calligraphie Française

الدليل العام لشهادة الدروس الابتدائية - حساب ،
انشاء ، اشياء ، تاريخ ، جغرافيا ، املاء افرنسي ، املاء
انكليزي .

من تفعيلة واحدة غالباً ، فكانت التشكيلات صارمة في
مطلبتها . ولتلتفت ايضاً الى ان اكثر التشكيلات صرامة
كانت تلك التي تتنوع تفعيلاتها كالبحر (البسيط) الذي
احتوى على (مستفعّلين) و (فاعّلين) و (فعّلين) وكالطويل
الذي يحتوي على (فعولن) و (مفاعيلن) و (مفاعّلين) . اما سهل البحور
فكانت ولا ريب هي البحور التي اطلقنا عليها اسم (الصافية)
في مقالنا المشار اليه ، وهي بحور تركز الى تفعيلة واحدة .
والى هذه البحور الصافية يركز الشعر الحر ، وهذه حقيقة
باتت في مستوى الالفاء بالنسبة للشعراء . فما الذي
يجعل شعراءنا يفتلون عنها ؟

ولكي نوضح حقيقة خروج شعرائنا الجدد على هذا
القانون نختار هذه الابيات من قصيدة في العدد
عنوانها (حصن دمشق) لفارس قويدر :

يا خندق (مفعولن)

يا حصن دمشق العربية (فعّلن فعّلن فعّلن فعل)

بسواعدنا (فعّلن فعّلن)

اننا هنا بازاء قصيدة من بحر (الخب) تخلط بسين
تشكيلتين احدهما تنتهي بمفعولن والثانية بفعّلن ، وهو
امر لا سبيل الى قبوله . اليس الفرق الموسيقي الواضح
بين التشكيلتين هو وحده الذي منع الآلاف من شعرائنا
القدماء من ان يخلطوا بينهما فكانوا يلتزمون احدهما في
القصيدة كلها ؟ والحق ان فطرة اسلافنا كانت سليمة
فان الاذن الشعرية العربية ما زالت ترفض هذا الخلط
بين التشكيلتين . غير ان الناقد اذا استطاع ان يغفر هذا
الخلط في قصيدة فارس ، فانه لا يستطيع ذلك قط
في قصيدة حسن البياطي (رسالة الى صديقه في الجنوب)
من بحر الرجز . وذلك حيث يقول :

في ليل بيروت الموشى بالطاء (مستفعّلن مستفعّلين
مستفعّلان)

دروبه تنهأ بي (مستفعّلن مستفعّلين)

صارخة في وجهي الحائر (مستفعّلن مستفعّلن فاعّلن)
انه نموذج لا يفتقر ، وسر فظاعته ان (فاعّلن) هذه تخرج
القصيدة من بحر الرجز الى البحر (السريع) ، ولا ريب في
ان الشاعر غير ملتفت الى هذا ، وقد خدعه التشابه بين
البحرين اللذين تجمعهما (مستفعّلن) . وانه ليخطر للقاريء
ان يتساءل مندهشاً لماذا لم يخلط اسلافنا قط بين
الرجز والسريع في شعرهم ؟ والجواب انهم لم يكتبوا شعراً
حراً وانما كانوا مقيدين فلم يتعرضوا للمشاكل . كان
الشاعر لا يحتاج الى ان يعرف العروض . اما اليوم فنحن
في فوضى وقد دارت الحرية برؤوسنا فاصبحنا لا ندري
اين نضع اقدامنا . انني لا احاول ان الوم شعراءنا الجدد ،
فهذه الدروب العروضية محيرة فعلاً ، وخير وسيلة يتجنب
بها الشاعر الناشيء وعورة المسالك الشعرية الحرة هي
التزام القيود التزاماً تاماً ريثما ينمو الجناح ويقوى على

الغنية انتصار... لطلولة !

« الى اكرم الحوراني ، »

« فارس المدينة التي تقيأت وراء سورها البحار . »

فيما الربيع موسم الهضاب ،
وقبل ان تحن للبيادر السنابل الرطاب ..
اذا علمت كيف تهزل البراعم الصغار
على وجود الظل والعبير والجمال
وكيف يجمد الضياء في العيون عند مطلع النهار ،
وينقب الصياد مخبأ اللال في المحار ..
فالموت ، كان يقرر الارحام عن اجنة الحياه
.. وكانت المدينة التي تقيأت وراء سورها البحار
لأنها مدينة النضال ، منذ خضب الثرى نضال ،
تضيء من جراح شعبها معابر الليال ،
تمزق الحصار ، تلوه الحصار ، والحصار ..
فموجة تطاول الذرى ، وموجة الى انحسار
لكن في الهيب ، في الدخان ، في الدمار
مثل نبوءة الربيع في طلائع السحاب ،
كان مخاض امة تطهرت على محارق العذاب :
النازحون ، راجعون في مسالك الشعاب
اجراس انطاكية تدق عودة الغيساب
وهران تشرب النبيذ حرة على جماجم الذئاب
فلن يعيش غاصب .. مد الدجى قد انحسر
بركان ثورة ، ضمير امة ، قد انفجر ،
كان قبل اليوم ما احست الضلوع ما الحياة
وما ارادة الحياة
آخيل مات ..
يد الفداء قلمت اظافر القدر

كان الصباح ملعبا ، ارجأؤه الفساح
شذى انتصار ،
والقوطة الخضراء كانت طوق غار
على جبين الشام . والرياح ، كانت الرياح
تذرو رماد هيكل الحصان ..
كان قبل اليوم لم يلح على مدينة صباح

يوسف الخطيب

دمشق

كان قبل اليوم لم يغم على مدينة مساء ...
النهر ضاع من لهاته النشيد .
لا شاعر هناك يسأل الضفاف قطمي غناء .
كانت تمد عنقها شجيرة الدعاء
ماذن الشام ،
كاذرع نحيلة تلوح فسي الغمام .
لون النجوم حال ، ضلت الطيور في السماء
فلا البروج ، لا القلاع ، لا الحصون ،
تقي ، اذا تنفس الطاعون فسي الفضاء .
آخيل .. جاء ،
فما تسطر الغضون في الجباه ،
وما تغمغم العيون للعيون ، والشفاه للشفاه .
الا ، تقول ، كيف جاء !
.. وجفت الحلو ، اجفل الصدى ، تشنج الهواء ،
حتى ، تكاد الارض ان تحس سبخة الدماء
وتنفجر الضباع من نثية القفسار ،
والجوارح الظماء
تلرز خط الافق ، والذئاب تكسح العراء ...
حتى يقول الحدس ، اغلقت منافذ الرجاء
ومثل انجم تفحمت ،
محاجر الاطفال غار في قرارها الضياء
سيق الرجال ، قيدوا الى جدائل النساء .
وقد تلوح الجن في خرائب المدينة الخلاء
يجلن فسي الطلول ،
ينقشن في تيجان كل جامع قصائد الرثاء .
آخيل جاء ،

فالمدهاج . ظللت ربي الشام قبضة القضاء ،
تسمر الوجود عند لحظة التقاء
كان قبل اليوم لم يغم على مدينة مساء .

الموت .. ان علمت كيف يزحف الجراد
على ندية السفوح .. ان علمت ما مناجل الحصاد

تيارات الأدب في مصر المعاصرة

بقلم الدكتور محمد مندور

العربية وبخاصة فيما يتعلق بشعر الوجدان وضرورة تعبير الشاعر أو الأديب عن نفسه تعبيراً صادقاً في صور فنية تماشي أصول الأدب والفن العالميين - نقول أنه بالرغم من ظهور هذه الدعوة، فإن التيار التقليدي قد ظل حياً لأنه يرمز إلى قومية كبيرة . فهو يمثل ثقافتنا التقليدية الراسخة في ضمائرنا وهو يدافع دفاعاً حاراً عن لغتنا الفصحى ونقاء تلك اللغة وصحتها . واللغة الفصحى كما هو معلوم هي أوثق روابط القومية العربية لأنها وسيلة التفاهم الكامل بين الشعوب العربية المختلفة التي تطورت لهجاتها المحلية تطورا يمكن أحيانا أن يعوق التفاهم المتبادل وبالتالي القومية العربية ذاتها .

وهذه هي الأسباب أو بعض الأسباب الهامة التي تيسر استمرار التيار التقليدي العربي الخالص حتى بعد اختفاء عمالقه الأوائل من أمثال البارودي وحافظ وشوقي ومصطفى صادق الرافعي .

ولكن بالرغم من استمرار التيار التقليدي ، لم يكن بد من أن يحدث تطور نهضتنا العامة وتوثق صلاتنا بحضارة الغرب وثقافته . تيارات فكرية وأدبية جديدة كان أسبقها إلى الوجود تيار الوجدان الذاتي ، وذلك لأن النهضة أخذت تشعر الفرد بوجوده وقيمه الذاتية وبضرورة التعبير عن نفسه ، مما أدى إلى ظهور تيار الشعر الوجداني عند الجيل الذي ظهر في أوائل هذا القرن مثل الأستاذة عبد الرحمن شكري وعباس محمود العقاد وإبراهيم عبد القادر المازني الذين نادوا بأن الشعر وجدان وليس صحافة تسجل الأحداث العامة وتعلق عليها . وكان ظهور هذا التيار في نفس الوقت الذي ظهر فيه تيار مماثل عند شعراء المهاجر العربية في أمريكا ، حتى لنرى الأستاذين عباس العقاد وميخائيل نعيمة يتبادلان التحية والتأييد والتضامن في كتاب « الغربال » للأستاذ نعيمة ، ومقدمة الكتاب الحارة التي كتبها الأستاذ العقاد .

والتقاء الحضارة الغربية بالحضارة الشرقية في بلادنا لم يكن بد من أن ينجم عنه في أول الأمر أنواع من الاصطدام لم تلبث أن ظهرت في صور الأدب الجديدة التي أخذناها عن الغرب مثل المقالة الصحفية والقصة الأدبية .

فعلى ضوء الحضارة الغربية أخذنا نرى ما في بعض عاداتنا وتقاليدنا القديمة بل ومعتقداتنا من ضرر وفساد وانحراف أو تخلف عن ركب الحياة المتطورة، فأخذ أدباؤنا

ليست التيارات الأدبية الموجودة في مصر الآن حديثة كلها بل منها ما يرجع إلى بدء نهضتنا في أواخر القرن الماضي . وقد استطاعت هذه التيارات أن تصمد أمام المفاهيم الجديدة للحياة والفكر والأدب لأنها تستند إلى أسس باقية تملئها الأفكار والمشاعر وضرورات الحياة .

فالتيار التقليدي قد كان في يوم من الأيام مهوى الأئمة، ومبعث الفخر . وذلك لأنه نتج عن حركة بعث قوية ردت إلى العالم العربي روحه وحياته بعد أن كان قد ذبل وجف واستحال إلى هياكل وزخارف في العصرين العثمانيين والمملوكي . وجاء الأدب الذي هو الآخر صورة للحياة - زخارف لفظية لا حياة فيها ولا فكر ولا احساس ولا مضمون - وقد تم هذا البعث بنوع خاص بفضل وصول اختراع انساني ضخم إلى مصر والبلاد العربية يعني به فن الطباعة . فمن المؤكد أن مطبعة بولاق التي أنشئت في النصف الأول من القرن الماضي قد كانت من أهم عوامل البعث العربي بفضل ما أخذت تنشره تباعاً من التراث العربي القديم وتضعه في متناول ذوي الموهبة من رواد النهضة الأدبية الحديثة - يكفي أن ننظر في مختارات رائد البعث الشعري في مصر وبالتالي في العالم العربي كله ، محمود سامي البارودي لنذكر إلى أي مدى كانت روائع الشعر العربي القديم قد أصبحت بفضل الطباعة غذاء ووسيلة لبعث الشعر العربي بدياجته المشرقة ومضمونه الانساني الحي المتجاوب مع قضايا عصره الكبرى ومع خوارج النفس البشرية الفنية ، بعد أن الشعر قد انهار إلى مستوى الزخارف اللفظية والمحسنات البديعية لندرة القدوة الفعالة والمثل الموحى ، وكأنه قد غلف بأثواب الانحطاط وحرم من مزايا الحياة .

وجاءت الثورة العراقية فعززت الشعور بالوطنية المصرية والقومية العربية تجابه بهما غطرسة الاتراك والجراسية بل واحتقارهم للمصريين والعرب، مما أدى إلى تقوية تيار البعث العربي واقبال الشعب عليه ذلك الاقبال الذي شجع المواهب وأغرى بالانتاج ، فكان لنا أولئك العمالقة من شعراء البعث والتقليد أمثال البارودي وشوقي وحافظ .

وبالرغم من أن زيادة اتصالنا بالأدب الأوروبي مباشرة أو عن طريق الترجمة قد أدت إلى ظهور تيار فكري أدبي جديد يدعو إلى الخروج من التقليد إلى الابتداع ، وإلى تطعيم الأدب العربي الحديث باتجاهات الفكر والأدب والفن

يتناولون بالنقد في المقالات الصحفية كل هذه النواحي . ولعلنا نجد خير مثل لهذا الاتجاه في سلسلة المقالات التي نشرها رائد الإصلاح الاجتماعي الكبير قاسم أمين للدفاع عن المرأة وضرورة تحررها من ربقة القيود القاسية وغير الانسانية التي كانت قد تكاثرت عليها خلال عصور الظلام . وقد جمعت هذه المقالات في الكتابين الخالدين « تحرير المرأة » و « المرأة الجديدة » . بل واتجه بعض مفكرينا الى نقل بعد كتب الاجتماع التي تكشف عن اسباب تخلفنا ووسائل نهوضنا مثل ما فعله فتحي زغلول عندما نشر في الصحف الفصول المتتابعة من كتاب « سر تقدم الانكليز السكسونيين » قبل ان يجمعها في كتاب كان له اثر كبير في تطوير مفاهيم الحياة عند شعبنا او على الاقل عند قادة الفكر فيه .

وفي اتجاه مضاد راينا حملة عنيفة يقودها المحافظون منا ضد بعض مظاهر الحياة الغربية بحكم أن تلك المظاهر قد كان اسهل اخذا وتقليدا من جوهر الحضارة الغربية واسسها الصلبة ، فاخذوا يهاجمون لعب القمار وشرب الخمر والرقص المشترك وما الى ذلك من قشور الحياة الغربية التي تسللت اليها وخشى المحافظون على اخلاقنا وتقاليدنا الصالحة من تسللها .

وباستمرار احتكاك الحضارتين الغربية والشرقية نما تيار النقد الاجتماعي في اتجاهيه المتضادين وكان هذا هو السبب الرئيسي في ان يتخذ فن القصة الادبية عند اول ظهوره في ادبنا المعاصر الطابع الاجتماعي على نحو ما نشاهد في قصص « حديث عيسى بن هشام » لمحمد المويلحي و « ليالي سطوح » لحافظ ابراهيم . ثم قصة « زينب » التي كتبها في سنة ١٩١٠ الدكتور محمد حسين هيكل وهو لا يزال طالبا في فرنسا ونشرها تباعا في صحيفة الجريدة في سنة ١٩١٤ بعد عودته من فرنسا ، وفيها يعالج قصة حب محزنة بين فتى مصري وفتاة في الريف ينتمي كل منهما الى طبقة اجتماعية مختلفة . هذه بعض نواحي تيار التجديد الذي ظهر نتيجة لاتصالنا بثقافة الغرب وحضارته وان يكن من الواجب ان نلاحظ ان هذا التيار التجديدي لم تتفق عليه وعلى حدوده ومبادئه كلمة الداعين اليه كما اتفقت من قبل كلمة رواد البعث فلاقوا نجاحا شعبيا كبيرا .

وربما كان الاستعمار وسيطرته والاستبداد الداخلي وجبروته من الاسباب الاساسية في عدم اتفاق الجيل الجديد على مذهب فكري او ادبي محدد ، وذلك لان هذه العوامل السياسية الخائفة قد ولدت في نفوس الشعراء والادباء الحساسية نزعة عنيفة للحرية المطلقة وحبا لها بل تعصبا . فكل اديب او شاعر لا يقبل ان يخضع لأي مذهب او ان يضحي بآية ذرة من حريته عن وعي وقبول ، واذا كان قد ظهر بالرغم من ذلك تجانس كبير في الاتجاه الفكري والادبي فان هذا التجانس لم يعد الاتجاه العام الذي حددت مجراه تضاريس الحياة اكثر مما حددته الارادة الواعية والثقافة الهادفة . ولا ادل على ذلك من ان نلاحظ مدى التفاوت الكبير بين نغمات شعراء الوجدان الذين كثر عددهم وغزر انتاجهم بفضل حركة ابولو الخالدة بريادة المرحوم

الدكتور احمد زكي ابو شادي ذي النفس الخيرة والنزعة المثالية الرفيعة ، فالشبابي روح ناثرة وابراهيم ناجي قلب ظامئ الى الحب متلهف عليه ، وعلي محمود طه طائر غرد مبتهج نهم الى متع الحياة الحسية والصيرفي قلق متأمل . . وهكذا تتفاوت نغماتهم تبعا لتفاوت امزجتهم والوان روحهم وفلسفة حياتهم وان اتفقوا جميعا في ما نسميه شعر الوجدان الذاتي او الشعر الرومانسي دون ان يتفقوا على مذهب محدد او يرسموا دروبا لهذا المذهب .

وخطونا في تطورنا الناهض خطوة اخرى فتحررنا من سيطرة الاجنبي وقوي تيار القومية العربية بحكم وحدة الكفاح والهدف ومعركة الحياة مضافة الى مقومات الوحدة التاريخية . فأخذ تيار ثوري جديد يظهر وهو تيار وطني اجتماعي جارف لم يكن بد من ان يسايره الادب والفكر الفني . فاخذ جيلنا الناهض يستنكر الفردية والذاتية ويطالب الادب والادباء بأن يصرفوا حيوياتهم الى قضايا الوطن العامة اقليمية كانت او قومية عربية عامة ، والى قضايا الشعب وضرورة النهوض به ورفع مستوى حياته ومعالجة مشاكله وابرار آلامه وتعريض مطالب حياته العادلة وكأنهم يرددون بلسان الشاعر العربي القديم : -

فلا هطلت علي ولا بارض سحائب ليس تنتظم البلادا وذلك لانهم يرون انه لا خير لمن يعيش لنفسه . وهذا هو الاتجاه الاحداث الذي نسميه اتجاه الواقعية الاشتراكية مع ما يستهدفه هذا الاتجاه من تفاؤل وثقة بالنفس وثقة بالغير واطمئنان الى المصير وقدرة على التحكم فيه . ولكن بالرغم من قوة هذا الاتجاه الاحداث واستناده الى فلسفة حياتنا الثورية الجديدة الا انه لم يستطع ولا اظنه يستطيع ان يقضي على التيار الرومانسي الوجداني الفردي السابق . وذلك لان هذا التيار الاخير يستند الى حاجات نفسية غالبة لا سبيل الى تجاهلها او مقاومتها بل ولا ضرورة لذلك . فالانسان سيظل دائما في حاجة الى التعبير عن ذاته والتنفيس عن آلامه وآماله الخاصة والتفني بأشواق روحه ومباهج الحياة من حوله بما فيها الطبيعة الجميلة . وهكذا نخلص الى ان حياتنا الفكرية والادبية الراهنة تجري فيها حتى اليوم تيارات ثلاثة : تيار تقليدي وتيار رومانسي وتيار واقعي اشتراكي ، وان يكن من الواضح ان التيسار الواقعي الاشتراكي هو الآخذ الان في الانتشار والسيطرة بفضل فلسفتنا السياسية والاجتماعية الجديدة وهي فلسفة لا بد ان تشمل جميع ميادين النشاط .

التيار الواقعي الاشتراكي هو اذن التيار الآخذ في النمو والسيطرة على ثقافتنا الانسانية وعلى ادبنا وفننا المعاصرين ، ولكن هذا التيار قد سبق في المضمون الصورة الفنية ولا يزال امام ادبائنا وفنانينا مجهودات يجب ان تبذل للملاءمة بين هذا المضمون الجديد والصور الفنية التي تلائمه ، سواء اكانت تلك الصور قصيدة شعر او مسرحية او قصة او مقالا ثقافيا ، وذلك لان كل مضمون جديد يحتاج الى شيء كثير من الترويض حتى يسكن الى الصور التي تنشئ مع اصول الادب والفن ، وهي اصول لم يخترعها

مضمونه باسم الفن ، حتى رأينا الخصومة تتبلور بعد انحرافها بين التيار الجديد والتيارين السابقين في جبهتين: جبهة الفن للفن وهي التي يخفي بعض دعائها اهدافهم الحقيقية خلف الفيرة على الفن واصوله . وجبهة اخرى هي جبهة الفن للحياة التي تسوقها الحماسة للمضمون احيانا الى حد اهدار الفن واصوله ، مع ان الفن واصوله ليست اعداء للمضمون الذي يؤمنون به بل هما كما قلنا وسيلة فعالة في تقوية هذا المضمون وتقريبه من النفوس ومساعدته على تحقيق اهدافه .

وفي اعتقادنا ان هذا الخلط والتداخل سوف يتضح مع الزمن وان المضمون الانساني الجديد سوف ينتصر وان دعاء هذا المضمون انفسهم سوف يفتنون الى اهمية الفن واصوله في خدمة مضمونهم ، وعندئذ لن يكون هناك فن للفن وفن للحياة بل سيكون هناك فن للفن والحياة معا . وهو الفن المثالي الذي ابتدا شباننا الشوط نحوه وبقي ان يصلوا في هذا الشوط الى نهايته، وذلك بان يرتفع فنهم الى مستوى المضمون الاجتماعي الانساني الذي تعمل الثورة وتعمل القومية العربية على ترسيخه في النفوس .

محمد مندور

القاهرة

دار الآداب تقدم :

قضايا جديدة في أدبنا الحديث

بقلم الناقد المصري الكبير

الدكتور محمد مندور

دراسات نقدية معمقة عن الانتاج العربي الحديث

وعن مشاكل النقد والادب

صدر حديثا

لتفكير المجرد بل استخلصها الادباء والنقاد والمفكرون من تحليلهم لروائع الاداب العالمية . وهذه الاصول لا تعتبر قيودا ولا اغلالا للانتاج الادبي بل تعتبر وسائل اثبت الزمن قدرتها على تشكيل المضمون الادبي بالاشكال التي تزيد ذلك المضمون بروزا وقوة وتأثيرا وبالتالي نجاحا في تحقيق الاهداف المثالية التي يسعى الى تحقيقها . ومن المؤكد ان اي مضمون انساني لا بد له من صورة جمالية فنية ملائمة حتى يستجيب له الناس في يسر وسهولة بل في طرب واقبال فيفتحوا له نفوسهم لتتشبع به . فالمرحبة مثلا تحتاج الى تشويق وتصوير وحركة مادية وذهنية تستأثر بالانبياه وتشغل التفكير فيندمج المشاهد فيها وينفعل بها . واذا بمضمونها الانساني يتسرب الى نفسه عن طريق الشعور او اللاشعور وكذلك الامر في القصة . واما الشعر فلا يمكن الا ان يكون فنا جميلا ، والا فقد روعته وتأثيره وسقط مضمونه . مهما كان ساميا رفيعا ، وجمال الشعر يأتي من اساليب صياغته ، فالشعر ليس تقريراً بل تصوير بياني وهو ليس تعبيراً باللغة فحسب بل هو ايضا تعبير وايحاء عن طريق موسيقاه ، وموسيقى الشعر ليست تطريفا فحسب بل هي وسيلة من وسائل التعبير والايحاء لا تقل اهمية عن التعبير اللفظي بل لعلها تفوقه ، وذلك لان موسيقى الشعر هي التي تخلق الجو وهي التي توحى بالظلال الفكرية والعاطفية لكل معنى . وقد يكون الجو وتكون تلك الظلال اكثر فاعلية في النفس من المعنى المجرد بحيث يعتبر ضعف الموسيقى في الشعر انقاصا شديدا من قدرته على التعبير والايحاء .

واذا صحت كل هذه الحقائق يكون لنا اذن ان نغيبط باستمرار التيارين التقليدي والرومانسي الى جوار التيار الواقعي الاشتراكي الجديد ، وهما بنقدهما لهذا التيار الجديد سيساعدانه بلا ريب على استكمال وسائله . فالتيار التقليدي يحرص على سلامة الصياغة اللغوية وقوتها والتجديد فيها ، والتيار الرومانسي يحرص على الجوال شعري وعلى الموسيقى وعلى ظلال المعاني المرفهة ، وكل هذه وسائل يجب ان يحرص عليها ايضا التيار الواقعي الاشتراكي الجديد لانها تزيد قوة ونفاذا الى القلوب وبالتالي قدرة على تحقيق اهدافه الانسانية الخيرة .

وهكذا يعزز هذان التياران التيار الجديد المنتصر ولكنهما يصبحان ضارين عندما يخطان في نقدهما للتيار الجديد بين المادة والشكل اي بين المضمون والصورة او الفن على نحو ما نشاهد احيانا انصار المذهب التقليدي او المذهب الرومانسي يهاجمون التيار الجديد او على الاصح يهاجمون

مكسيم غوركي

* بقلم سلامة موسى

عربة نقل كبيرة . ولا تمضي عليه السنوات القليلة حتى يكون مقاولا بيني العمارات ، والثروة الضخمة تأتي اليه عندئذ بلا عائق . لانه يستطيع ان يقطع من الاجور مقدارا يدخر ، ثم يتراكم ، ثم يعمود « رأس مال » .

قبل اكثر من خمسين سنة قرأت كتابا ترجمه يعقوب صروف مؤسس مجلة المقتطف عن صمويل سميلز . وكان عنوانه « سر النجاح » . وفي « سر النجاح » هذا ، قصص متوالية للمصاميين الانجليز الذين نهضوا من الفقر الى الثراء . كانوا عمالا فاصبحوا سادة يملكون المتاجر والمصانع ويستخدمون العمال ، قصص نهوض رأس المال في القرن التاسع عشر .

ولكن صمويل سميلز لم يسأل وهو يروي تواريخهم : كيف جمعوا هذه الثروات ؟ وهل كانوا يجمعونها لو انهم كانوا يؤدون الاجور الحقة لعمالهم . كما لم يسأل يعقوب صروف هذين السؤالين عندما ترجم الكتاب .

ويشير جوركي الى هذا الكتاب بالذات ويسخر به ويعلن كراهيته للتاجر الذي اترى باذلال العمال وحرمانهم مما كانوا في حاجة اليه من طعام او مسكن او كساء .

وفي جميع مؤلفاته تقريبا ، نجد هذه الكراهية للتاجر والصانع ، اي للرأسمالي صاحب المتجر او صاحب المصنع الذي يثرى بما يكسبه من عرق العمال .

✱

عاش في روسيا ثلاثة من الابداء تقاربت حيواتهم حتى عاصر بعضهم بعضا فترة قصيرة او طويلة . هم : دستوفسكي الذي مات في ١٨٨١ وتولستوي الذي مات في ١٩١١ وجوركي الذي مات في ١٩٣٦

وليس هناك اديب عصري بل حتى قاريء عصري مستنير في اي بقعة في العالم يجهل احد هؤلاء الثلاثة . فهم الذين عيناوا طراز القصة الروسية واستنبطوا القيم الادبية الجديدة التي تعلمت منها اوربا . وهم مع ذلك يختلفون . بل اختلافهم اكثر من اتفاقهم .

هم يتفقون في ان الادب ليس ترفا ذهنيا . وانما هو عذاب ذهني . في بذل الجهد . في البحث عن القيم . ويتفقون في ان الجمال ليس هدف الفن . وانما الهدف هو الحياة . ويتفقون في ان حياة الاديب جزء من ادبه . وحياته هذه هي مؤلفه الاول . ويتفقون في ان الانسانية هي الهدف الاول للاديب قبل الفن . انهم جميعا احترفوا الانسانية .

ولد جوركي عام ١٨٦٨ . ومات عام ١٩٣٦ . ونفهم من هذين التاريخين انه امضى ٣٢ سنة في القرن التاسع عشر و ٣٦ سنة في القرن العشرين . ونفهم ايضا انه الف قبل الثورة الروسية (١٩١٧) وبمدها . فكان من دعائها المكافحين المضطهدين . ثم كان بعد ذلك من ابنائها الموالين .

كان مولده فيما كنا نسميه قبل الحرب « نجني نوفجورود » ثم صارت بعد الثورة تسمى باسمه « جوركي » على نهر الفولجا الذي نجد ذكره يتكرر في مؤلفاته .

وكانت روسيا قد الفت الرق الاقطاعي . ولكن ذكره كانت لا تزال عالقة بالاذهان ، ورأى جوركي في صباه ناسا كانوا ارقاء لهم اخلاق اقطاعية في الدرجات السفلى . ولكنه رأى ايضا بزوغ الحركة الصناعية والرواج التجاري في المدن حيث المصانع والمتاجر .

كانت روسيا في فترة الانتقال تصطدم فيها الاخلاق اقطاعية التسي تعتمد على الايمان والتواكل والمحافظة التي تقارب الجمود ، والاخلاق الجديدة ، اخلاق المتجر والمصنع .

وكلنا ، نحن ابناء القاهرة الذين امضوا بعض حياتهم في الريف ، نعرف الفرق بين الفلاح ، هذا الانسان القديم الذي يخرج علينا باخلاق الفراعنة والذي تغلبت عليه الاخلاق اقطاعية ، ثم هذا الانسان الجديد ، العامل في المصنع او المتجر والذي لا تخفى علينا اخلاقه الجديدة بل ايضا صاحب المصنع او صاحب المتجر ، هؤلاء جميعا قد تغلبت عليهم الاخلاق التجارية الصناعية . وهم يعيشون في المدينة الصاخبة المنبهة ، بينما الفلاحون يعيشون في القرى النائمة .

رأى جوركي القرية التي لم تكد تتخلص من اخلاقها اقطاعية ، كما رأى المدينة الصناعية . ومع انه عرف ان مكانه هو المدينة ، هو الحضارة ، هو الصناعة ، هو استقلال الشخصية ، هو العقل والتساؤل بدلا من الايمان والتسليم ، فانه مع ذلك وجد في المدينة ما يكره . واعظم ما كان يكره المتاجر او العقيلة التجارية .

كان ظهور المصانع نتيجة لافناء الاقطاع . وكذلك كان ظهور المتاجر وهنا ، تب الى اذهاننا كلمة عصامي ، او الرجل الذي يصنع نفسه . ينشأ فقيرا ثم لا يزال يجد حتى يجمع الثروة الطائلة . ثم يحصل على لقب ويشيد كنيسة في بلدته .

هو رجل متحرر من قيود الاقطاع يجد جيوشا من العمال يختار منهم ويعين الاجور لمعلمهم . ويجمع الثروة بعرقهم وجهودهم .

ونحن نعرف المصاميين في بلادنا . ينشأ احدهم عاملا يقطع الحجر للبناء او ينقله الى القاهرة . ثم لا يزال يقتتر على نفسه حتى يجمع ثمن عربة يجرها حمار او جواد للنقل . ثم يسرف في التقثير حتى يشتري

ان الذي يقرأ دستوفسكي يحس ان المؤلف لم يكن يستمتع بتأليف قصصه وانما كان يتعذب به . بل ان هذا العذاب ينتقل اليها ونحن نقرأ الصراع القائم بين ابطال قصصه . هؤلاء الابطال الذين يجمعون في نفوسهم ضميرين : ضمير القديس المتوجع وضمير المجرم المتوب ، ضمير الانسان وشهوة الحيوان .

وقريب من دستوفسكي تولستوي . فان كليهما مسيحي الى نخاع عظامه . ولكن دستوفسكي يحب المسيح بقلبه واحساسه . اما تولستوي فيحبه بعقله . ولذلك انتهى دستوفسكي الى جملة نطق بها كلها هوس ، هي قوله « لو كان المسيح في جانب وكانت الحقيقة في جانب اخر لاثرت ان اكون في جانب المسيح على ان اكون في جانب الحقيقة » .

جملة رعاء ، نطق بها القلب المفتون بحب المسيح . ولكن تولستوي طرد من الكنيسة لانه قال عن المسيح انه لا يوجد فيه غير رجل انساني عظيم . لا اكثر . وان السلوك المسيحي هو السلوك العلمي .

نظر بعقله ، وطردته الكنيسة الروسية من حظيرتها لانه استعمل عقله . اما ثالثهم جوركي ، الذي يشترك معهما في النزعة الانسانية ، فانه يفرق منها بانه اديب الثورة . وهذا اختلاف كبير ، بل خطير .

فان دستوفسكي يكاد يترغ في الالم ويلتذ باله . وتولستوي لا يجد للاصلاح غير المسيحية نطبقها على كل شئونها الاجتماعية . ولكن جوركي يشور ثورتين : على المجتمع وعلى الحكومة .

وهو لا يؤمن بالمسيحية او بأي دين اخر . ولكنه يؤمن بالانسانية ، بالانسان ، بالشعب ، بالعلم .

الفصائل عنده هي من صنع الانسان . والمخترعات والمكتشفات هي من صنع الشعب .

وهو اشتراكي شعبي في سياسته وادبه يكتب بلغة الشعب ، وتنطوي كل قصة له على رسالة اجتماعية .

وروسيا الى سنة ١٩١٧ كانت مدرسة مسحوقة بالقيصر والنبلاء ، بل حتى الكنيسة (وكلنا يذكر راسبوتين) . وفي هذه الظروف لم يكن مقر لكاتب انساني شعبي ان تكون رسالته ثورية .

هو ناثر على كل ما يقيد حرية الفكر من كتب العقائد المضللة . وهو ناثر على الجهل والتواكل والاستسلام .

وهو ناثر على التجار والصناع الذين يجمعون الثروات بعرق العمال ويعرمونهم العيش اللائق .

وهو يدعو الى العلم والى الاشتراكية .

ولكنه ، قبل هذا وفوق هذا ، يدعو الى ان يحيي الانسان حياته كما يرسمها لنفسه مستقلا ايها شجاعا .

الحياة عند جوركي هي اجمل ما في الكون . والحياة الحية الناهضة هي لباب الجمال . ويجب الا ننسحب من الحياة في نسك او عزلة . ويجب الا نقنع بالكفاف ونجبن عن الاقدام ولنلجأ الى الكهوف ونختبئ .

وابطال جوركي هم العمال الذين نهضوا . ففسلوا رؤوسهم من الجهل والخرافات . وتعلموا وقرأوا . واصبحوا ناثرين .

ابطال قصصه يمثل كل منهم فترة من فترات الحياة عند جوركي نفسه . بل ان حياته لتختلط بمؤلفاته . ومن هنا يظهر ما فيها من صدق وكفاح .

حياة جوركي هي مؤلفاته . ومؤلفاته هي حياته .

فقد ألف كتابا ، في ثلاث مجلدات ، عن تاريخ حياته نقرأه ونحس في

كثير من صفحاته اننا نقرأ احدى قصصه الواقعية . وجميع قصصه واقعية منتزعة من اختبراته . ولكنهم ايضا خيالية يجري فيها الواقع بكل فظائمه ومآسيه كما يرى فيها الخيال والحلم عن المستقبل الناضر والسعادة المنتظرة .

فانه يروى لنا السفالة والخسة والفظاظة في حياة الدهماء ، ولكنه الى ذلك يرسم لنا خطوط الامال في قدرة الانسان على التعقل والسيطرة على الطبيعة والآلة .

عرف جوركي في طفولته وحياة الفقر الملل ، ورأى السفالات تحيط به . واحترف عددا من الحرف الوضعية كانت له بعد ذلك ذخيرة لشرح حيوات الناس والتعرف الى اهوائهم الدنيا وآمالهم العظمى . فقد عمل خادما ، ومشردا يلتقط الخرق ويصيد الطيور ، ثم بائعا جائل يبيع التفاح ، ثم بستانيا ، ثم طباحا في بخارية على الفولجا ، ثم رساما معماريا ، ثم بائعا للايقونات المسيحية ، ثم خبازا ، ثم خفرا للسكك الحديدية ، ثم وقادا للقارطة . واخيرا عمل كانا عظيما ليس لروسيا وحدها بل للعالم كلها .

من اين جاءت هذه القدرة على الكتابة ؟ ان هذه الاختبارات العديدة التي مرت به قد علمته . فعرف منها واقع الناس في معاشهم . ولكن من اين جاءت احلامه وكيف مهر في الكتابة وما الذي بعثه على الدرس وشوق اليه الثقافة ؟

كيف يمكن للتلقط الخرق وبائع التفاح الجوال في الشوارع ان يدرس افلاطون ويناقش اسبنوزا ويتفهم الادب الروسي او الالمانى . ثم يبني من دراساته هذه آماله واحلامه في تغيير الواقع المؤلم ؟

الجواب : انه وصل الى ذلك باتصاله بالمنظمات الثورية في روسيا . فان الثوريين الذين شرعوا منذ السنين الاخيرة في القرن التاسع عشر يفكرون في تغيير الحكومة القيصرية الى جمهورية اشتراكية كانوا يؤلفون الجمعيات ويؤلفون الكتب .

الكتب للتنوير والجمعيات للعمل . وقرأ جوركي هذه الكتب . وتعب ودرس . وكافح اميته التي نشأ عليها .

وهو يحدثنا في المجلد الثالث عن الجامعات التي تعلم فيها والتي خرجته استاذا عظيما في الادب . وهو يسمي هذا المجلد « جامعاتي » .

ونقرأ هذا المجلد فلا نجد فيه اسما واحدا لاحدى الجامعات . وكيف يمكن لبائع التفاح وملتقط الخرق ان يدخل احدى الجامعات ؟

لا . انما كانت جامعاته منهج الثورة الذي طالبه ببرنامجه بل ببرامجه . لقد اتصل بالمنظمات الثورية السرية وعرف منها ضرورة التغيير ، اي التغيير لوسائل العيش في المجتمع ونقلها من المبدأ الفردي الى المبدأ الاشتراكي مع تغيير حكومة القيصر الاوتوقراطية الى حكومة ديموقراطية اشتراكية .

هذا هو المنهج .

ولكن هذا المنهج بعث فيه الرغبة ، بل الشوق الى الدراسة . فكانت هنا جامعاته في الكتب . فدرس الاقتصاد ، والادب ، والعلم ، والتاريخ ، والفلسفة .

جامعاته هي الكتب . واعظم ما اثر فيه ، كما سنرى ، هو العلم . العلم هو الذي جعله يحلم ويبني الامال . فيجمل قصصه لذلك واقعية خيالية .

ان جوركي احيانا يشمئز من حياة العمال ، من قنارتهم ، وسكرهم ، وضربهم لزوجاتهم ، وجهلهم ، واستسلامهم للعقائد الخرافية ، وخضوعهم ،

ولكنه مع ذلك يرى آفاق المستقبل المشرقة . فيحلم ويتخيل .

ويبنى لأحلامه وخيالاته على العلم الذي سيفير الدنيا .

وتمتاز « الجامعات » التي تعلم فيها جوركي بأنها لم تفصله من الشعب في غرف دراسية تلقى فيها المحاضرات بعيدة عن السوق والمتجر والمصنع . إذ كان وهو خباز يحمل ويخبئ في صدره رسالة صغيرة عن علاقة الأجور برأس المال . أو كتابا بالكوروبنكين عن زيادة الإنتاج الزراعي حتى يصير الفقراء أغنياء .

ثم كانت هذه « الجامعات » أيضا تمتاز بأنها لم تحمله على إضاعة وقته في دراسات ومناقشات موروثة عن القرون الوسطى أو في التعليقات والتفسيرات لأشعار شكسبير أو درامات الإغريق .

كان جوركي يقرأ ويدرس ويختار وفق حاجاته الذهنية . ولذلك كان بهضم ويمثل ولا يقيء ما قرأ ودرس .

كان إحساسه بجاهلية شبابه يجعله يحس الظلم للمعرفة .

ولكن تقلبه في الأعمال الوضيعة ، أو ما نسميها وضيعة في نظامنا الاجتماعي ، جعله يحس إحساس الشعب . وكانت لقمة العيش الجافة التي كان يحصل عليها بالعرق والتعب تحمله على التفكير في غيره ممن يأكلون مثل هذه اللقمة ولا يكادون يستسيغونها .

وحينما يكون الشعب - الأساس أو الهدف للاديب ، يزدهر الادب وتزخر الثقافة . وذلك لأن أحوال الأفراد في الشعب ، وأهدافهم والوان البؤس أو السعادة فيهم ، لا تنتهي .

ولذلك نحن نجد في أبطال القصص التي ألفها جوركي شخصيات تتعدد وتتنوع . نجد الراهب في صومعته والمشرذم السفاح ، والصبي

الترف المدلل ، والشاعر ، والجاهل الذي يحاول ان يتعلم ، والصحفي البائس ، والثري المستبد ، والرجل المناهض .

وجوركي يحب اثنين من الرجال ، ويكره اثنين .

يحب الرجل المناهض الذي آفاق من نومه وشرع يستطلع الدنيا ويدرس ويكبر حتى ولو كان رأسماليا . أي الرجل الذي ينفض نفسه من الكسل أو يرتفع من الوهدة التي رماه فيها المجتمع . أو الثائر الذي يحاول تغيير هذا المجتمع .

ثم هو لحيه للحرية والاستقلال والاستطلاع يحب شخصا آخر هو ما نسميه « المتشرد » فانه يؤثره على الثري الناعم الذي لا يكاد يعرف من الاستمتاعات في هذه الدنيا غير الطعام والشراب . كما يؤثره على التاجر الجشع الذي يجمع المال لحض جمع المال ويتعس الألوف في سبيل ذلك بافقارهم وحرمانهم .

وواضح ان جوركي لا يدعونا الى ان نكون « متشردين » . ولكنه يهدف الى المقارنة بين من يسميهم السادة المتنازين بالمال المستمتعين بالكسل والطعام والشراب ، وبين المتشردين العاطلين الذين يحملون في صدورهم عواطف فجة بدائية للثورة . فيهيمنون . كما كان يهيمن هو عندما استقر فترة من حياته في الصبا على صيد الطيور . وكان هذا العمل حرفة .

وهو في هذه المقارنة يكاد يقول لنا ان في الدنيا ما هو اهم من جمع المال . ان في الدنيا حقولا وطيورا ولذة الاستيقاظ في الصباح لرؤية الشمس في شروقها ، ومتعة الحب الخارج على القواعد ، والالتئناس بالحديث الى الرجال والنساء في الحانات او عبر الطرق ، وكذلك التشرد بالتقلب في الحرف .

ثم يكره اثنين من الرجال . هذا العصامي الذي لا يهدف في حياته الا الى جمع المال اي الرجل الذي كان يمدحه صمويل سميلز ويقول اننا يجب ان نكون مثله . هذا الرجل هو الثمرة المرة للمبادأة الاقتصادية في الشعوب التي تحيا على المباديء الانفرادية وليس على المباديء التعاونية الاشتراكية . ومثل هذا العصامي لا ينجح إلا بسقوط العشرات ممن كانوا يبادرونه ويحاسدونهم والام مئات من العمال الذين كانوا يخدمونه . والشخص الثاني الذي يكرهه هو الرجل الذي لا ينهض . الجاهل الذي يرضى عن جهل ، والذليل الذي يرضى بذله ، الحيوان الذي يمارس اللذات الحيوانية ولا يعرف ما هو اعلى منها .

✱

حين يموت اديب ونجد الحرية لشقده وتقييمه دون ان نجرح كرامته ، نسأل هذا السؤال :

هل كانت المشكلات التي شغلته وألف عنها كتبه مشكلات حقيقية تتبع من وجود الانسان ونظام المجتمع واستقلال الروح وارتقاء الشعب والحرية والمساواة والانسانية ، ام كانت مشكلات تافهة جوفاء كنا نلتفت اليها في حياته لانه كان يصيح ويصرخ في آذاننا حتى اذا مات نسيناها لنفاهتها ؟ ومثل هذا السؤال يمكن ان يسأله الناس في كل عصر وفي كل قطر . ويمكن ان نسأله الان وبعد الان في مصر .

انت رجل ايها الاديب ، انت انسان ، انت تطلب الخير للشعب الذي تعيش فيه ، انت تفهم معنى التطور وقيمة الحرية ، حرية النفس في ان تسلك السلوك الذي تهواه وحرية العقل في ان يفكر في استقلاله ويؤمن ببينة العلم بدلا من الايمان بالعقائد الموروثة . وانت من الشعب . فهل خدمت

دار الآداب تقدم :

في أزمة الثقافة المصرية

بقلم الناقد المجدد

رجاء النقاش

دراسات عميقة شاملة عن قضايا الثقافة المصرية

الحديثة ومشاكلها

يصدر هذا الشهر



البطل الاول في جميع قصص جوركي هو الرجل الناهض ، بل المرأة الناهضة ايضا .

هو الرجل الذي يقف لحظة في حياته ينظر الى الخلف والى الامام ، الى ماضيه والى مستقبله ، فيقول : كنت جاهلا فيجب ان اتعلم . كنت في غيبوبة فيجب ان اتنبه . كنت عبدا للخرافات والاصطلاحات فيجب ان احرر . كنت انانيا فيجب ان اكون انسانيا . وكنت احيا بلا قصد بل بلا وعي فيجب ان احيا عن قصد وعن وعي .

نجيا عن قصد ووعي في هذه الدنيا . هذا شيء عظيم خطير . وقصة الام التي الفها عقب فشل الثورة الروسية ضد القيصر في ١٩٠٥ . هذه القصة تدلنا على اهتمامات جوركي في اده وحياته . وكلاهما يدعم في الآخر . اجل . ان اهتماماته هي :

انهض . تعلم . اخدم الشعب . اعمل للمساواة والحرية . ارتفع من شئونك الشخصية الصغيرة الى الشأن الانساني العظيم . امتليء املا بنهوض الشعب ولا تياس فان الحق والعدل سيتصرنان على الباطل والظلم .

لما فشلت ثورة ١٩٠٥ وذبحت حكومة القيصر الاف الاءاء والامهات والابناء من الشعب سادت فترة من اليأس والغم قابلها جوركي بقصة «الام» كي يبعث الامل والشجاعة ويحيي الثورة التي خمدت .

ونحتاج الى القليل من النظر في هذه القصة .

ان القصة تبدأ بعامل تقدمت به السن . يعمل كثيرا في المصنع ويتعب كثيرا . فاذا ترك المصنع وقصد الى بيته لم يجد شيئا ينسبه تعب وياسه و فقره سوى الخمر يشربها حتى يفيق عن وعيه . هذا الوعي الذي لا يطيقه . ويموت الاب . ويخلفه ابنه ويقتدي به . يعمل في المصنع ثم يعب الخمر في المساء . وكان الدنيا بخضارتها وثقافتها وهومها الانسانية واهتماماتها الاجتماعية اشياء بعيدة عن ذهنه لا يعرفها . وتتأمل الام ابنها فتري فيه صورة الاب ومصيره ، اي الموت بعد الفقر والبؤس . فتناشد فيه ، مع البكاء ، رجولته وشرفه وتنبوه الى ترك الخمر . ولكلمات الام اكبر الاثر في التوجيه .

ويكف ابنها ، بافيل فلاسوف ، عن الخمر . ويصحو نهاره وبعض ليله . وعندما يصحو يفكر . وعندما يفكر يسخط . ثم يدفعه السخط الى التفكير مرة اخرى .

ويعرف زملاء له من المفكرين الذين يحملون في قلوبهم الهموم الوطنية والهموم الانسانية . ويقرأ كما يقرأون . يقرأ تلك الكتب الجميلة التي يؤلفها العالمون الذين عرفوا الواقع ولم يياسوا بل املوا في مستقبل زاهر تنهد فيه منظمات الظلم والاستغلال والامتياز . فيجتمع مع هؤلاء العالمين من العمال والاساتذة والطلبة يتذكرون السواد الذي يعيشون فيه وينظمون الدنيا المشرقة القادمة .

وهو، بهذا الارتباط هؤلاء الثائرين العالمين ، يكتب قوة تنويرية عظيمة لذهنه الخام فيقرأ ويدرس ويصنع من نفسه رجلا جديدا . فلا يفكر في الخمر يشربها كي ينسى بها بؤسه وانما يفكر فيما يزيد يقظته من هذه الكتب . وامه الجاهلة التي لم تعرف ايام زوجها غير الطبخ وتحمل الضرب وشراء الخمر ، هذه الام تتأمل في استطلاع ابنها وهو يتعب ويقرأ ويخيء الكتب المحرمة . ثم تحدد بعقلها البدائي وترى من الاجتماعات السرية التي يعقدها مع زملائه ، شيئا جديدا تكاد تفهم خطورته وخطره .

تفهم ان ابنه وزملاءه يخشون الشرطة وانهم يقومون بحركات قد تنتهي بهم الى السجن . فتمتليء خوفا على ابنها . ولكنها ، مع ذلك ، كانت تنظر الى هؤلاء الزملاء وتشفقهم في العيش واستقامتهم في السلوك وكياستهم في المعاملة ، فتمتليء اعجابا بابنها الذي لم ينشأ مثل ابيه سكرانا فذرا لا يعرف من الاصدقاء غير رفقاء الحانة ولا يفتح كتابا ولا يطبق اليقظة .

ان ابنها يعرف الطلبة والاساتذة والمهذبين . ولا يشرب الخمر . ويدفعها حبها لابنها الى السؤال عن معنى الثورة بل معانيها والى الاهداف الانسانية الكبرى التي يحتضنها ابنها وزملاؤه والى البرامج التي يتبعونها . وتتسلل الكلمات والافكار الى قلبها . ويدخل شعاع بعد شعاع من النور الى عقلها المظلم . فيستضيء .

وتشرع ، وهي في العقد الخامس او السادس من عمرها ، في تعلم القراءة .

لقد احالتها افكار الثورة الى انسان ناهض بعد نصف قرن من الظلام . وتلقي حكومة القيصر القبض على ابنها لانه يخطب ويوزع المنشورات الثورية ضد القيصر . وتطرده في السجن .

ولكن الام التي كانت جديرة قبل ذلك بان تصرخ وتولول ، اذ لم يكن لها في هذه الدنيا من امال سوى هذا الابن ، تتغلب على الصدمة وتنهض ، وتتابع في جد ، الدعوة الى الثورة .

لقد تغيرت هذه المرأة وعرفت قصدا جديدا في الحياة .

كانت اما لابنها . فاصبحت ، بمبادئ الثورة التي تعلمتها ، اما لجميع الشباب في العالم .

روائع المسرح العالمي

سلسلة كتب تنتظم ارووع المسرحيات العالمية واشهرها

وتتناول من القضايا ما يهم كل مثقف عربي

(يشرف على ترجمتها الدكتور سهيل ادريس)

صدر منها

- ١ الايدي القذرة (نفدت) تأليف جان بول سارتر
- ٢ بستان الكرز » انطوان تشيخوف
- ٣ الحقيقة ماتت » عمانوئيل روبلس
- ٤ كانديدا » برناردشو
- ٥ الافواه اللامجدية » سيمون دوبوفوار
- ٦ البلور المحرق » تشارلز مورغان
- ٧ ثمن الحرية » عمانوئيل روبلس
- ٨ العادلون » البير كامو
- موتى بلا قبور » جان بول سارتر

تطلب هذه السلسلة من

دار العلم للملايين

ودار الاداب - بيروت

وكانت تقصر اهتمامها على شئون بيتها فاصبحت تهتم بالانسانية كلها .
لقد اخذ القصد العام في حياتها مكان القصد الخاص .
انها توزع المنشورات التي تشرح للناس سوء حياتهم وعيب المظالم
وعبت القيصر واعوانه بمصايرهم . وتقرأ وتفهم .
وهذه هي السعادة الحقيقية . السعادة التي نجدها في زيادة الوعي
بان نتالم بل نتعذب حتى نعرف ونوجه ونصلح الدنيا . بل الواقع ان
ما نعاناه من الم وعذاب يعود لذة سامية لاحساسنا باننا نؤدي واجبا
انسانيا على المستوى العالي في حياتنا .
ويقبض على الام ، بعد القبض على الابن ، ويستمر القيصر وحكومته
في متابعة خطط الاذلال للشعب . ولكن الى حين .
هذه هي القصة التي تشرح لنا كيف كان الثائرون في روسيا يعملون
قبل ان تصل الثورة الى انفجارها الاخير في ١٩١٧ .
قصة الام هي الطراز الذي يمكن ان نقول ان سائر مؤلفات جوركي قد
بنى على غرارها . فانا حين نهض بالثورة على المظالم الاجتماعية
والحكومية انما نهضنا ايضا هذه الثورة .
الثائر ناهض يقظ بعد ركود ونوم .
الثائر يجد القصد في حياته بعد استسلام للقدر .
الثائر يفكر ويتعلم ويتطور .
الثائر يجد الدنيا والانسان والمجتمع والعلم موضوع اهتمامه بدلا من
تلك الاهتمامات الصغيرة التي تمنليء بها النفوس الصغيرة من السعي وراء
الثراء والتفوق والجاه .

لكي تستطيع ان تتذوق فلسفة وادب

الكاتب الفرنسي الكبير البير كامو

الحائز على جائزة نوبل للآداب ١٩٥٧

لا بد من ان تقرأ

كامو والتمرد

تأليف روبير دو لوبيه

ترجمة الدكتور سهيل ادريس

يطلب من

دار الآداب - بيروت

ان جوركي واقعي يصف لنا احيانا الظلام الحالك في النفوس الحريصة
التي افسدتها مظالم المجتمع . وهو ، مع انه يضيف الى هذه الواقعية ،
في اغلب الاحوال ، املا مشرقا في المستقبل ، فانه لا يتعالم عن المصير
المحزن واليأس الشامل للذين يسودان الناس في بعض الاحوال .
وقصته : « مخلوقات كانت رجلا » هي قصة الانهيار النفسي او
حطامات من الناس . يرتكبون الجريمة ، ويجرؤون على الفضيحة ، ويفرون
من الزوجة والابناء ، ويهيمنون لصوصا او مشردين ، وبالعاجون بؤسهم
بالخمر . ويحيون في ظلام لا يتخلله بصيص من النور او شعاع من الامل .
ويقف جوركي هنا عاجزا عن العلاج .

ان العلاج يقتضي ان يولد هؤلاء الساقطون ميلادا جديدا كما ولد
بافيل فلاسوف على ايدي الشبان الثائرين الذين علموه قصدا جديدا
في الحياة اعم واكبر من الاهداف الشخصية الصغيرة .

وحيث لا يوجد هذا القصد اعم الاكبر يكون الموت او الجنون .
ونحن نجد الموت بالخمر ، قبل الدفن الرسمي ، في هذه المخلوقات
التي كانت رجلا . ونجد الجنون في قصة توما جورديف . فان هذه
القصة ايضا لا تنتهي بالنور يشرق على الظلام . وانما نهايتها جنون يطبق
على العقل العاجز .

ولكن في كلتا القصتين نحس وطأة المجتمع التي تدفع بهذه «المخلوقات»
الى الخمر ، كما تدفع بتوما جورديف الى الجنون .

نشأ توما في عائلة يرأسها ابوه التاجر الذي لم يكن يفهم من معاني
الصلاح والخير والاستقامة في هذه الدنيا سوى تحقيق النجاح .

والنجاح عنده هو جمع المال . اليس هو تاجر ؟

ويموت الاب . ويرثه الابن في ثروته المؤلفة من بخاريات تنقل البضائع
في نهر الفولجا . ثم يشرع الشاب في التعرف الى الدنيا . فقد اهل
ابوه تعليمه ولم يلتفت الى تربيته . وكيف كان يمكنه ان يربيه مع انه هو
لم يحصل على تعليم او تربية . كما ان امه كانت قد ماتت وهي في ميلاده .
وهو يتعرف الى الدنيا من اسفل . فيشرب الخمر وينزق نزق الشباب
محروما من الصديق الناصح او الكتاب النير . كانت كل ميزاته انه ثري .
بل كان له صديق هو شيبينه . وكان للشيبين مقام كبير في روسيا
القيصرية .

ولكن هذا الشيبين كان ايضا تاجرا ينظر الى الدنيا ويتخير منها كل ماله
قيمة تجارية . والنجاح عنده هو الثراء .

والتاجر هو اكره ما يكره جوركي ، هذا التاجر الذي كثيرا ما يفخر
بانه عصامي مجد مثابر . في اي شيء ؟ في جمع المال .
يجمع المال لحض جمع المال . وهو يحتقر كل من لا يشرى مثله ويتهمهم
بانهم كسالى خائرون لا نفعا منهم .

وتوما يتعرف الى صحفي منهار على دراية بالبؤس الاجتماعي . وهو
ينهار ويدمن الشراب لانه يعجز عن الاصلاح .

والقليل الذي تعلمه توما من هذا الصحفي يحمله على التأمل فيمن
حوله من امثاله الاثرياء . فيجد الخسة والسفالة والفقر تملو الى المكانة
الاجتماعية المرموقة . وينفجر في احدي الحفلات عقب الشراب الذي
يحمله على ان يبوح بما في صدره . ولكن ثورته صبيانية غير ناضجة .
طارئة مفاجئة ليس لها تبرير .

ولذلك يتألم عليه الاثرياء . وبما لهم من حظوة في المجتمع والحكومة

يعتونه الى مستشفى للأمراض العقلية . ثم يفرج عنه مجنوناً يتسكع في الشوارع .
ان جوركي في قصة « المخلوقات التي كانت رجالاً » تقم في قصة « توما جوردييف » لا يجد مجالاً للتفاؤل . وهو هنا واقعي لا أكثر .

ان ايمان جوركي بالانسانية لا ينطوي على قدرة الانسان على الثورة على المظالم فقط . اذ هو يبنى آماله في الثورة على انها تجمل بالعلم . العلم الذي يحرر الانسان من خرافات القرون المظلمة . العلم الذي يصنع البيئة والتجربة مكان العقيدة والتسليم . العلم الذي حين نعرفه ونتحقق من ممكناته نقول : كنا عبيداً فصرنا احراراً .

العلم الذي نأمل به ان نرفع دخل العائلة المصرية في المتوسط من اربعين جنيهاً في العام الى الف جنيه والى الف جنيه في العام . العلم الذي يبصرنا بأجل الكون ونهايته . بلا خرافات موروثة . في سنة ١٩٢٩ كتب جوركي مقالاً ذكر فيه قصة وقعت في ١٩١٧ يقول فيها ان احد الجنود الذين اشتركوا في الثورة كان يتحدث الى احد اعدائها ، اعداء الثورة ، وكان يصف له ما سوف يقوم به النظام الجديد وشرح الامال ويبني القصور . فكان عدو الثورة يتهم به ويقول :

« انكم ستجعلون العالم كروياً كالبيضة » .

فيقول الجندي : « اجل سنجعله كذلك » .

فيقول العدو : « وستجبلون الجبال وديانا » .

فيقول الجندي : « اجل . بلا شك اذا كانت هذه الجبال ستقف في طريقنا » .

ويقول العدو : « وستمسكون مجرى الانهار حتى تعود مياهها القهقري » .

ويقول الجندي : « اجل . هذا ما سوف نفعل . سنوجه مياهها الى حيث نريد . ماذا يضحكك في هذا ؟ » .

ويزيد الجندي على ذلك فيقول « لا نحتاج الا الى الوقت الذي يعيد الى الناس عقولهم . وعندئذ سنحنون وتشكروننا » .

ما الذي كان يقصده الجندي بهذه الاجابات ؟

كان يقصد ان الدنيا ستغير بقدرة الانسان . بالعلم .

وايمان جوركي بالعلم كبير . كتب في ١٩١٢ يقول :

« ان العلم قد اصبح المركز العصبي للأرض »

وفي ١٩٣٥ كتب يقول عن استخدام العلم في روسيا :

« ان الشعب يوجد علاقات جديدة بين الانواع المختلفة من المادة . وبذلك تتغير الدنيا » .

★

الفن هو شكل ومضمون .

اما المضمون عند جوركي فقد ذكرته . وهو يتلخص في الايمان بمظلمة الانسان والامل في مستقبله العظيم باستخدام العلم . وليست الفضائل عنده من صنع الحكومات او الايمان او الحكماء وانما هي من صنع الشعب .

وهو مثل جميع الادباء والعظماء في التاريخ يجد ان الانسان في صميمه نبيل ، جميل ، طيب ، وانما يفسده الفقر والظلم والجهل . وان الاعوجاج يعود الى مظالم المجتمع وليس الى فساد اصيل في نظرة الانسان .

هذا هو مضمون الفن عند جوركي . والان ما هو الشكل ؟

وانا اجيب على هذا السؤال بسؤال آخر هو : هل لنا الحق بعد ان عرفنا المضمون ان نسأل عن الشكل
انا لا اسأل هذا السؤال لان المضمون عند جوركي يستغرق كل ذهني .

في احدى الدرامات التي ألفها برنارد شو يقف احد الاشخاص ويندفع في نقاش يدي فيه غضبه من اولئك المؤلفين الذين تباع مؤلفاتهم . فاذا فتحت كتاباً لهم وشرعت تقرأ وجدت ما يمسك من هموم ومشكلات ومآسي يعرضها عليك المؤلف فتحزن وتبتئس او تسخط وتلعن .

ويقول هذا الشخص ان المؤلف لهذا الكتاب يجب مقاضاته واسترداد ثمن الكتاب منه لانه باعه سلعة مفشوشة . اذ هو يفهم من اقتناء الكتاب ما ان مؤلفه يرفه عنه ويلهيه ويسليه ويتيح له ان يقضي سنة سعيدة يقرأ فيها عن الحوادث الطريفة في الاسلوب العذب . اما اذا فعل العكس وعرض عليه المشكلات الاجتماعية التي تحزنه فانه يعد غشاشاً اخذ ثمن الكتاب بغير حق .

وكثير من قراء الصحف والكتب يطلبون اللهو والتسلية فيما يقرأون . ويجدون من يزودونهم بما يطلبون . وهم يقولون على هذه العادة طيلة حياتهم . ضمانتهم منومة في غيبوبة كما ان عقولهم مقفلة لا تستنير .

ولكن هناك نوعاً آخر من الكتب المرة يؤلفها الكاتب المر الذي لا يختار لك ما يحلو وينوم ويخدر ولا يستهدف العبارة الانيقة او الاسلوب العذب لانه انما يعالج شأناً اعظم من حلالة التعبير او لذة النادرة او طرافة النكتة .

انه يعالج المشكلات الخطيرة للمجتمع والضمير ولا ينفك يشر الفبار ويحفر عن العفن المختبيء ويفضح السرقة والفدر ويحضر على الثورة على المظالم . بل احياناً يتعسك لانه يجعلك تفق على ما فيك انت من تفاهة وتراخ او استهتار . وانت تخرج بعد قراءتك له ونفسك مرة قد ازدادت الدنيا مشاكل في وجهك بدل ان تنقص . وقد ازدادت انت احساساً بنقصك واهمالك . فانت تفضب وتسخط او تحزن وتبتئس . اجل . ولكنك تستنير وتستيقظ ولعل يظنك هذه تكون وسيلة لان تتغير وتتطور وترتقي في تقويم نفسك وزيادة انسانيته واصلاح مجتمعه .

وليس هناك كاتب عظيم الا وتحس المرارة فيما يكتب . وهذا هو الشأن في برنارد شو على الرغم من نكاته التي يضحكنا بها حتى لا نبكي . وهذا هو الشأن ايضا في تولستوي ودستوفسكي وفولتير وريتان . وذلك لانهم يعرفوننا بالاحزان والمآسي والمشكلات التي تحيط بنا والتي نغفل عنها ذاهلين في لهونا .

كان مكسيم جوركي يسمى في ورقة ميلاده اليكزاي ييشكوف . ونشأ على هذا الاسم الى ان وجد له قلماً يشرح ما كان يعانيه ابناء وطنه من مآسي ومظالم وقدر وعفن . فشرع يشرحها ويبسطها في مقالات وقصص مرة مؤلمة . واتخذ لذلك اسم مكسيم جوركي .

وكلمة « جوركي » تعني في لفته « المر » .

لقد عرف رسالته في هذه الدنيا وعرف انه كاتب مر يعلم قراءه ويقسو عليهم حتى يستيقظوا . ونحن نقرأه لا لنلهو ولكن لننالم وتنبيه ونزداد ذكاء ورجولة .

سلامه موسى

القاهرة

التكليف الحضاري

وأصول الفكر العربي المعاصر

بقلم الدكتور محيي الدين صابر

الفكر والمجتمع

الفكر العربي يمر في لحظات تاريخية حاسمة ، ومن الخير ان نتعرف على طبيعته ، وأن ندرس مصادر القوة فيه فننميها ، وان نتبصر مواقع الضعف فنعالجها ، وان نحدد شخصيته لان ذلك يحدد بدوره الشخصية العربية اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا .

واذا كان الفكر هو الصورة المجردة للتطبيقات العملية لنشاط الانسان في المجتمع ، وهو التنظيم العقلي للتنظيمات الاجتماعية العاجلة القائمة او هو الوجه الثقافي للحضارة المادية ، اذا كان ذلك كذلك ، فان الفكر يتأثر بالمجتمع بالقدر الذي يؤثر المجتمع فيه فهما يتعاملان فاعلية وتأثيرا .

وهكذا ينمو الفكر كلما نمت الحياة التي ينبع هو منها ، والتي يعبر هو عنها بطبيعته المجردة ويتسع كلما اتسعت ، لان الفكر نشاط وظيفي ، ذو دور رئيسي في تحريك قوى المجتمع وتطويرها .

والفكر العربي ، بداهة ، هو صورة الحياة العربية ، نشأة وتطورا ووظيفة ، وفي تاريخنا افكار عربية بقدر الحيوانات العربية التي تواردت على حلقات التاريخ .

فالفكر العربي اليوم ، يختلف نوعيا وروحيا ، عن الفكر العربي التاريخي ، بقدر اختلاف حياة العرب انفسهم اليوم عن حياتهم قبل قرون ، فقد كان المجتمع العربي مجتمعاً بدوياً يمارس حضارة رعوية في الغالب الاعم ، على ان مجموعات اخرى منه كانت ذات حضارة زراعية بادية في جنوب الجزيرة ، فجاء الفكر العربي بدوياً رعوياً ، انعكس عليه نشاط المجتمع فأبرز الفضائل والمثل البدوية الرعوية ، وهي صورة عاطفية عن تلك الحياة القائمة على المغامرة والفراغ ، والتي هي بنت الطبيعة الحسية القاسية الشحيحة .

والمغامرة تمثل جماع السلوك البدوي : وهي احيانا ايجابية وحيانا سلبية . فالشجاعة والكرم والوفاء والاخذ بالثأر ، وفكرة العرض ، كل ذلك يرجع في اصوله بالطريقة التي مارسها الجماعات البدوية ، الى المغامرة التي هي وسيلة البقاء في تلك الحياة ، اما الفراغ فهو نتيجة لطبيعة النشاط السلبي امام ثروات الطبيعة وقدراتها .

الفكر العربي والثقافة الإسلامية :

كان ذلك ، والمجتمع العربي يتطور تطورا تهيات معه الامور لانبعثت الرسالة الإسلامية بتنظيماتها ومثلها ووسائلها ، فاستوعبت الحياة العربية التي انتقلت معها ، واندفعت من اطارها التاريخي ، ومدارها الحضاري الى

مجالات اخرى ، هي مهد لحضارات زراعية مستقرة .

وتصرمت فترة الانتقال ، والعرب يأخذون فيها التمكين للدعوة الإسلامية خارج نطاق الجزيرة العربية ، محاربين ومقاتلين . واقبلت فترة الاستيطان ، فاستقروا حيث انتهى بهم النصر وحيث حملتهم خيولهم وسيوفهم ، فكل دار فتحوها هي دار للمسلمين على اختلاف حضارتهم وعناصرهم ، وسرعان ما واجه الفكر العربي عننا واکراها في التأقلم مع الحياة الجديدة والتكيف بها .

ظهر ذلك في العهد الايوبي ، في استعلاء الخصائص العربية ، على الشعوب الإسلامية ، ثم اتسعت المفارقة في العهود وبعد ذلك ، فيما ظهر من دعوة في المجتمع الاسلامي ، عرفت باسم الشعوبية ، وطالت المناظرات ، وتشقق الجدل ، وتناول الناقدون القيم الخلقية والحضارية ونوعا من حياة البادية التي عاشها العرب . واستهان العرب بدورهم بحضارات منافسيهم الاقوياء ، ووصفوها بالرخاوة والذلة ، وتهاكموا من الزراعة والزراعيين من اهل البقول مما نجد خبره في النصوص الادبية وفي الروايات التاريخية .

والاسلام وقد اتخذ من البيان العربي تعبيرا ولسانا كان يحمل معه انى انتشر اصول ذلك التفكير في نصوصه المقدسة في القرآن والاثار النبوية ، ومن خلال المناظرات التيولوجية بين بقايا الديانات ، خصب الفكر العربي خصوصية الحياة الإسلامية نفسها فكانت الحضارات الفارسية والسيانية واليونانية والعربية ، تعيش متفاعلة في حياة العباسيين في القصور والاسواق ، وفي جهاز الحكم وفي المعاهد وفي حياة الناس وكل يوم ، وفيما يضطربون فيه من شئون .

ان نوع الحياة العباسية ، بما فيها من سعة وتعقيد ، كان يمثل الترف الفكري ، والنضوج الثقافي في الفكر العربي من خلال الثقافة الإسلامية .

الفكر العربي والثقافات الأجنبية :

ولا بد هنا ، من الاشارة بوصف خاص الى ان الالتقاء الذي تم بين الثقافات الأجنبية وبين الفكر العربي ، لم يكن اساسا الا التقاء بين الثقافة الإسلامية وبين تلك الثقافات ، وليس ادل على هذا من ان الآثار الاولى لهذا اللقاء كانت آثارا تيولوجية ظهرت ، فيما نشأت ونشطت من مذاهب فكرية ، كانت في اصولها تدور حول حرية الاختيار ، وانتجت الاتجاهات المتعددة بين المعتزلة واهل السنة ،

والفرق التي تناسلت منها ، وامتد هذا المنهج الجدلي في البحث فشل حتى الاتجاهات الادبية الخالصة كالخلاف بين البصريين والكوفيين .

والمعارف التي ترجمت ، خارج دائرة الافكار الدينية ، كالتب والكمياء والفلك : ترجمت لانها كانت ذات صبغة عالمية ، وهذا يفسر لنا الى حد كبير، لماذا لم تختلط الاعمال الادبية الاجنبية خاصة ما كان متقدما منها ، كالادب اليونانية ، بالادب العربية . ذلك ان الادب ترتبط ارتباطا وثيقا بنوع الحياة ، بالانسان الذي ينتجها لما فيها من عنصر الذاتية ، واختلاف نوع الحياة ونوع الحضارة هو السذي اضعف الاختلاط الفكري بين العرب . وبين الثقافات الاجنبية ، الا في ميدان العلوم للصفة العالمية التي تضمنها ، والا في الميدان الديني ، حيث توجد الى جانب هذه الصفة جزئيا ، الرغبة في تأكيد الدعوة الاسلامية بالمنطق والمقارنة والجدل .

ونستطيع بصفة عامة ، ان نرى التأثير الاجنبي في الميدان الفكري ، كان تأثيرا منهجيا في طريقة البحث اكثر من تأثير المضمون والافكار ، ولهذا قلما اصاب الحوانب الادبسية العربية من هذا الالتقاء .

ومع هذا فقد ظل الفكر العربي في مجموعه هو صورة الحياذ الاسلامية قرونا طويلة يقوى ويضعف معها واستقبل ما استقبلته من انتصارات وهزائم ، فعاصر الامبراطوريات الاسلامية الظافرة في المشرق والمغرب ، وعاش الحروب الصليبية ، ونكبة التتر ، وكارثة الاندلس ، وكان اسفاف الفكر العربي مساويا لاسفاف التنظيمات الاجتماعية التي يعبر عنها ، حتى قامت الخلافة العثمانية على اسس تيولوجية ، وفي هذه الفترة بدأت ، وبعبارة ادق ، انتهت المقدمات الطويلة من تسلط العناصر الاسلامية غير العربية على القيادة السياسية الى فصل الصلة بين التراث الاسلامي كنظيم سياسي وبين الفكر العربي كتعبير عن هذا النظم . وفي اخريات العهد العثماني اتخذت الصلة بينهما نوعا من انواع الصراع ، حين استأثر الاتراك بالحكم ، ولجأ الى عنصرية اتنولوجية ، قاومتها العناصر العربية بمثلها . . . وفي هذه الاثناء كان يحدث في العالم تطور عظيم ، فكانت تتحرك الى جانب التنظيم الاسلامي السياسي في المشرق ، القوميات الوطنية في اوربا .

كانت الخلافة العثمانية تعمل على تجميع العناصر القومية تحت راية ايديولوجية ، اسلامية ، وكانت اوربا تعمل على انفصال تلك العناصر ، واستقلالها وشأنها ، وتقوي فكرة القومية الوطنية .

الحضارة الصناعية والتنظيمات السياسية

ولم تنشأ القوميات في اوربا ، الا نتيجة لعملية طويلة من التطور الاجتماعي والاقتصادي والثقافي فسي حلقات التراث المشترك للحضارة العربية .

وقامت في التاريخ البشري حضارة جديدة هي الحضارة الصناعية ، التي جاءت بعد الحضارات الزراعية والرعوبة ، على مختلف مستوياتها .

واذا كانت الثورة الصناعية ، في انجلترا ، قد اكدت النظام الاقتصادي لهذه الحضارة ، فان الثورتين الفرنسية والاميركية قد اكدتا النظام السياسي لها ، بتقرير القوميات الوطنية وحق تقرير المصير السياسي للشعوب . والامتداد الاقتصادي والسياسي من خصائص هذه الحضارة الصناعية . مما نشأ عنه نظام اقتصادي سياسي عرف باسم الاستعمار .

ذلك ان الصناعة القادرة المكنزة ، لا بد لها من مواد اولية تعمل على تحويلها الى سلع ، والمواد الاولية تجبى من اطراف الارض ، ولا بد من هذه المواد الاولية حين تحول الى السلع من اسواق استهلاكية ، وفي سبيل احتكار المواد الاولية ، اولا ، والاسواق ثانيا استعملت الاساليب والحربية وظهرت فكرة الاستعمار كحقيقة في الشعوب الزراعية والرعية والمتخلفة صناعيا .

فالاستعمار كان لازمة عضوية للتنظيم الاقتصادي والسياسي لهذه الحضارة الصناعية في مراحلها الاولى ، قبل ان تستقر القيم الاخلاقية النابعة منها ، والمتمثلة في العلاقات المختلفة التي اوجدتها في المجتمع .

وانقسم العالم الى حضارتين ، حضارة صناعية متقدمة ، حضارة من سلطة امرة ، وحضارة زراعية متخلفة ، حضارة خاضعة مسودة .

التكليف الحضاري :

والحضارة الصناعية تحمل في ذاتها عالمية شاملة ، لانها قائمة على حقائق علمية ثابتة ، حقائق موضوعية لا تحد من صحتها نسبية زمانية ولا مكانية ، ومن هنا استطاعت ان تغزو العالم كله ، على انها صنعت لنفسها من وسائل الانتشار والذوب ومن اساليب الامتداد والتسرب ما هزمت به الفواصل الطبيعية والحضارية ، وبدأ انتقال الافكار وتبادلها حول العالم يتم في سرعة مذهلة حقا وهذا هو التبادل غير المحدد ، وسع من العلاقات الاجتماعية ، فارتبط العالم كله في حلقة واحدة من المشاكل والحلول ، بحيث انعدمت فكرة الجزئية او كادت في هذه الحضارة التي اصبحت ضرورة يومية في حياة كل انسان معاصر ، فلم يشهد التاريخ البشري تشابها وتعميما في نظمه مثلما شهد في هذا القرن . وانتقلت هذه الحضارة بمثلها وفضائلها ورذائلها وصورها التي لا تنتهي والتي لا تكاد تقع تحت حصر الى كل مكان ، وقد ادى هذا التلاقي بينهما وبين الحضارات الاخرى الى صراع مقيم وهذا الصراع هو احدى عمليات التكليف الحضاري . . وهذا الصراع يمتد في كل مظاهر الحياة الاجتماعية ، وتضطرب القوم وتهتز المقاييس العامة ، حتى يخلص هذا الصراع الى التمثيل التام للحضارة الصناعية ، والفكر العربي والمجتمع العربي ، قد اوفيا على نهاية هذا الصراع وتمثلت اقوى المجموعات فيهما هذه الحضارة وبقيت اثار هذا الصراع في مناطق اخرى في المجتمع العربي ، هي لا شك لاحقة بالقافلة التي تحدد القومية العربية .

قانون التشابه والتغاير

ان الاستعمار كان وسيلة هذه الحضارة وسبيلها الى الحضارات الزراعية والرعية المختلفة وقد قام بتوريث هذه الحضارات الاصول الفكرية للحضارة الصناعية كالديمقراطية والحريسة ، وحقوق الانسان والنظم الادارية والقضائية والاقتصادية الخ... فنشأ عنصر تشرب مثلها واعتنق مبادئها ، وآمن بوسائلها . وهذا ما ادى تسميته بالعنصر المتشابه وهو يدخل في مرحلة معينة من النضوج تمكنه من المنافسة في صراع مع الاستعمار وينتصر عليه ليقيم نظاما هو صورة على نحو من الانحاء ، من الحضارة الصناعية .

والى جانب الحضارة الاصلية - الزراعية او الرعية - للمجتمع، عنصر تقاوم فيه، ويمثلها في وجه الحضارة الصناعية، وهذا العنصر يتفق في مرحلة الصراع والتكيف، مع العنصر المتشابه في المقاومة ، ولكن الصراع يبدأ بينهما مرة أخرى حين يخلوان الى انفسهما في مجتمع واحد لان العنصر المتشابه ، يستمر في تمثيل الحضارة الصناعة ومثلها ومبادئها . فالدوافع التي تدفع فريقين من المجموعة لمقاومة الاستعمار مثلاً تختلف باختلاف الثقافة ومصادرها، فالثقافة المدنية التي هي نتاج الحضارة الصناعية تقام الاستعمار بنفس مثله ومبادئه باسم الحرية والديمقراطية وبحق تقرير المصير . والثقافة الدينية التي ليست من نتاج تلك الحضارة بل هي تراث روحي للمجتمع تقاوم الاستعمار لانه نظام دخيل غريب في مبادئه وتفصيله ، في وسائله وغاياته . . لانه شيء يتعارض اساسا في قيمه ، مع القيم الروحية للمجتمع ، ولكنهما يقاومان معا ، فاذا خرج الاستعمار بشكله السياسي يبدأ صراع اخر بين الحضارتين والثقافتين في تنظيم المجتمع ، اى ظل كما هو تنظيمها صناعيا ام يعاد بناؤه على اسس من المثل والتقاليد الموروثة عن المجتمعات الزراعية او الرعية ؟ مثل ذلك ، وجد في الهند ونيجيريا وساحل الذهب ومصر والسودان ومراكش ، وفي كل بلد تحرر من الاستعمار . وهذا كما اسلفت مرحلة حاسمة في عملية التكيف والتمثيل الحضاري وهي تنتهي بانتصار عنصر التشابه .

تكيف الفكر العربي

على ضوء هذه الحقائق الموجزة نحاول ان نبين كيف تكيف الفكر المعاصر مع الحضارة الغربية الصناعية . والواقع ان جو القومية الحديثة قد تغلل كيان الخلافة العثمانية . ووقفت العناصر العربية صفا واحدا تطالب بالاعتراف بالقومية العربية واتخذت هذه المطالبة صورتها النهائية خلال الحرب العالمية الاولى التي انتهت فيما انتهت اليها الى تقسيم العرب لوحدة استاثر بها الدول الغربية ، فنقلت اليها مثالياتها الحضارية وتكون العنصر المتشابه الذي نافس الاستعمار ، فاخرجه من كثير من مناطق .

وهنا نلاحظ ان الفكر العربي انفصل عن الثقافة الاسلامية ، كتنظيم سياسي، وحاول ان يقيم كيانا منفصلا . وليس معنى هذا انه وضع حدودا بينه وبين الثقافة الاسلامية كقيمة فكرية وتراث روحي ، فانه عسير ان لم

يكن مستحيلا تصور الفكر العربي منفصلا عن الثقافة الاسلامية التي يعتبر الفكر العربي مصدرها الرئيسي والاصيل . ولكن معناه ان الحضارة الصناعية اثرت بتمثلها الثقافية على الفكر العربي الذي استجاب للمفهوم الجديد للقومية الوطنية ، مقابل القومية الاسلامية بانفصال السلطتين الزمنية والروحية ، الامر الذي كان قد حدث في المسيحية منذ عهد بعيد ، واستغنت الشعوب الاسلامية بدورها عن العربية كتعبير عن ثقافتها ، واكتفت بتعبيراتها القومية تحت تأثير الحضارة الصناعية ايضا . وليس ادل على تأثير الحضارة الصناعية على القومية العربية من ان الهبة العربية انبعثت من المواطن التي كان اتصالها بتلك الحضارة وبثقافتها اقدم واكثر . انبعثت من الشام حيث بدأت حركات المستشرقين او نشاط البعث العلمية الاوروبية فازد المفكرون من ابناء الشام هذه الدعوة التي تزعمها عناصر الهاشميين لاسباب سيكولوجية لاثنا المسلمين العرب بالتخلي عن فكرة الخلافة الاسلامية واشعارهم بان الخلافة ليست في العجم وانما في بيت النبوة وفي العرب ولكن الاسس الفكرية للدعوة كانت انعكاسا لتأثير الثقافة الغربية على الفكر العربي . وقد تبع هذا الموقف الجديد انبعث فكري للتراث العربي ، وبدأت مرحلة جديدة للتكيف واتخذ هذا التكيف صورة العودة الى الماضي واستعادت مجد الاسلوب العربي في البيان وليست هذه العملية عملية رجعية بل انها تدل على اتساع المضامين الجديدة في الفكر العربي وهذا الاتساع في المضامين استدعى قوة في الشكل وفي الاداء وفي التعبير فكان ظهور الادباء الذين اخضعوا التعبير العربي مرتبطا بتحولات المجتمع العربي . فالبارودي وشوقي وحافظ يواكبون المجتمع المصري، منذ الثورة العربية الى ثورة سنة ١٩١٩ . ويخرج جيل سليم الاداء . مبنين التعبير ، ويحمل البيان العربي عبء مواجهة التعبير عن المدينة الحديثة ويقول حافظ عن لسان اللغة العربية في هذه المرحلة :

وسعت كتاب الله لفظا وحكمة وما ضقت عن آي به وعظات
فكيف اضيق اليوم عن وصف آله وتجديد أسماء لمخترعات

كانت العودة الى الماضي للانطلاق الى المستقبل بوسائل تعبيرية اقوى ... فظهرت الاساليب البحثية والنواسبية والتنبيهية والعلائية .

وفي السودان نجد الشيخ عمر البنا والحسين ابن الزهراء يعاصرون الحركة المهدية الثورية ثم يقبل بعدهم ، عبدالله البنا وعبدالله عبد الرحمن والعباسي وصالح عبد القادر في فترات من الكفاح ، ثم شعراء من جيل حديث يكون نار الوطنية مثل على نور ، والمهدي مجذوب ومير صالح وحسن طه ومحبي الدين صابر وغيرهم كثير .

وعكف العلماء الادباء من ناحية اخرى على امداد هذه الحركة بالروافد الفنية بنشر وتصحيح المصادر الكبرى للغة والادب ، وكلما اشتد وعي الفكر اشتد تعلقه بتراثه ليحقق منه اكبر قدر من الوظيفة التعبيرية لمقتضيات الحياة الجديدة ، وكان الكتاب والصحفيون قد حملوا العبء الاكبر في تطوير واخصاب الاسلوب العربي .

وبفضل هذا التراث التعبيري المشترك استعاد الفكر العربي وحدته ، وجمع حوله كل العناصر التي تقاسم تاريخنا هذا التراث . كان هذا التطور الفكري يصحب التطور الاجتماعي والسياسي بل كانا صورتين متكاملتين لحقيقة واحدة ، فما يكاد يتم تحرير جزء من الكيان العربي الا ويندفع الى الكيان الاخر ، بمستوى الدوافع الفكرية . وحين ننظر اليوم نجد ان المناطق ذات النضوج الثقافي ، والترشيد الفكري في هذا الكيان، اكثر المناطق احساسا بدوافع الوحدة ، وايمانا بالقومية العربية ، مصر

عن حضارات زراعية في مستويات مختلفة ، وتأثر بهذه المضامين في المثل البلاغية والمناهج التعبيرية ولا تزال حتى اليوم تلك التعابير التي نستعملها وسوريا .

١ - أصول الفكر العربي المعاصر :

الفكر العربي كان نتاج حضارة رعوية أساسا ، ثم امتد مع الإسلام ، فعبّر في تشبيهاتها واستعاراتها وتعبيرها كثيرا من ملامح تلك الحضارات: مثل « حصباء در على أرض من الذهب » واستمرت لأولاً من نرجس فسقت وردا وعصت على العناب بالبرد « ومثل اصاب كبد الحقيقة وضرب اكباد الأبل « وكثير من الصور الأخرى التي ظل مغفولها البياني نافذا حتى اليوم فلم تستهدف بعد مقاييس جمالية في التعبير ، فالمثل البلاغية القديمة ما تزال قائمة وستظل كذلك دهورا طويلا ذلك لأن المثل البلاغية اكتسبت صفة من صفات التقديس التي انتزعتها من القرآن والآثار النبوية وهما أية البلاغة ومثال الإعجاز في البيان العربي فما ذانها وقرب من مناهما كان بليغا وكان جميلا .

وهذا الفكر الرعوي الزراعي يواجه اليوم حضارة صناعية ذات مثل وتنظيمات تختلف قيما عن تلك الحضارات الزراعية الرعوية ولم تعد تلك الحضارات هي أصول الفكر العربي المعاصر ، أصوله في المضمون لأن هذا الفكر يعيش اليوم حضارة صناعية ولكن تلك الحضارات لا تزال إلى حد كبير ورئيسي أصول هذا الفكر في الشكل والمثل التعبيرية للسبب السابق ، وهذه الثنائية هي من الصعوبات التي تواجه عملية تكييفه الثقافي ، من الناحية التعبيرية ومن ناحية المثل الجمالية للبيان العربي الحديث .

إن المجتمع العربي تقبل الحضارة الصناعية وقادت العناصر المتشابهة فيه التطور الفكري تحت شعارات مختلفة باسم المدنية حيناً وباسم الثقافة حيناً آخر وباسم الحرية والاستقلال أساسا ، وأصبح موضوع الشرق والغرب الذي طال فيه الجدل قبل أعوام بين المثقفين موضوعا انتهى فيه الناس إلى رأي واضح . فلم يعد هناك شرقي ولا غربي ، ولا روحانية ومادية ولكن هنالك حضارات زراعية ورعوية ، تلك التي عاشها مجموعات تاريخية وجغرافية ووجدت منها بعض المثل الفكرية ، وحضارة صناعية قادرة فرضت نفسها على العصر كله ، وجاءت بمثل جديدة ، وفيها كثير من التجريد كذلك ، ولكن الذين عاشوا في صراع بين حضارتين كشعوبنا طالما اعتقدت أن مثل الحضارات الزراعية والرعوية هي الروحانيات وأن الحضارة الصناعية ، مادية لا روحانية فيها ، وهذا منطق غير سوي ولا سليم ، فلكل حضارة روحانياتها وفضائلها ولكنها تختلف عن الأخرى في نوعها ووجهتها وفي رأيي أن مثل هذا الحكم ناشئ من عدم القدرة على التأقلم والتكيف ، وكلما تقدم المجتمع في هذا ، قل شعوره بهذا التناقض ، وهذا ما حدث ، فلم تعتبر هذه المشكلة قائمة اليوم كما كانت قبل أعوام .. فنحن لم نصل إلى التخلص من الاستعمار إلا بعد أن وصلنا إلى مرحلة التشابه مع تنظيماته ومثالياته . فكل تنظيماتنا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية قائمة على نهج الحضارة الصناعية ، تعلم كل مظاهر هذه الحضارة ، ولكن روحها وحقيقتها ظلتا بعيدتين عنا ، تعيش هذه الحضارة وتعاملها ، وتقومها وتقيسها بمقاييس أخرى ، هي مقاييس أخلاقنا وقيمنا . وأخلاقنا وقيامنا لم تنبع بعد من هذه الحضارة ، لذلك كان حكمنا عليها غير سليم . وكان تكييفنا وتمثلنا لها غير كامل .. قبلنا مقدمات هذه الحضارة ، وترددنا في قبول نتائجها ..

ولكن إلى متى ؟ .

إن كتابا وقادة ومفكرين كمصطفى كامل وسعد زغلول ولطفي السيد وطه حسين وهيكمل والعقاد وتوفيق الحكيم حملوا لواء الدعوة إلى الثقافة الغربية والحضارة الصناعية ، وعملوا على تحويل الفكر العربي إلى فكر مشابه . ومن الواضح أن دعوة كدعوة جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ، كانت دعوة تمثل العصر المفاير ، وباتصال الدعوتين وبتحالفهما في فترة الكفاح ضد المظهر السياسي للحضارة الصناعية انبثقت الهبات الوطنية كما حدث سنة ١٩١٩ في مصر ، ولكن نتائج الثورة كانت في يد العنصر المتشابه . وهكذا عاش الفكر العربي الحضارة الصناعية من ناحيتها السلبية بمعنى أن صلة المجتمع العربي بها كانت من ناحية أن المجتمع كان مستهلكا لهذه الحضارة ولم يكن منتجا لها ، ومن هنا فقد الفكر العربي أصالة التشابه ، والتكيف التام معها ، وظل الصراع بين شكل الحضارة الجديدة وتعبيراتها وبين بقايا مضمون الحضارة الزراعية الذي يتمثل في التراث العقلي والمقاييس الخلقية تصطرع فكانت الدعوة إلى روحانية الشرق هي مظهر هذا التناقض .

إن أصول الفكر العربي المعاصر يجب أن تبحث من خلال عملية التكيف والتمثيل للحضارة الصناعية الحديثة بحثا مستقبليا ، لأن هذا الفكر عليه أن يعبر عن علاقات جديدة وعن مضامين جديدة وإنما يجب ألا نفصل المجتمع العربي عن الفكر العربي ، وأن هذا المجتمع العربي إلى جانب وحدته التكنولوجية تقوم فيه المصالح الحيوية والمصائر المشتركة بدور جوهري فعال .

إن الفكر العربي لا يمكن أن يتحدد ويتحرر إلا إذا أصبح معبرا أصيلا عن الحضارة الصناعية المعاصرة ، ففكرة القومية والديمقراطية وحقوق تقرير المصير والرأسمالية والاشتراكية وسائر النظريات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية - إنما هي تنظيم عضوي لهذه الحضارة الصناعية ، وما كان يمكن أن تتجاوب مع أي حضارة أخرى ، ولا تطبق فيها ، وقد وجدت أساس هذه النظريات فكريا في مختلف العصور التاريخية ، ولكنها كانت خيالا لا واقع له .

ونحن حين نقبل هذه التنظيمات ، لا بد أن نقبل المضمون الذي ننظمه به فلا يمكن أن ننظم بهذه التنظيمات مضامين أخرى ، لا يمكن تطبيق الاشتراكية على حضارة رعوية ولا حضارة زراعية في مستوياتها الأولى ، وهي كانت كذلك أو هي كذلك في مجتمعنا .. زراعية غير مكثرة ولا مصنعة ، لأن مثل هذا النشاط الصناعي هو الذي يخلق علاقات اجتماعية معينة بين فريق من المجتمع . ومن هذه العلاقات ، وفي سبيل تنظيماتها وتوظيفاتها ، تدخل هذه التنظيمات . الفكر العربي إذن في مرحلة التكيف الثقافي ، وهو يجاهد في سبيل انمام هذه العملية ، ولما كان غير ممكن فصل الفكر عن العمليات الاجتماعية ، فإن مدى هذا التكيف متوقف ضرورة على مدى تكييف المجتمع العربي نفسه لهذه الحضارة الصناعية تكييفا كاملا وتمثلا لها تمثيلا تاما ، بحيث يصبح المجتمع العربي منتجا للحضارة الصناعية نفسها ، وفي مرحلة كهذه تختفي وإلى الأبد ، ظاهرة الاستعمار من هذا المجتمع ، وتؤكد له السيادة وتحقق الديمقراطية وهما من مثل الحضارة الصناعية وايدولوجيتها ويصبح الفكر العربي من روافد الثقافة العالية المعاصرة بخصائصه النفسية وبتراثه ومذخور خيرات الذي تختلف عن الشعوب الأخرى ، فتشابهه الحضارة المعاصرة لا يتنافى مع التراث القومي الخاص .

ولم يكن شيئاً عارضا ولا نوافعا زمنيا غير مقدر ان تتضح فكره القومية العربية وتعمق في وقت تصنع فيه البلاد العربية ، فالقومية العربية شديدة الصلة بمصنع الصلب والحديد في حلوان وبمشروع السد العالي ، وبالحركات التصنيعية في سوريا ، لان كل هذا محاولة لتكييف المجتمع العربي مع الحضارة الصناعية ، محاولة لجعل هذا المجتمع منتجا حضاريا ، وهذا بدوره سوف يحو الثنائية الفكرية ، ثنائية المثل الزراعية الرعوية ، وواقعية المثل الصناعية ، ويحرر الفكر العربي من المضامين القديمة ، ويحرر الشكل التعبيري للفكر العربي .

وانه من التفاصيل التي لم ترجع الى اصولها ، ما يشكو منه بعض النقاد من دارسي الادب العربي عدم وجود بعض الوان الادب العالي او ضعفها كالقصة والمسرحية والملاحم ، او من عدم مساهمة الفكر العربي في خلق الاتجاهات الادبية والفكرية التي شهدتها الحضارات الصناعية كالرومانتيكية والرمزية والتعبيرية والتكيفية والسريالية ، والواقعية والتجريدية والوجودية والتشخيصية الخ . . .

ذلك ان هذه الاتجاهات كلها نابعة من طبيعة المجتمع الصناعي وحاجاته الى انواع معينة من التعبير ، وضروب خاصة من الفهم . والمواقف الفكرية في مراحل تطورها عن نفسها ، وليست نابعة من طبيعة اللغات الاوروبية ولا من طبيعة اللغة العربية كما يود بعض الناس ان يفسر الاشياء لان اللغة كائن حي ، جزء من ادوات المجتمع ووسائله ، جزء وظيفي

صدر حديثا :

ايحي اللاتيني

رواية

بقلم الدكتور

سميل اديس

الطبعة الثالثة

دار الآداب - بيروت

يتطور ويتسع ويعمق ويعوى ، بالتفاعل مع ظروف النشاط والعلاقات الانسانية . . . فالمشكلة ليست مسألة تعبيرية بالعربية او بلغة اخرى ولكنها مسألة نوع التعبير ، وهذه النوعية ترتبط ارتباطا ملزما وشرطيا ، بنوعية المجتمع المعبر عنه .

فالتفكير العربي المعاصر اذن هو في جوهره : تعبير عن حضارة صناعية، وهذه الازمة التي يمر بها أزمة مرت بكل المجتمعات في حالة انتقالها من مجتمعات زراعية الى مجتمعات حضارية ، وقد تحدد الخط الذي يسير فيه هذا الفكر ، بقبول المجتمع العربي لتفاصيل الحضارة الصناعية، ومثالياتها ومبادئها تقبلا كاملا . وان تحديد شخصية الفكر العربي رهن بتحديد شخصية القومية العربية التي لم تعد منذ الان، شخصية اتنولوجية بل شخصية سياسية ، تلعب المصالح المشتركة والمصائر المشتركة فيها الدور الرئيسي .

القومية العربية :

فالقومية العربية ، مرة اخرى هي صراع ، ودعوة العناصر المتشابهة ، في سبيل تحقيق اقصى مثاليات الحضارة الصناعية واكثرها عدالة ، في ميدان الاقتصاد والسياسة والاجتماع والثقافة وهي ليست حركة اتنولوجية بحتة بل مصالح حيوية تخللت ذلك الكيان اتنولوجي التاريخي ، وهي لهذا اوسع مدارا من العنصرية العربية لان تلك المصالح ترتبط بمصالح العالم كله ، ومن هنا كانت القومية العربية اشد ارتباطا بالوسائل السلمية دوليا فاخترت سياسة الحياد الايجابي ، واعتنقت فلسفة التعايش السلمي ، لانها تريد تحقيق تلك المثاليات بالحري والسلام . ان ثورة مصر على الاستعمار ، وعلى مضاعفاته من الاقطاع والفساد ومستلزماته من الانحلال واثار الجهل والفقر والمرض ، هي مرحلة اساسية في تطور الفكر العربي لانها مرحلة اساسية في تطور المجتمع العربي . . فهذه الثورة ومعركة بور سعيد التي قوت البناء النفسي للشعوب العربية ، وعززت الايديولوجية العربية ، والفنت اسطورة الغرب والشرق واثبتت ان الشعوب العربية تستطيع ان توحيد كلمتها عند الشدة ، وترتفع الى مستوى الاحداث وان تهزم الغرب اذا استعمل الوسائل المتكافئة : هذه المعركة ، ايضا مرحلة رئيسية في تطور الفكر العربي لانها مرحلة رئيسية في تطور المجتمع العربي . . والقرص الروسي السوري الذي سوف يصنع سوريا ، مرحلة رئيسية في تطور الفكر العربي لانها مرحلة رئيسية في تطور المجتمع العربي . . ومشروع اتحاد سوريا ومصر مرحلة حاسمة وتطبيق عملي في تطوير الفكر العربي، والمجتمع العربي في سبيل ايديولوجية عربية ، هي اطار القومية العربية.

محيي الدين صابر

الخرطوم

ضرورة نقافتك عاجلة

بقلم جبار النفاث

كل يوم انواعا من المشاكل لا تتصل اتصالا مباشرا بالاخلاق او الاديان ، ولا يمكن معالجتها الا على مستوى سياسي ، كما أن الاوضاع الاجتماعية اليوم اصبحت تعكس نفسها في اوضاع سياسية ، وأصبح التغير الاجتماعي لا يتم الا اذا سبقه تغير سياسي ، والعصر الحديث كما هو واضح من اكثر العصور تعرضا للتغيرات الاجتماعية ، ومن اكثرها احتياجا الى هذه التغيرات ، ولا يمكن ان تتم هذه التغيرات المطلوبة دون تغيرات سابقة في العقائد السياسية والنظم السياسية ايضا .

واذا كان عصرنا من عصور التغير الجوهري في حياة المجتمعات ، فان هذه القاعدة تنطبق على المجتمعات المتخلفة اكثر من انطباقها على المجتمعات المتحضرة المتقدمة . ان المجتمع المتخلف في شتى جوانبه يستطيع ان يرسم صورة محددة لتقدمه وارتقائه على ضوء النماذج الاجتماعية المتقدمة والموجودة بالفعل ، اما هذه المجتمعات المتقدمة فان طريقها الى مزيد من التقدم باحداث تغييرات جديدة في بنائها لا يعتمد الا على مزيد من التجربة . فالتجربة بالنسبة لهذه المجتمعات هي التي تحددا مكانية التقدم ، والتجربة بالطبع لا تقدم من البدء نتائج محددة واضحة ، بل تقدم هذه النتائج بعد المروء بسلسلة من الخطا والصواب .

ومجتمعنا العربي من المجتمعات المتخلفة التي تحتاج الى تغييرات جوهريّة محددة الخطوط والملامح ، والفرق بين الصورة التي نريدها للمجتمع العربي في شتى اجزائه والصورة القائمة بالفعل فرق كبير . . . وان كانت هناك دول عربية قد بدأت الطريق الى تحقيق هذه الصورة المنشودة ، وعلى رأس هذه الدول : مصر .

وقد كان من الضروري منذ قيام ثورة سنة ١٩٥٢ ان يصل الوعي السياسي في مصر الى افكار جديدة عن الديمقراطية والحرية والنضال والتنظيم الاجتماعي . . . لقد كان قيام الثورة - التي انضحت خطوطها يوما بعد يوم من خلال التجارب العديدة التي خاضتها - تعبيرا عن ضرورة قيام شكل جديد للمجتمع يختلف عن الشكل القديم الذي اصابه العنف والاضطراب ، وفي المجتمع القديم السابق على الثورة كانت الاحزاب هي التي تتحكم في شكل الوعي السياسي ، وكانت هذه الاحزاب بلجانها وصحفها تسيطر على افكار الناس وحياتهم . . . لقد كانت تلك اللجان والصحف هي الوسيلة الوحيدة للتربية السياسية في صفوف الشعب ، ولكن الاحزاب التي كانت تتحكم في الحياة السياسية المصرية لم تكن تؤمن حقا بالشعب ، ولم تكن تعبر عنه تعبيرا صحيحا . . . كانت هناك احزاب منحازة انحيازا صريحا للقوى المعادية للشعب مثل الحزب « السعدي » الذي كان يناصر القصر مناصرة تامة ، وحزب « الاحرار الدستوريين » الذي يضم الاقطاعيين ويعبر عن مصالحهم . . . وكان هناك احزاب اخرى ضلت الطريق لاسباب مختلفة ، فحزب « الوفد » الذي كان اكبر الاحزاب شعبية تسلمت الى قيادته عناصر اقطاعية ، وعناصر انتهازية مترددة ، واراد ان يجمع بين صفوفه كل الاتجاهات والافكار ، وان يوفق بين مصالح قاده ومصالح القصر من جانب وبين مصالح الشعب من جانب آخر ، وكان هناك « الاخوان المسلمون » ، وقد اخطأت هذه الجماعة في اثارها للنزعة الدينية لدى اتباعها العديدين من ابناء الشعب مع توجيه هذه النزعة توجيهها تعصبا ، بالاضافة الى عجز كامل عن وضع

بالخز والعقيدة يحيا الانسان . . ولا غنى للحياة الانسانية عن عنصر من هذين العنصرين ، انهما وجهان لعملة واحدة هي : الحياة الانسانية المتحضرة . . وفراغ الحياة من العقيدة لا يقل خطرا عن انعدام الدائم المادية لحياة الانسان ، ولذلك فالانسان منذ وجوده الاول لم يكن يبحث عن الطعام وحسب ولكنه كان يبحث ايضا عن شيء يؤمن به ، لقد كان يعبد النار احيانا ، وكان يعبد الشمس احيانا اخرى ، وفي حالات ثالثة كان يعبد آلهة من صنعه كما كان الامر في الحضارة الاغريقية ، ثم جاء العصر الديني بمراحله المتعددة وافكاره المعروفة . . .

لا بد للانسان من عقيدة تبرر الوجود وتفسره وتضع هدفا للحياة ، وحتى في المستويات الاجتماعية التي ينقصها الوعي والثقافة بمعناها الاصطلاحي المعروف . . . حتى في هذه المستويات لا يستغني الانسان عن العقيدة ، بل انه يتمسك بها في صورة دين او اسطورة او تقليد اجتماعي موروث . . . وتمسك الانسان الجاهل بعقائده يصل الى حد عنيف كثيرا ما يتميز بالكثافة او الصلابة او الجمود .

وخلال المراحل المختلفة للحضارات الانسانية كانت العقيدة السياسية جزءا هاما من عقائد الانسان ، بل ان الجانب السياسي هو على الدوام جانب ملازم لشتى العقائد ، حتى ولو كانت هذه العقائد دينية . . . ولنضرب مثلا بالعقيدة الاسلامية ، فلقد كان الجانب السياسي فيها جانبا جوهريا ايجابيا ، وكذلك العقيدة المسيحية التي انبثقت عنها كثير من النظم السياسية في اوروبا في القرون الوسطى ، وحتى قيام الثورة الفرنسية كان للمسيحية دورها في الانظمة السياسية لاوروبا . . . هذا هو ما نستطيع ان نخرج به من التفكير السريع في تاريخ العقائد الانسانية ومن التفكير في تاريخ العقيدة السياسية بالذات ، واذا كانت العقيدة السياسية في العصور القديمة ذات اهمية رئيسية كبرى ، بل ان الثقافة السياسية اليوم تعتبر الاساس الرئيسي لكل لون آخر من ألوان الثقافة ، فقد اصبحت العقيدة السياسية تعني فكرة عن الانسان وتعني فكرة عن العالم وتعني فكرة عن المجتمع . . . ولناخذ مثلا : . . . فصاحب العقيدة السياسية التي تعتمد على فكرة الاشتراكية يقيم نظره للانسان على اساس من الجهد الذي يبذله ذلك الانسان ، وعلى اساس من مفاهيم اخرى كالمساواة والحرية والقضاء على عناصر التفرقة كالعنصرية والطائفية وغير ذلك . . . اما صاحب العقيدة التي تعتمد على فكرة الرأسمالية فينظر للانسان نظرة مختلفة تماما ، انه يرى الانسان كالسلسلة تخضع لقيم الشراء والامتلاك ، ويرى ان التفرقة بين الناس فكرة سليمة لا اعتراض عليها . . . ويوجد نفس الاختلاف بين اصحاب تلك العقائد حول النظم الاجتماعية ، وتفسير الحياة والعالم ونوع المعرفة الانسانية . . .

والمجتمع السليم هو الذي تحرره عقيدة محددة يؤمن بها ، ويدافع عنها وينقد نفسه وحياته على اساسها . . . وفي العصر الحديث لا يمكن ان تقوم هذه العقيدة على اساس ديني او اساس اخلاقي او اساس اسطوري . . . فقد تكون هذه الاسس ذات فائدة واهمية ولكن روح العصر لا يمكن ان تسمح بقيام هذه العقائد على واحد من تلك الاسس السابقة وحسب ، بل ان جوهر العقائد المصرية لا بد ان يرتبط بالسياسة في معناها الجديد ، معناها الواسع . . . فقد اصبحت المجتمع المصري يواجه

الحلول والاجابات السليمة للمشاكل التي كانت تعرض للمجتمع بشدة وعنف آنذاك .. وبذلك فقدت الاحزاب فعاليتها الصحيحة ، واضطرب الوعي السياسي لدى الشعب ، وانعدمت تلك العقدة التي تجمع شمله وتوحد اهدافه وتنظم علاقاته وقواه المختلفة .. تلك العقيدة التي يمكن ان يقيس بها الامور ويحكم بها على الاشياء ، وتلأ فراغه الروحي مع توجيهه بصورة منظمة في حياته العملية .

من هنا كانت الاحزاب ضمن المؤسسات العفنة التي كان على الثورة ان تقضي عليها لتمضي في طريق الوعي السياسي بما يلائم التطورات الجديدة ، وقد قضت الثورة عليها بالفعل ، ومن الجدير بالملاحظة في هذا المجال ان هذه الاحزاب لم تترك فراغا في نفوس الناس ، وبعد مرور وقت قصير كانت هذه الاحزاب على اختلافها قد اصبحت اثرا خافتا ضئيل الشأن ليس له في العقول والنفوس ذكرى كبيرة .. ولا شك ان هذا يدل دلالة واضحة على ان هذه الاحزاب كانت منظمات متلائمة تماما مع الشكل الاجتماعي القديم الذي انهار بقيام الثورة ، لقد كانت «فرقة» في عمارة ، وانهارت هذه العمارة فكان لا بد ان تنهار معها .. لم يكن لتنظيمات تلك الاحزاب قوة جذرية ، ولم يكن لافكارها عمق بعيد يقي في الازدهان والوجدانات .. بل كانت في حقيقتها مؤسسات شكلية تتنافس على الحكم والسلطة ، وكانت في احسن صورها الشعبية لا تنظر للشعب الا كما ينظر السيد الى كلبه .. مهما اعطاه وقدم اليه فهو في نظر ذلك السيد « كلب » وضيع الشأن .

والواقع ان الفراغ العقائدي كان موجودا ايام الاحزاب ، ولكن قيام الثورة وانهارت تلك الاحزاب ، ادى الى ظهور هذا الفراغ بشكل عنيف .. ان الشعوب في العصر الحديث في حاجة الى تنظيمات اجتماعية تشرف على تربيتها السياسية ، وقد انعدمت التنظيمات ، واصبحت قيادة الوعي السياسي مركزة بشكل نظري في الصحف والاذاعة ، ولا يمكن ان تكفي هاتان المؤسستان في مجال التربية السياسية ، ولا يمكن لهما ان تمتدا الى عروق المجتمع في شتى جوانبه وابعاده لتنتشر هذا الوعي السياسي وتدفعه الى مسامرة المعركة التي تعيشها البلاد ، فهناك الذين لا يقرأون وهناك الذين تدفعهم مشاكلهم الخاصة الى الانعزال التام عن الاتجاه الرئيسي لمجتمعهم ، وتنتشر هذه الظواهر انتشارا كبيرا واسعا كلما بعدنا عن مراكز الوعي في العاصمة والمدن الكبرى .. معنى هذا ان الريف الذي يكون الجزء الاكبر من مصر ، والمدن الصغيرة .. كل هذه المناطق تعيش في خمول سياسي وانعزال عن الحركة الرئيسية للمجتمع الجديد .

ولكن الشعب في مصر قد استغنى مؤقتا عن وجود تنظيمات سياسية ترفع وعيه وتمده بالحقيقة التي تفسر له الاشياء وتلأ فراغ نفسه بصورة سليمة .. استغنى عن هذه التنظيمات طيلة السنوات الماضية منذ قيام الثورة حتى اليوم وذلك تحت تأثير الاحداث الكبرى التي خاضتها مصر ، لقد كان لعنف هذه الاحداث اثرها في انشغال النفوس والازدهان عن التماس عقيدة كبرى تستقر معالمها في الفهن والوجدان .. ولكن هذه الحالة بالطبع هي حالة عارضة غير التي مر بها مستعدا للصراع والنضال كلما دعت معركة الى ذلك ، وقد كسب الشعب من هذا الشعور لونا من الاستقرار والتطلع الى شيء جديد ، كما لم يعد لديه حس الخوف من المفاجآت ، وقد ادى هذا الوضع الى ظهور الفراغ العقائدي بصورة عنيفة ، لقد اصبح الشعب في حاجة الى عقيدة سياسية تقدم له تفسيراً للظواهر ومقياسا يزن به الامور .. عقيدة لها وظيفتها الاجتماعية .. عقيدة تخلق علاقة بين المواطنين .. وتسمو على المصلحة الشخصية للأفراد ، ويكون لها من « القيمة الاجتماعية » ما يسمح للمواطنين بنقد الوقائع والاعمال باسمها ، ولا يمكن لهذه العقيدة ان تكون فكرية

نظرية تدعو اليها الصحف والاذاعة ، فلا بد لهذه العقيدة حتى تضمن فعاليتها ان تتطور في منظمات اجتماعية تضم المواطنين وتمارس تربيتهم من الناحية السياسية ورفع وعيهم وخلق الدوافع لتحويل مبادئ تلك العقيدة الى عمل واقعي في السلوك الشخصي والتعامل بين الناس او السيطرة والاشراف على مؤسسة او جهاز يمس الدولة والدولة والمواطنين . لا بد من وجود هذه المنظمات الاجتماعية ، التي يمثلها في العالم الرأسمالي : الاحزاب المختلفة ، وتمثلها في الدول الاشتراكية : منظمات الحزب الاشتراكي الواحد ، فمن طريق المنظمات يمكن للعقيدة السياسية ان تجد قوة تبعث لها الحياة في نفوس الناس وفي حياتهم العامة ، ولا يمكن ان يعيش شعب من الشعوب كما تعيش المنظمات العسكرية ، اي قيادة تملك الامر وجنود لا يملكون الا الطاعة ، اذ لا بد للشعوب التي نلتس التقدم والتطور من عقيدة تساعد على هذا التطور ، على ان هذه العقيدة لا تفرض عليه فرضا ، بل على العكس انها تكتسب مزيدا من التفاصيل والاضافات الجديدة عن طريق الشعب نفسه ، وبذلك يجد الشعب في هذه العقيدة ما يعبر تعبيرا حقيقيا عنه ، وما يساعده في مواجهة مشكلاته الفكرية .

ولقد كان الشكل التنظيمي الذي يمثل عقيدتنا السياسية بعد دستور سنة ١٩٥٦ هو : الاتحاد القومي .. ذلك الاتحاد الذي يشبه تماما فكرة الحزب الواحد ، والمفروض انه سيشمل الشعب كله ضمن تنظيماته .. والاتحاد القومي في الحقيقة هو الضرورة الثقافية العاجلة بالنسبة لحياة الشعب في مصر ، فلا بد لهذا الاتحاد ان يتم وأن تتبلور منظماته المختلفة .. ان عقيدتنا الجديدة تدور حول ثلاث افكار رئيسية هي : الاشتراكية والقومية العربية والتحرر السياسي الكامل .. ولكن هذه الافكار الرئيسية هي الدائرة العامة للعقيدة ، ولن يكون لهذه الدائرة العامة قيمة كبيرة الا اذا ترجمت تفصيلات دقيقة متصلة بالسلوك والتعامل وفكرة الفرد عن الحياة والمجتمع ، وما لم تتحول هذه الافكار الى هذا المستوى التفصيلي الحي فلسوف يفرض لون من « العزلة » الصارمة بين الشعب والحكومة ، مهما كانت هذه الحكومة وطنية مخلصه فسي وطنيتها .. لا بد من بعث الافكار العامة في نفوس الناس كل لحظة ، وتربية المواطنين عن طريق احياء تلك المبادئ بصورة دائمة في نفوسهم ، حتى تتسرب هذه المبادئ في سلوكهم وتعاملهم وتلأ نفوسهم بالحماس الدائم لشيء غير رتابة الحياة وجودها .. ولا يمكن ان يتم هذا الا عن طريق التنظيمات السياسية الواضحة التي تجمع الناس حول افكار معينة تمثل بالنسبة لهم عقيدة فكرية كاملة .

لقد املت علينا الظروف طيلة المدة الماضية ان نبقي بلا منظمات سياسية لها عقيدتها المحددة العميقة .. ولكننا ينبغي لنا الان ان نقاوم كل ما يمنعا من تنظيم افكارنا ومشاعرنا حول العقيدة الجديدة التي ينبض بها روح هذا العصر بالنسبة للعرب ، ولقد صدر اخيرا قرار تكوين الاتحاد القومي .. ونحن نرجو ان يتم هذا التكوين قريبا فيشمل القرى والمدن الصغيرة والكبيرة في مصر ، ويضم المواطنين ويخلق بينهم رابطا كبيرا من العقيدة الناضجة .. هذه العقيدة تشبه «البوصلة» التي تحدد الاتجاهات ومعالم الطريق ، كما انها تصبح بمثابة ميزان يزن الامور ويحدد قيمتها .. ولا شك ان هذا الوضع سيدفع الشعب الى مزيد من العمل ، والتغلب على «الروتين» وانعدام الثقة بين المواطنين .. وسيمنح الشعب ثقافة عامة تمكنه من ان يكون على مستوى النضال العربي المعاصر ، وان يكون ارتباطه بهذا النضال ارتباطا ذاتيا مثبتا عن اقتناع وادراك لا عن انقياد وتبعية .

رجاء النقاش

القاهرة

رسالة ميجر جازي

بقلم المجدى خليفة

اخي العزيز « منصور »

اظن انك كنت فكرت في موتي قبل الآن ، بل لعلك ان تكون قد اقتنعت منه تماما ، فانا لم ابلغك ردي على رسالتك التي وجهتها الي منذ اكثر من ثلاثة اشهر ، والتي عبرت فيها عن قلق خفي على حياتي .. والواقع - ايها العزيز - انك تستطيع ان ترتاح بالا ، فنحن في الجزائر لا يمكن لنا ان نموت ، اجل لقد التزم كل جزائري بذلك ، اوه ! « مائة وخمسون ... غارات جوية .. حملات اكتساح .. تنقيس .. اعدام على خمسة في ساحة سجن بربروس ... الخ ... » بل ان الواقع اكثر جدا مما ترويه لكم الصحافة الفرنسية عندما يكون الامر متعلقا بالنساء والشيوخ وكل اعزل وقاصر ، غير ان كل ذلك قتل ، انه هجر وقتل ، انه ليس بالموت ، بل اكاد اصفه بالحياة ، لان القتل ما هنا في ارض الجزائر يتحول تلقائيا الى طاقة مساهمة في مجاوزه واقفنا الى امكانياتنا وحققنا الطبيعي .

وسواء اكان اياي من راسلته منذ ثلاثة اشهر ام كنت احد الذين يعيشون قتله فاني ابعث اليك بهذا الرد عليها معتبرا من تاخر طويل لعدم سنج فرصة التهريب على الرقابة والحراس ..

تقول ان فكرتك عن (بلاد النور) - كما اكره ان القها - تتناقض تماما مع ما يرتكبه ابناؤها من جرائم شتى ، ومن ثمة فانت عاجز عن ادراك « التناقض » والحق اني لا ارى تناقضا أصلا ، فانت تقارن فرنسا - الثورة ، فرنسا ديكاوت وروسو ، وبعبارة مختصرة انت تقارن فرنسا - الكذب بفرنسا - الوحشية ، بفرنسا - الاستعمار ، بفرنسا - النار والعدوان ، في حين كان عليك ان تقارن هذه الاخيرة بفرنسا - الجند ، بفرنسا - المتمردين ، بفرنسا - الحكومة .. وتستجد عندئذ ان المنطق الذي تحرص عليه مستقيم ان لم نفر بسهولة ...

ياتي بعد هذا نوريتك وسخطك على سلوك العالم وانظمتها المصونة بمسرحيات القانون والكلمات الانسانية ، ثم ايمان بمصير موفق ينتهي اليه الكفاح الجزائري .

واني لاشارك في هذا الايمان بامتلاء الرأي والاعتقاد معا ظانا انك لا تقصد منه مجرد (تشجيعي) على تحمل السجن وفتح الامل في الافراج عني ... ، فان يثور شعب ما ثورة مصممة محكمة وداخل مجال يشيع فيه التحرر ، ليساوي مجرد ذلك من وجهة باطنية نفس الغاية التي تهدف اليها الثورة ، ومن وجهة خارجية فان « الغاية » بالنسبة الى مجموع الدفقات والاعمال المتساهمة فيها لاشبه بنقطة تصويرية ، فكون هدف ما مساحة الوصول اليه عشر خطوات ليعنى التعادل بين الخطوات والهدف ، وبتعبير رياضي فان عشر الخطوات يساوي عشر الغاية ، لو كانت الاعمال التكاملية تخضع لمثل هذا التشبيه ، فكل دفعة من الاعمال المصممة هي غاية بقدرها ، وهكذا فان الثورة قد نجحت في الحصول

على هدفها بقدر ما هي نائرة ، كل قطرة دم ، وكل استشهادة ، وكل انه تكلى وارملة ، وكل طلقة نارية ، وكل نشاط ثوري كانا ما كان ، الا وله نصيبه الضئيل او العظيم في المصير الكريم . ذلك فيما ارى هو تحليل الايمان بالنصر ومعطيانه هي التي تفرس فينا الثقة والافدام رغم عدم تكافؤ الوسائل المادية مع العدو .

وكاني بعقلك « المنطقي » يقول انك لم تعتبر نفس الاعتبار بالنسبة الى العدو ! اجل اني لا اعتبر ذلك بل ليس من المنطق نفسه ان اعتبره ، ذلك ان ما دفعنا الى الثورة انما هو رغبنا الطبيعية في امر طبيعي ، انه شيء في التربة ، شيء في العروق ، امل في كرامتنا الانسانية ، في اصالتنا ، ومن ذا يستطيع ان ينتزع من نفوسنا نفوسنا ؟!

بقي ان اوضح ما قد يخطر ببالك حول تشبيهي « لبعض الغاية المعادل لبعض العمل » فلهلك تقول ان ذلك يساعد على ايجاد تبرير لموقف اكتفائي ناقص : لتقف الثورة او لا تقف فقد حققت على أية حال نسبة من النجاح ؟!

وها هنا اؤكد لك ان ذلك مجرد تبسيط وتشبيه ، وانه يستحيل اخضاع الكيف الى الكل وان الحركة الحيوية الجوانية (1) Immanent لتتعد على كل تقسيم طالما كانت نشاطا موحدا ومتوصلا ، ومن ثمة فان حركة الشعوب بتكاملها وعضويتها لا يمكن لها ان تقاس بما حققته من الاستقلال السياسي فحسب ، ولا بغيره فحسب ، فما كل ذلك سوى خطوط اعتبارية مثل الاصطلاحات المشيرة الى الوقت في الساعات ، هناك حركة دائمة ، صاعدة ، متفتحة ، ذات طموح ابدي وان لم تشعر بالطموح ، لا تنتهي الا بانتهاء دورتها في الحياة .

علينا نحن العرب لا العمل على نيل استقلالنا فحسب ، ولكن علينا بعده ان نواكب العصر ملتحقين بارقي اممه ، وذلك ايضا لمرحلة انتقالية الى الطور الاعظم : الا وهو تقدم الركب الحضاري وتوجيه مقود الانسانية في جميع النواحي العلمية والروحية .

وقد تقول - ايها الاخ العزيز - ان كلامي اقرب الى الاحلام منه الى الامكانيات ، وانا بدوري لا ادعي انه قوي الاحتمال ، غير ان ما هو محقق سواء عندنا العرب بالنسبة الى القرن الماضي بل اقل او عند بعض الشعوب الاخرى - لم يكن في عهد ما الا من قبيل الاحلام ، فما جنس العرب بالقاصر جيليا عن الابداع اذا اقتلنا من نفوسنا جذور النقص يفرسها بيننا الاعداء ليدعوا انهم المحتكرون الاحدون للخلق والنبوغ ، وذلك طبعيا لغايات استعمارية تحدثهم بها نفوسهم ، لقد اثبت تاريخنا اهليتنا لكل فضل عقلي وحضاري .

(1) ترجم الدكتور محمد عبد الرحمن مرحبا هذه الكلمة الفرنسية بالجوانية بالنون (العلية تنبثق من باطن) - العلوم - ص ٢٦ - عدد تموز ١٩٥٦) وفي المجمع ان جوى الشيء باطنه ، وقد ارتأيت من النسبة جوانية ، بدل جوانية كما فعل الدكتور المحترم

يحتاج اولاً الى اكتساح شامل للأفكار العفنة كالانانية والشهوانية واللامبالاة و«الاقتناع بما تيسر» وكل سقام ..
اننا على الخط الحاسم من مصيرنا العربي كله - ولن نمل تكرار هذه العبارة حتى نرانا جاوزنا خطرنا - فعلى كل جندي اي عربي ان يتطوع في المعركة الكبرى ، معركة مجاوزة واقمنا الى امكانياتنا الضخمة ، وانه ليساعدنا على النجاح - الروحي على الاقل - وضعية الغرب نفسه وتعرض حضارته الاخلاقية لتهديد خطير ، وثق اني اؤمن كذلك بان انهيار « التعبئة » الروحية اهم بكثير من انهيار التعبئة التكنولوجية والمادية ، فهذه قيمتها في مدى ما تعطيه اياها تلك .

هنالك قيم عربية لا نفتقر في بعثها على المجال الشعبي الا الى تقويمها وتعديلها من الانحراف الذي اعترافها في عصور انحلال شخصيتنا القومية وستكون هذه القيم فعالة اذا نحن عرفنا كيف نصوغها متماشية مع عصر اخضاع الطبيعة ..

وفي الختام - امير لك - ايها الاخ العزيز - عن اميتي في ان تكون حركات الشباب المثقف نافعة حقاً للعروبة في جميع بلادها ، ولعل فرحة الشعور بالانجاء الى هذه الامنية تتاح لي عندما ترد الي حريتي النسبية بخروحي من عالم القضايا ، او انها ستتاح الي آخ آخر ان كانت الاخرى ...

ومهما يكن من شيء فاكذب دائماً الى نفس العنوان وبنفس الطريقة وستجد دائماً كل قتيل يعيش عند كل حي منا ، وستجده دائماً عند ربه يرزق .

وسلامي الى الجزائري منك والعربي فيك

ط . م . بربورس (الجزائر) في ٧ - ٣ - ١٩٥٧

الجنيدى خليفه

صدر اليوم

الامنتمي

تأليف

كولن ولسون

نقله الى العربية

انيس زكي حسن

● كتاب خطير يدرس نفسية الانسان الفلق الذي لا ينتمي الى جماعة او عقيدة ، والذي يجرد ظله العملاق في طريقه المظلمة الضيقة ، متمرداً حيناً مستسلماً حيناً ...

● وهو يدرس هذه النفسية المريضة كما تتجلى عند ابطال اعظم الكتاب والفنانين ، فيحلل آثار سارتر ، وكامو ، وهمنفواي وكافكا ، ولورنس ، وويلز ، وفان كوخ ، ودوستوفسكي وغيرهم تحليلاً يأخذ بمجامع القلوب ...

● صدر في انكلترا ، حديثاً ، واعيد طبعه عشر مرات في اربعة اشهر . وقال عنه احد النقاد انه اخطر كتاب ظهر في التحليل منذ « تدهور الغرب » لشبنجلر ، وقال آخر : اننا لا نكاد نصدق ان مؤلفه فتى في الرابعة والعشرين ! احجز نسختك من هذا الكتاب

فهو أثر لن يستغني عنه مفكر او اديب

دار العلم للملايين

والحق ان المعركة التاريخية التي تقوم بها الجزائر الان والصمود الجبار الذي قامت به مصر في وجه العدوان الثلاثي لجدير بان يحطم قشرة النقص تلك التي كانوا يفلتون بها شعور العرب ، فما نحن قسـد تجاوزنا المرحلة الاولى ، لقد انتصب العملاق العربي الان مستقيماً اروع ، وما بقي عليه - وليس بالقليل - الا ان يتحرك ويناضل وبصارع ، ويبنى للمستقبل بناء شامخاً خالداً ، وعندئذ يصدق علينا قول الشاعر : « العظيم من بنى صومعة جديدة لا من يقول كانت لي صومعة اطاحت بها العواصف ... »

وبعد فهل لك - ايها العزيز - ان تحدثني في رسالة اخرى - اذا سنحت فرصة التهريب - وانت المتصل بأوساط الشباب المثقف عمما اعد هذا الشباب الشمرقيي بخاصة والعربي بعامة ، وهل اتضحت له الخطوط والمنطلقات المثلى القويمة للمسير الكبير ؟

ان الثورة الجزائرية والصمود المصري لمجهودات شعبيه باتم معنى الكلمة ، اي ان جميع طبقات الشعب قد ساهمت فيها ، غير اننا لا نزال ننتظر بعد كل ذلك ثورة فكرية عربية تقودنا الى الطور الاعظم او الى الحلم الاعظم كما حدثتكم آنفاً .

انه لا مناص من تعبئة ، وهذه التعبئة بسيكولوجية اولاً وبالذات ، اعني تعبئة عقائدية قاعدية يعتنقها الفكر ويعتمل بها الوجدان ، يملأ علينا نوعيتها اولاً وقبل كل شيء وعينا الناضج لوضعنا الراهن ، ويسفر ايماننا بها ثانياً طبيعتها بالنسبة الى امكانياتنا وعدم اجنبيتها عن مزاجنا العربي القوي الارادة ، الكاد في طلب العرفان ، المقدس للفضيلة ...

انا شخصياً اؤمن بعقيدة تبلغ درجة يقيني منها درجة يقيني من وجودي في زنزانة (بربورس) اؤمن بـ « التحمل » كاطار لكل عمل ، الجهد شرط طبيعي للنيل ، فلنبذله بكل طبيعية وطواعية ، معتبرين انه جدير باضفاء قيمة حقيقية على كل مفهوم ، ادرك ان الكلمة في حاجة الى عناء اضافي للتفسير والتحديد ، فلنفرض اننا اكتشفنا احدى الخبيات الميتافيزيقية ، - كمنطق الغاب مثلاً ، وفقدان سند يريح البشرية ويفتح لها الامل - فان اكتشافنا هذا ليملي علينا سلوك احدى طريقتي - المفترق ، فاما طريق الهزيمة واعتبار الوجود عبثاً لا طائل تحته ، واما طريق التحدي المستمد له قوة من الخيبة الميتافيزيقية نفسها ، مبدلاً بالتواكل على السند اعتماده على وعيه لموقفه الذي لا يفيد فيه البكاء ، ومواجهته له كما هو ، ان ما جعل الآخرين يتراجعون هو بالذات ما يجعل الاقوياء ايماناً بانفسهم ينطلقون الى الامام ، فطالما كنا موجودين فلا يسد ان نعطي لوجودنا كل خصوصية وامكانية ، فاما التراجع فمعناه مناقضة الوجود ، وان مما يشجعنا على السير كوننا نحن الذين اخترناه ، فهو نابع من اصالتنا وليس اعتباراً فوقانياً اجنبياً عن انسانياتنا .

على ان التعبئة الشعبية تظل طاقة كامنة بدون رسم مجال لها ، فما عسى ان تكون خطوط المجال ؟ هنا ايضا يقدم لنا الشعور بالخيبة الميتافيزيقية الرسم المكمل لـ « التحمل » . فكونك وحيداً بعد اعتقادك بالسند في عالم شاسع صحراوي المصير ، وكونك ترى غيرك يوافقك فكرتك او ينفي ان يوافقها ، ان كل ذلك يؤدي بك الى الايمان بضرورة التعاضد كموضع عن الخيبة والى استعمال « اجود النتائج العقلي » للسمي في ذلك العالم الصحراوي سعياً انشائياً اصيلاً ..

« التحمل » - « العلم » - « التعاضد » ثالث اساسي فيما ارى للنشاط الذي ينتظر شباب العرب ، سواء اكان النشاط متعلقاً بمرحلة التكوين او المواجهة او القيادة الانسانية . ولست في حاجة ان الفت نظرك - ايها الاخ العزيز - الى ان زرع امثال هذه المبادئ في نفوس الشباب

رأي

في كتابة تاريخنا

بقلم ذوقان فرحوط

ما تعمر به مخيلاتهم من صور هذه البطولة « الورقية » مثارا لبعضهم ضد البعض الاخر شأنهم في ذلك شأن المجتمعات المغلقة التي تفقد اهدافها او تنساها وتلبس احساسها بالظروف الخارجية المحيطة بها فتتجه - من اجل تصريف حيويتها - الى المنازعات الداخلية او الخلافات «الذهنية» الجوفاء . ولم يعد صحيحا اليوم ما كان يقال بالامس - تفسيرنا لتأخر الشعب العربي - ان هذا الشعب اصبح امكانياته اصغر من تاريخه وان اعباء هذا التاريخ العظيم اثقلت كاهله فبان عجزه ، كما ينوء الابن الخامل بتحمل عبقرية ابيه ويزداد تخاذلا ووهنا . بل على العكس يبدو مما تتكشف عنه الحوادث من امكانيات الشعب العربي وتفتح القيم النضالية والروحية فيه انه جدير بماضيه وان مستقبله - بعد ان اتسعت دائرة رسالته - في الزمان والمكان - سيكون اكبر من ماضيه العظيم .

لست اعني بالتاريخ الذي اقصد ، ذلك التسجيل المنهجي لسلسلة الحوادث والاحداث والمظاهر السياسية التي مرت بالبلاد العربية منذ اقدم العصور حتى اليوم . فمثل هذا يتوفر للقارئ في اكثر الكتب القديمة والحديثة ، العربية - الاسلامية او الاجنبية . وانما اعني ذلك الذي يستطيع ان يفرق بين ما هو عارض ، دخيل ، مدسوس في حياة العرب وبين ما هو أصيل من اخلاقهم وقيمهم الروحية والفكرية ومثولجيتهم وآمالهم . وهذا النهج الجديد في كتابة التاريخ العربي مهمته اعادة الصلة بين الاجيال الناشئة وبين ماضيها حتى يستقيم انطلاقها الى المستقبل . والاجيال الناشئة تعيش في الحاضر والمستقبل او على الاصح انها الماضي الذي يعيش في المستقبل . ويكون هذا المستقبل - الذي توضحه الحاجات الدفينة في الاجيال بالتفاعل العميق مع ظروف العصر ومتطلباته - لقيطا اذا لم يجد جذوره في الماضي ومزيفا اذا لم يكن تجاوبا بعيد المدى مع روح الامة . ولذلك تصبح مهمة المؤرخ العربي الحديث الذي يعيش حياة الشعب العربي ببؤسها واشراقها وبأسها وآمالها ، تخطي جزئيات التاريخ العربي المعروفة وتجريد مقوماته على مستوى الفكر الحديث والمستقبل البعيد .

بعد انحسار العرب عن مسرح التوجيه الفعال والقيادة

اذا كانت الحاجة الى ادب وفن وسياسة ، تزيل ما بين الشيعة والسنة والدروز والعلويين وفرق الباطنية المختلفة من حواجز عاطفية وشوائب فكرية ، ملحة الحاحا شديدا حتى تصبح تلك « الاجواء » الجزئية في البلاد العربية مصدر فن لا باعث تفرقة واستغلال ، ومبعث الهام وابداع وغنى لا سبب تفكك وانحلال واجداد . . فان الحاجة الى كتابة التاريخ العربي من جديد اشد ، الى النظر اليه نظرة عقائدية تؤمن بامكانيات المستقبل كما تؤمن بحقائق الماضي ، نظرة تؤمن بان الواقع الفاسد الذي تراكمت عليه عصور من الجهل والتأخر لن تقلل من قيمة المستقبل وانما كانت ضرورية ولا بد منها حتى يعود هذا المستقبل فيأتي - بين الامم - في المستوى الذي انت فيه رسالات العرب في الماضي . ان العرب اشد ما يكونون اليوم - وهم في بداية تفتحهم - الى كتابة تاريخهم وحياتهم في نفوسهم وقلوبهم وعقولهم . وكما يساعد الادب والفن والسياسة - في تهيئة مشترك موحد - على تقوية الاواصر وتوحيد الاهداف وزيادة المشاعر المشتركة وتنميتها ، فان توضيح التاريخ العربي بكشف المؤثرات الدخيلة عليه والبواغث السياسية والعنصرية فيه ومراميها لتفكيك الروابط العربية ، ان مثل هذا العمل لا يقل فائدة عن ذلك في اعادة الاواصر بين مختلف المجتمعات العربية الاقليمية الى ترابطها الاصيل ، بل ويدفع بها الى الامام خطوات بعيدة المدى نحو اهدافها .

منذ زمن طويل بدأ عزل العرب عن تاريخهم ، وتعاونت على ذلك ظروف مختلفة : سياسية ودينية بالاضافة الى غزوات اجنبية متوالية وما تبع ذلك من افقار وتجهيل وتشويه للمفاهيم والقيم ، ولم يرتفع الذين امسكو بزمام الامور الى مستوى الحوادث والظروف ، فكيف بهم يرتفعون - كما يجب على كل من يتصدى للقيادة في اي ظرف او زمان - الى مستوى فهم التطور التاريخي للعالم المحيط بهم واتجاه القوى المتصارعة فيه . ولم يمض وقت طويل حتى انفصل هؤلاء ايضا عن الشعب ، اي عن القدرات الخلاقة المتطورة . . . وهكذا تضاعفت الظروف على فصل العرب عن منابع تاريخهم ومراميهم ، عن بواغث الحركة الصحيحة لاستمرار وجودهم . فبدلا من ان يستقبلوا الحياة وما تستوجبه من تطور ولوها ظهورهم واغرقوا في الاوهام ، واطياف الجنة والتفدي بقصص البطولة . واصبح

العملية للتطور ومستلزمات التجدد في « الامبراطورية » العربية - الإسلامية وزحف العناصر الدخيلة الى تولى الحكم باسم الاسلام اي باسم العرب - ومنذ ذلك الحين - بدأت تتسرب الى المجتمع العربي افكار وآراء شتى لم تتوالد - كما ينظر - نتيجة لامتزاج الشعوب المدعوة مع الشعب الداعي فحسب ، اذ ان الدعوة الجديدة جاءت ضد واقع هذه الشعوب ومخلفاتها الفكرية والعقائدية واول ما كانت تهدف اليه هو اجتثاث تلك الافكار والمعتقدات من جذورها وتلقين القيم والمفاهيم العربية بالقُدوة والسلوك وبالتالي استبدال نظرات تلك الشعوب الجزئية الى الكون والمجتمع الانساني بنظرة موحدة شاملة . وانما الواقع ان تلك الافكار والآراء « الجزئية » نبشت من خلايا مهمة في زوايا المجتمع الجديد او متأمرة ، ونفخ فيها خصبيا لاستعمالها وسائل تحطيم وتدمير ضد العقل العربي وشموله ومن اجل تفكيك روابط الروح العربية المهيمنة على المجتمع الجديد . وهكذا وبعد ان طفا على سطح المجتمع اشخاص تغاير روحهم روح العرب والاسلام في الاصل ، تشاء ظروف وسنة الخلق للرسالة العربية الا تستمر في تطورها : فبدلا من ان تمضي - كما كان في مقدورها - في تفاعلها مع المقتضيات المستجدة وتحافظ على دوام قيادتها بالافصاح المستمر والتعبير عن الحاجات الملحة قولا وعملا ، نظاما وتطبيقا ، فقد وقف بها جمود قادتها عند اشكال جافة وجبوسا حيويتها عن الحركة والتجدد او انحرفوا بها الى غير اهدافها ، بينما كانت الظروف الفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية في البلاد العربية عامة تتبدل بسرعة فائقة فيتطلب هذا التبدل تلبية حاجات جديدة ملحة . عندئذ استطاع ذوو الاغراض السياسية واعداء الرسالة العربية اغراء جماهير الشعب بحلول وهمية من الزرادشتية والمناوية والمزدكية والاسرائيلية وبقايا الآراء الغربية من قديم الحضارات وتمازجها . وبذلك تمكنوا من حل المجتمع العربي والاسلامي الواحد الى مجتمعات ذهنية مجزأة مختلفة تكاد تتباين في مظهرها وان كانت في حقيقتها واحدة وتنطوي في اعماقها على مسلمات واحدة .

ومن هنا جاء التناقض الفاضح بين ذهنية الفرق الباطنية والعقائدية والمذهبية المختلفة في المجتمع العربي من جهة وبين الواقع والحقيقة من جهة اخرى ، بين ذهنية الجماهير السنية وبين حقيقة الاسلام وغايته . او بمعنى آخر بين منطق الاوهام والخرافات وبين منطق العقل المبني على الحقيقة سواء اكانت من حقائق الماضي ام الحاضر ، بحيث نستطيع القول ان هناك مستويين : مستوى جزئي ، خاص ، مقفل توالدت فيه الافكار الوهمية على مر الزمن ، ومستوى عام ، شامل ، مشترك . والمستوى الجزئي الخاص ، مكتسب ، وليد ظروف اجتماعية وسياسية واقتصادية وثقافية

تعاونت كلها على ايجاده واغناؤه ، الا انه سطحي « غشائي » لانه وهمي لا يصمد امام المنطق السليم ولا امام الواقع ، لا يلبث ان يتبدد ويذول لمجرد التعلم . اما ذلك فانه مشترك بين جميع افراد الشعب العربي ، عميق في حياتهم واصيل في نفوسهم لانه مرتبط بوجودهم : بأرضهم وسمائهم وتاريخهم .

فاذا نظرنا بمنطق المستوى الجزئي وتسلسل الافكار والمعتقدات الوهمية فيه وامتدادها ، لتأكدنا من ان النتيجة التي وصل اليها بذهنيته شخص كطه ابو الورد او داود ابو شقرا وغيرهما في جبل العلويين وفلسطين ومصر وشمال افريقيا ، هي نتيجة صحيحة وصادقة ايضا في اكثر الاحيان بالنسبة لمنطق ذلك المستوى الجزئي . ولكنها غير صحيحة بالنسبة لمنطق المستوى العام الشامل ، بل تصبح هذه الدعوات غريبة مستهجنة امام كل عقل يقظ ووجدان سليم . ولكن هذا لا يمنع من ان يكون للكذب منطقته الخاص الصادق وان لم يؤمن به او يصدقه كل الناس . وعلى عكس هذا نجد ان جميع افراد الشعب العربي يؤمنون بمفاهيم « المستوى العام » وقيمه الاخلاقية ونظرات واحدة للكون والحياة والدين ومواقف الرجولة . . او على الاقل يعترفون بأنها مشتركة تهز مشاعرهم ، وان الافصاح عنها او تجسدها في عمل من الاعمال الرائعة يوقظ فيهم الاعجاب .

فالتاريخ العربي الحديث الذي ندعو الى كتابته يجب اذا ان يهدف الى كشف « المستوى العام » وبعثه والى تسليط النور وحقائق العلم والعقل على « المستوى الخاص » .



ان للعرب خصائص ذاتية ونظرة روحية خاصة للحياة والكون القيت في قلوبهم وعقولهم على مر العصور ونتيجة لتفاعل طويل بين مختلف ظروف حياتهم مع بيئتهم من جهة ومع ما يتسمونه من التيارات التي تهب عليهم في بلادهم او يتعرضون لها في تجوالهم وهجرتهم ، سواء منها الهجرات الكبرى ام الهجرات الفردية : خروجا بدوافع الاستهزاء والمغامرة او العقيدة ام عودة الى الوطن الام تبرما ونفورا وحرصا على المشاعر الاخلاقية التي تنبع من ذاتيتهم بالاحتكاك مع الاوساط الحضارية الغربية . وهذه « الدورة » الحضارية الكاملة التي تجسدت في تاريخ العرب فسي طريقين : طريق محمد وطريق ابراهيم ، كانت سببا من اسباب الخصب في تكامل خصائصهم الذاتية وغنى روحهم ومشاعرهم وتجلت في قدرة لغتهم على التعبير عن خلجات النفس والفكر .

وسواء اكانت هذه الخصائص من النوع الذي ينضوي تحت اسم « اساطير » ام كانت اخلاقية واجتماعية ونظرة الى الامور ، فان تقرير وجودها والكشف عنها لا يعني انها ثابتة لا تتغير وتتطور ، ولكنها لا تتناقض وانما تتجه في اتجاه واحد كالماضي في المستقبل او بمبنى آخر كرسالة ابراهيم

في الاسلام : انهما في اتجاه واحد وطريق صاعد الى غاية واحدة وان اختلف طريقهما بين الايجابية والسلبية ، مع فارق الزمن بينهما اي مقدار التطور ، وان الاسلام قفز ، عن زمانه ومكانه بالتعبير والافصاح ، قرونا عديدة الى الامام .

ونحن العرب اليوم اذ نستيقظ ونقف في بداية الطريق المؤدية الى متابعة رسالتنا في تاريخ الوجود الانساني تهتدون الى الاخطار الخارجية ، في صميم كيانا ، والجهل والعقل الخرافي الوهمي او العقائد او المذاهب الدخيلة في داخلنا ، نحتاج الى من يكشف عن خصائص الشعب العربي بعقلية العصر الذي نعيش فيه اي بمستوى العقل العلمي المؤمن المتفاعل بصدق مع تيارات الفكر العالمي والذي يمثل الماضي ويعمي ظروف الحاضر ويدرك المستقبل ويصير منطق اتجاهه . وعلى قدر ما يكون هذا الكشف عميقا ، محافظا على منطق الايمان بالخصائص العربية ومستوى ارتباطها بالحاضر والمستقبل تأتي قوة استجابة الشعب العربي في التحرر من العقل الوهمي والعقائد الدخيلة وبالتالي بقدر ما تتفجر قواه وامكانياته وابداعه لدفع الاخطار الخارجية ايضا . ذلك ان هذه الاخطار الخارجية التي تصوب اليه من كل جهة ومن كل لون لاستغلال خيرات ارضه والقوى البشرية فيه او الاستفادة من موقع بلاده الاستراتيجي او لغزو عقله وعواطفه ... ان هذه الاخطار ، يبدو من السهل - لاول وهلة - القضاء عليها او دفعها ، الا انها توجه بدوافع عقائدية ونظرات اجتماعية او فلسفية او اقتصادية وقد اصبحت متميزة بينة الاتجاه وهي تكاد تكون على طرفي نقيض - في اتجاهاتها البعيدة على الاقل ونتائجها العملية - مع خصائص العرب الذاتية ونظرتهم الى الانسان والكون . ان العقل العربي كان حتى سنوات غافلا عن جميع تلك التيارات وهذه الاخطار وقد بدت يتحسسها ويعيها ولهذا فانه يستجيب يوما بعد يوم لاتجاهات تنم عن حوافز استقلالية .

واذا كان الشعب العربي لم يصل كله بعد الى التفاعل ، تفاعلا حيا بكامل الشخصية مع هذه الاخطار والتيارات ، فان طبقة المثقفين تمر اليوم بالنيابة عنه بمرحلة هذا التفاعل . . ومن اجدر - من بين هؤلاء - من المؤرخين للظفر بالنتائج الفكرية المطلوبة من هذا التفاعل اذ انهم من جهة يعيشون حياة الشعب العربي بحكم اهتمامهم ومهنتهم وخصائصه ويتمثلون نظرته ، ويعرف التيارات الفكرية العالمية ومرامي الاستعمار من جهة اخرى .

ان الظروف المحيطة بكيان العرب من الداخل والخارج تعطي هي نفسها ايضا معاني انعكاسية لما يجب ان تكون عليه اتجاهاتهم في المستقبل وتحتم مستوى لها . فبعد انتضاح عالم الحركة الصهيونية العالمية واهدافها لم تعد مشكلة العرب في التخلص من الاستعمار والرجعية

الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في الداخل او تجنب غزو المذاهب المختلفة فحسب ، حتى يحافظوا على وجودهم ، وانما اصبحت وجودهم كله يتوقف على يقظة شخصيتهم واكتمال نموها وانطلاقها انطلاقا حرا عفويا تاما حتى يصمدوا في وجه هذه الاخطار جميعها .

تاريخ العرب طويل . يمتد الى الوراء امتداد الزمن التاريخي ويصعد معه الى مراقبي الانسانية . واذا كنا الان لا نستطيع توضيح كل مرامي الموجات العربية ودوافعها الا اننا نؤمن - على الاقل - بانها كانت متكاملة ، تستحثها اهدافها الكامنة المتجددة التي تزداد غنى وشمولا للوصول الى المستوى الاثني . وكان التفكك ، والاختلاط بشعوب غريبة بين كل موجة واخرى يزيد العرب نضجا ، والنضال في اعادة وحدتهم وتماسكهم يزيد من وضوح اهدافهم ، ويسمو بها الى التعبير عن الظروف المحيطة بالعرب ، والى تلبية حاجاتهم في المستقبل . وهكذا لم يكن «الاسلام» اكمل دعوة ، الا بعد ان استقامت لغتهم في حناجرهم واسماعهم واتضحت مفاهيمهم الاخلاقية الجديدة ونظرتهم الى الانسان والكون وارتفعوا اليها واتحدوا فيها . ولا يخشى عليهم من الفناء او الاضمحلال اذا تراحت نحوهم الاخطار وغسرت ديارهم المعتقدات والآراء الغريبة واصبحت بلادهم مسرحا لها . بل على العكس فانه من طبيعة العرب انه كلما اشتد عليهم الهول انصرفوا الى سبر اغوار نفوسهم وقواهم ، وكلما طارت نفوسهم شعاعا من الفزع ، كلما استجمعوا ارادة الوجود فيهم واقتحموا الحياة الى اهدافهم . انهم لمن يستجيبوا الا لما هو ذاتي اصيل في نفوسهم ، منسجم مع روحيتهم . فلقد علت اصوات كثيرة في الجاهلية تدعوهم من اجل كفاح التسلل اليهودي الذي وصل المدينة واصبح يهدد كعبتهم الى اعتناق عقائد فارسية وحشية وبيزنطية وغيرها . . ولكنهم لم يستجيبوا الا للاسلام ، اي لدعوة انسانية ، اشمل ، واسمى وابعد هدفا من ذلك كله في حل مشاكل الانسان .

ذوقان قرقوط

دمشق

قريبا :

المصباح الازرق

قصة طويلة

تأليف

نبيل خوري

قدم لها : سعيد عقل

من كتب المؤسسة الاهلية للطباعة والنشر

قصيدة

« الى «نبوية» .. قصيدة الصديق الشاعر كامل ايوب ، مع اعجابي بها ، وبه »

...★...

واختبات خلف ملاده
لتواري الزند الحلو ..
شاهدت الاسطى محمود
بلذراع مفتول ،
وعيون ت برق نور ...
وتلاقت عيناه بعينيها :
عصفور في قفص الصدر يطير
يحدث نغشة فوق حرير ..
اقسمت البنت الحلوه
بكتاب الله
لن تتزوج الا محمود
حتى لو راحت تستجدي : « لله »

...★...

ذات مساء سمعت زغرده :
ما اجمل توحيدہ !
بالثوب الاخضر ،
ومحلى بالقصب ،
بخيوط من ذهب !
اجتمع الشمالان
اجتمع الخلان
بعد الحلفان :
اما تتزوج محمود
او تشعل في الثوب النار
... ضمت توحيدہ دار
ضمتها هي والاسطى محمود ..
ومضى عام ...
صنعت توحيدہ فيه غلام
حلوا كالاسطى محمود
بعيون سود ...

...★...

وتدور الايام
لم تكمل حتى تحسب عام ...
جاء الخبر اليها ذات صباح اسود
لم تظهر فيه الشمس :
- الالة قد اكلت يد محمود
اكلت يده اليمنى .

توحيدہ ليلتها نصف جنيه
لكنك يا عبد الجبار
لا تملك حتى قوت نهار !
...★...

توحيدہ غانية الحي ..
ام ولدتها ذات مساء
رات البدر عليها في وجه غلام
سمتها توحيدہ ..
ولدتها كبرى لعيال خمس
وتناقل في الدرب الهمس :
« توحيدہ احلى بنت في الحي »
كان لها وجه قمر ،

وعيون واسمة كالنجمال ،
ويد نقشت حنه ،
واللثغة في السنة :
فتكسر كل الكلمات
وحواليها تلف صبيات
وتلم الاطفال لديها
وتشمر في الماء ..
تملا كل الدرب مرح
وغناء

ويقال : وكان لها صوت عصفوري ...
ام ولدتها ذات مساء
حلفت لن ياخذها منها الا « بيه »
وترى الخير يجيء بايديه
فتنام
توحيدہ تفرق في ريش نعام
تتمرغ فوق حرير
تسكن في القصر العالي
لا تلبس الا الفالي ..
ام ولدتها ذات مساء
حلفت لن ياخذها منها الا « بيه »
وترى الخير يجيء بايديه
...★...

...★...

واحب ذات صباح محمود :
كبرت والتف العود

احكي يا امي عن توحيدہ ...
قصي كيف تراها داست فوق الاشواك ،
قصي كيف تراها كانت اصلا في كل عراق
كيف تراها ذافت طعم الطقم ...
كيف اقتحمت خط النار
ثم تولت ذات نهار !..
قصي واحكي كل حكاياها
حتى صارت اسطوره
او فدعيني احكي قصتها للاولاد ..
حتى تبقى ذكراها
في ذاكرة الاحفاد
محفورة :

...★...

... كبرت توحيدہ في الحي
وتكون في صمت نهدان :
نبنا في فرع الرمان
في العود السارح ..
الوجه صباح كالقشده
- وكان البدر تنازل يوما
فلقد اعطاها خده -
خده نور يا توحيدہ ..
واذا المرء رآها لا يملك الا التنهيدہ ..
امشي يا توحيدہ :
هزي الحلق الهساس ،
دوري في عين الناس ..
ما من مخلوق في الحي هنا الا يعرف توحيدہ
كل عيون الحي تراها تمشي خلف الكعب العالي
تتمنى الفالي ..
رني الضحكة يا حلوه
كل بنات الحي تفار .. تفار
في الصدر اشتعلت من غيرهن النار
حتى عبد الجبار
- ذاك العملاق -
اما في الحي يراها يصبح مسكين
كالفرخة شاهدت السكين ..
مسكين يا عبد الجبار :

... ومضت خمسة اشهر
ما من يوم الا فيه المر ...
جرب محمود كل الاعمال
وعلى الكتفين جبال :
باعت توحيدة حتى الفرش
خرج الاسطى محمود في الطرقات
ويمد الكف الى الكفر ...
لكن قروش الاسطى محمود
لا تكفي
والولد الاسمر معتل
خرجت توحيدة ذات مساء تنسل
عادت قرب الفجر
بالوجه الشاحب
وعيون باهتة المعنى ...
باعت كي تحمي من 'اكلت يده اليمنى
والولد الاسمر !
...
وتناقل في الدرب الهمس ...
ابتعدت عنها الجارات ..
نفرت منها كل صديقه
حتى صاحبة الامس ...
واحترفت في يدها في اليوم
عشرون لغافه ...
عرفت طعم الملفوف
ويقال : الصوت تحشرج منها :
فقد الصوت حلوته ..
لكن ما زالت توحيدة
كل بنات الحي تغار .. تغار
حتى عبد الجبار
لا يملك الا التنهيد
اما في الدرب راي توحيدة ..
...
واخلطت بالاعداء
ذات مساء ...
ارنفت فيه بضاعتها
وازدادت سمرتها ..
وتعود على وجه الصبح
فيها جرح ...
كم كانت تبكى في صمت
ان القت جسدا فوق سرير !
والاسطى محمود منكور
في زاوية الفرش ...
ما زالت تدعوه الاسطى محمود !
ما زالت تذكر لما زلت اول مرة :
ذاقت مره

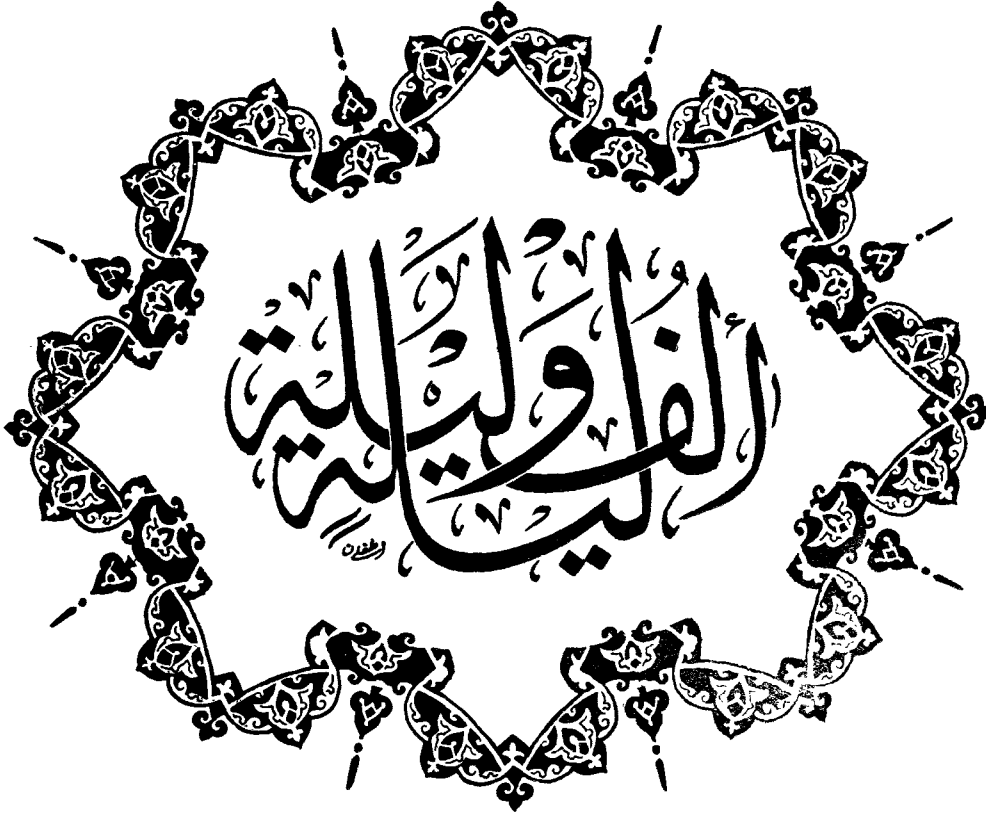
صب شنائمه لم يهدأ
كم نار وزام !
لطمتها يده اليسرى
ثم بكى مثل غلام ..
وبكت بين يديه ...
كم كانت تبكى في صمت !
والاسطى محمود منكور
في زاوية الفرش ..
حتى ان اغمضت الجفن :
تنسل من محمود اصابع
فتجتمع فوقك يا توحيدة
دفع غطاء ...
يده ما زالت تحنو ..
تشعر توحيدة باليد
لا تملك الا تنهد
تبكى في صمت
تتمنى الموت ..
لكن من اجلك يا محمود ،
من اجل الولد الاسمر ،
فرطت الحلوة في اغلى شيء ..
...
نصبوا في بلدتنا الف كمين
راح ضحيتها اعداء
حتى جن جنون الاعداء ..
القوا .. واحترقت في الليل بيوت
عادت توحيدة ذات مساء
لم تجد البيت :
- طار البيت بمن فيه -
انهد الحيل
ويقال : ولم تدرف دمة حزن في الليل
او في وجه الشمس ...
كنمت منها النفس
خرجت في اليوم التالي تسمى في عزم :
ونصبنا الف كمين
لم تهدأ عين
كل عدو يسال : من اين
نحن عرفنا كل خباياهم ؟
.. عند الفجر تعود
توحيدة بالجسم المكسود
في اعينها شيء ..
...
ذات صباح ماتت توحيدة
- هل عرف الاعداء السر ؟
- هل عرفوا سر ك يا توحيدة ؟
لم يعرف عنها الاعداء

ابدا شيء
لكن توحيدة ذات مساء
عادت بالموت
سعلت وتهدم منها قفص الصدر ..
جاء الموت اليها في الفجر :
ماتت بالسل
ماتت في ذل ...
وتقول لنا احدى الجارات :
- ذكرت توحيدة محمود
والولد الاسمر
ولقد كان لها اذ ذاك
صوت عصفوري
ثم تحشرج منها الصوت
ونما فوق القبر الصبار
ما زلنا لا نعرف كيف الصبار نما فوق القبر
واحدة منها امتدت في شكل اليد
وكان الصبارة تحمي توحيدة
كيد الاسطى محمود تحنو في صمت ..
...
يقسم عبد الجبار ،
يقسم للاخوان ،
ما من عصر خميس الا زار القبر
واستغفر ربه ...
كيف ترى فكر فيها في اثم ؟!
استمطر فوق القبر الرحمت
وضع الازهار
ولئن لم يملك حتى قوت نهار ...
...
يا توحيدة :
يا اختا ولدت كبرت عاشت في احساسى
يا اختا اكلت شربت من انفاسى
ما زال العالم يحيا في حزن
وكئيها ما زال العالم ..
لكن يا توحيدة ،
ما زلنا في صمت نعمل شيئا في اصرار
ايدينا احترقت في النار
والسل بنا في الصدر ..
لكن يا توحيدة :
وحياة القبر ،
وحياة الصبارة وقد امتدت في شكل اليد
ما زلنا يا توحيدة
نطمع في شمس القد

القاهرة مجاهد عبد المنعم مجاهد

كل جزء ٢٥٦ صفحة بلونين مزين بالرسوم
غلاف عربي فخم بخمسة ألوان
ظهر منها إلى الآن خمسة أجزاء وستظهر الأجزاء
الباقية بالتتابع

ثمن الجزء الواحد على ورق عادي : ٤٠٠ غ.ل.
ثمن الجزء الواحد على ورق ممتاز : ٧٠٠ غ.ل.



منشورات المطبعة الكاثوليكية

يباع الكتاب أيضا مجلدا تجليدا خاصا تحت الطلب

المستودع الوحيد

المكتبة الشرقية - ساحة النجمة - بيروت

هل نسان الحاساة

في شعر نزار قباني

بقلم مكي الدين صبيح

اندحار في ميدان الحب . حقا ان المهارة الفنية الفت ظلا من الاسى منذ بداية القصيدة على شكل لحن حزين ولون اسود وبذلك لم تات النتيجة مفاجئة لشعورنا ، ولكن التموذجين متكاملان واحد خائب وواحدة ساهمة لا تفكر الى اين ينتهي مصيرها على زنود المعجبين . فالنهاية سلبية وليس هناك حل ايجابي من قبل الطرفين .

وبطالنا الديوان بوجود اناث لا تعرف الكرامة ، انها تضعف بعد طول مقاومة امام اشياء ليست هي الشباب ولا الخداع ولا الوعود ، انها اشياء غير انسانية هي : المال . امام المال والهدايا ينل نموذج من النساء . . ان البطل الذي انهزم امام غانية طوق (الياسمين) حاول ان ينتصر على بظلة (الى اجيرة) وحين تلفت وجد ان نصره عليها هو هزيمة ثانية له . . انها بين يديه سلعة مشتراة ، لقد امتلك ما كان عصيا عليه ، فوجده باردا مر المذاق ، لقد افتقد شهوة العطاء والاستسلام عند الانثى العاشقة ، ووجد بين يديه حطام امرأة فثار .

لقد احتقرها :

بدراهمي

لا بالحديث الناعم

حطمت عزتك المنيعة كلها بدراهمي

وبما حملت من النفائس والحرير الحالم

فاطعنتي

وتبعنتي

كالقطة العمياء ، مؤسسه بكل مزاحمي

فاذا بصدرك ، ذلك المغرور ، ضمن غنائمي

اين اعتدادك ؟

انت أطوع في يدي من خاتمي

قد كان تفرك مرة

ربي فاصبح خادمي

آمنت بالحسن الاجير وطاته

بدراهمي

وركلته

وذللته

بدمي ، باطواق كوههم الواهم

ثم اشفق عليها :

مسكينة . . .

لم يبق شيء منك منذ

استعبدتك دراهمي . .

... وفي إحدى لحظات القلق كفر الشاعر (١) بالانثى كحل لما يعانيه في الفكر والوجدان من أزمات ، ورفض ان يقوم كل مرة بالدور نفسه وان يظهر منها بالنتيجة ذاتها ، فاعترف - في هذه المرة فقط - بكذب دعواه في انه محب ، واعترف بانه يجعل من المرأة بين يديه لعبة بعد ان كفت عن ان تملأ عقله وخياله وعاطفته ، واقرب - للمرة الاولى - انفته ائمن لديه منها ، وانه يستخدم المرأة فتاة يصرف فيها قلقة . ان قصيدة (رسائل لم تكتب لها) مجموعة اعترافات لم يسطر كاتب بالعربية سطورا في مثل جرأة الصديق الفني المتغفل بين كلماتها . انها تعبر عن الانسان - الازمة الذي يعيشه نزار قباني في ذلك الحين . وهو في تلك القصيدة يكرر التعبير عن ضياعه (٢) برسم صور عديدة له ، فمرة يذكر انه يرسم الحرف كما يمشي مريض في سبات ، ومرة يذكر ان حبه جزء من شروده فهو يكتب كالسكران . لان المرأة (مصدر الهامه وينبوع فنه) لم تعد منفذا للخلاص بل الخلاص في الفن . ومنذ الان اصبح الحرف جزءا من حياته ، وحياته رحلة سوداء في موج الدواة شوقا الى حرف جديد . وهو اذ كان ضائعا تائها فانه لم يستطع ان يعثر في هذا العالم العريض الواسع الا على تائهين . ان النماذج التي رسمها خلال قصائده هي نماذج اناس في حيرة من امرهم . لا يدرون ماذا يريدون من الحياة ، لقد ضاع تاريخهم او ضاعت ارادتهم او ضاعت كرامتهم . فشخصية (المدخنة الجميلة) شخصية شابة يائسة تحرق ايامها في سجنائها أسوانة متبرمة يلاحقها حزن مجهول ، لعله فقد حبيب او ضياع امنية . . والشاعر لا يضم شجنه الى أساها لكنه يؤاسيها ويدعوها الى الاحتراق معه :

منعورة السالف لا تياسي
حسنا . . ما يشقك في عالم
صفيرة انت . . علام الاسى
تلك اللقافات التي افنيت
ان اطفأتها الريح . . لا تقلقي

وفي قصيدة (طوق الياسمين) نعثر على نموذجين احدهما يكمل الآخر ، نموذج الشاب المتلف ونموذج الغانية الالهية . . ولا يخلف التقاؤهما من اسلاب المعركة الا الشعور المجروح ، وقد رمز له الشاعر بطوق الياسمين ملقى على الارض كالجثة البيضاء بين اقدام الراقصين . انه مهزوم في المعركة ، وهذه القصيدة تسجل بدء هزمه على شكل

(١) من كتاب عن الشاعر نال به صاحبه شهادة الليسانس في الاداب من الجامعة السورية وتصدره دار الاداب قريبا .

(٢) بخلاف ما قررته السيدة سلمى الخضراء الجيوسي في بحثها القيم عن الشاعر وانه حازم لا يعرف التردد

هذا نموذج امرأة تعيش بلا كرامة .

فإذا صادفته امرأة باردة الاحساس فرغ صبره من بلادة شعورها وركلها بكثير من الضيق ، وقصيدة (الى ساذجة) موجهة الى هذا النوع من الجمال الذي يرهقنا بتألقه وسكونه ووداعته ، وهو في حديثه انيها لا يصف طباعه بقدر ما يصف تحوله ، فالقصيدة سلسلة براهين يقنع بها نفسه في أن له الحق في بتر تلك العلاقة . لنسمع وداعه واعتذاره :

لا شك .. أنت طيبة

بسيطة وطيبة ..

بساطة الاطفال حين يلعبون

وأن عينيك بحيرنا سكون ..

لكنني :

أبحث يا كبيرة العيون

أبحث يا فارغة العيون

عن الصلات المتعبه

عن الشفاه المخطئة

وأنت يا صديقتي

نقية كاللؤلؤة

باردة كاللؤلؤة

وأنت يا سيدتي

من بعد هذا كله لست امراه

هل تسمعين يا سيدتي

لست امراه

وذاك ما يحزنني

لأنني

أبحث يا عادية الشفاه

أبحث يا ميتة الشفاه

عن شفة تأكلني

من قبل أن تلمسني

عن اعين ..

امطارها السوداء .. لا تتركني

ارتاح ، لا تتركني

وأنت يا ذات العيون المطفأ ..

طيبة كاللؤلؤة

لقد أصبح ذوقه حريفا ، لقد فقدت بكاره الأشياء قيمتها في نظره وإنهات القيم الكلاسيكية من براءة وطهارة ووداعة . فهو يبحث عن الشاذ والمنحرف وكل ما يجعل للأشياء المعروفة بعض الطرافة . ولعل أول أشكال الشذوذ وأهمها هو العلاقة الجنسية المثلية Homosexuality وبما أن الشاعر طبيعي جنسيا ولا يمكن أن يجذبه الانحراف الى ما يماثل جنسه فقد اشبع الميل المنحرف برصد امرأتين تتبادلان اعمال القرام وودف كل ذلك في (القصيدة الشريرة) . ولعله في هذه الفترة سافر الى اسبانيا بلد الشعور الخام والاثارة اللاهبة وكتب فيها مذكرات

اندلسية ، مؤديا الموضوع الشعري بشكل نشري لأول مرة في حياته وذلك بسبب بحثه عن الطريف الجذاب .

في قصيدة « حبلى » نوع من المقاومة السلبية يُدبها البطلان ازاء بعضهما بعضا . وتبدأ مذن المرأة منذ ان تخبر الرجل بالسر الذي تحمله بين احشائها . فهو يفر من وجهها حتى لا يقف امامها فيندى جبينه من ذكريات الليالي السابقة ومن وهم وجود ثالث بينهما - هو ابنه - يريد ان يطل على الحياة ويريد هو ان يحرمه من هذه الحياة . اما هي فتلاحقه باصرار رغم ما تعاني من آلام الوهم وهم الفضيحة وعناء الطرد . والمشهد الاخير يشر احتقارنا لما فيه من برودة المساومة على حياة طفل وسعادة امه ، وكيان اسرة ، والثورة الاخيرة التي ثورها المرأة انما تأتي بنتيجة سلبية ايضا ، وان كان فيها مبررات نظرية : انا لا اريد له أبا ندلا . وهذا يؤكد مفهوم الانتصار - الهزيمة الذي بدأ الشاعر يواجهه والذي رأيناه في قصيدة « الى اجرة » .

من (حبلى) تنطلق عناصر الثورة في عديد من القصائد ، وهو انطلاق يلائم تطور اختصار عناصر التمرد في نفسه ، اذ أن هذا الفنان يعبر عن كل موقف يواجه به الحياة ، دون ان يلجأ الى تعويض او تزييف ، وهو - بلون انتاجه بلون فكره ، لذلك نرى ابطال قصائده يعدلون مواقفهم . فالمرأة التي تتحدث في (رسالة من سيدة حاكمة) ليست في مازق حبلى ، اي ان الواقع نفسه اخف عبئا ، وهي في ثورتها اعنف واكثر كبرياء ، وادق مناقشة .

بطلة حبلى تبكي وتئن وتتوجع وتتحرر ، اننا نكاد نرى استكانتها وحزنها وهي تقاسي مثلتها بعناد :

وبعثت بالخدام يدفني

في وحشة الدرب

يا من

زرعت العار في صلمي

وكسرت لي قلبي

ويقول لي :

« مولاي ليس هنا »

مولاه الف هنا

لكنه جينا

لما تاكد أنني حبلى

اما صاحبة (رسالة من سيدة حاكمة) فليس لديها دموع ولا عويل وانما غتاب فيه الكثير من الترفع والاسف ، وتقرير الجرم المشهود : لا تعتذر ..

فالآثم يحصد حاجبيك

وخطوط احمرها ، تصبح بوجنتيك

ورباطك المشدود .. يفصح

ما لديك .. ومن لديك

يا من وقفت دمي عليك

وذللتنني

ونفصتنني

كذبابة عن عارضيك

ودعوت سيدة اليك

واهنتني ..

من بعد ما كنت الضياء بناظريك

حقا ان من براعة الشاعر الملامة بين الشخصية والاسلوب ، ولكن كان باستطاعته أن يختار امرأة بكاء تندب الوفاء وساعات الوصال .. الا أن تطوره النفسي واتجاهه الى التمرد أمليا عليه ان يختار هذه المرأة المالكة اعصابها الواعية لاقوالها .. فنشعر بكبريائها من خلال عتابها . ولعل الثورة والتمرد اظهر ما يكونان عند ابطال قصائده في «واعية الصديد» حين تهب المرأة مطالبة بحقها ، محقرة انانية الرجل وفكرة الحريم . انها ثورة انسانة عندها الكثير من الكرامة .

فلنا انه يطور ابطال قصصه حسب اختصار فكرة التمرد في نفسه .. ترى كيف تم هذا التمرد ؟ وما هي نتائجه على نزار الانسان ونزار الفنان ؟

اولا ما هي عوامل هذا التمرد واسبابه ؟

يمكننا ان نفترض أنه منذ تحولت المرأة من جمال يعبد الى صديق يحس الشاعر بوجوده المادي ، فقد بدأ الملل يتسرب الى نفس الشاعر وأخذ الشك يساوره في كون المرأة صالحة لملء فراغ الحياة وينبوعا لكل مباهجها .. ثم فشلت تجربة زواجه .. كما خاب أمله في الكثير ممن صادقه .. فبدأ يشعر بسرابية ايامه .. وتفاهة اهدافه .. لذلك جعل الفن محراب خلاصه وبدأ يتنكر لعلاقاته وماضيه وأسلوبه فسي الحياة .. فحس نفسه بالاعترافات التي اطلقها في « رسائل لم تكتب لها » وبرر هجره لاحدى الفتيات « الى ساذجة » بحبه للعنف في الحب ، كما اظهر رجال قصائده بمظهر « النمل » وهي الصفة التي اطلقها عليهم على السنة النساء . واذن فهو نائر على هذا النهج في الحياة ... نائر على العلاقات غير الكريمة .. نائر على الجمال البارد .. نائر على المذلة الابدية التي يشعر بها الرجل امام المرأة - الجنس .. تلك المرأة التي تلقي عقل الرجل وتطلق غرائزه حتى يصبح جسمها مدار حياته :

انتهت قهوتنا

وانتهت قصتنا

وانتهى الحب الذي كنت اسميه غيفا

عندما كنت سخيفا ..

وضميها ..

عندما كانت حياتي

مسرحا للثرهات

عندما ضيعت في حبك ازهى سنواتي ..

ان قصيدة « الى ميتة » تعبير عن بداية تحول الزاوية التي ينظر منها الى الكون من خلال المرأة .. وفيها يعلن اسفه على عمره الذي ضاع في مثل تلك العلاقة السخيفة التي يسمونها « الحب » والتي تعترى الانسان في حالات ضعفه امام اباطيل الحياة :

بردت قهوتنا

بردت حجرتنا

فلنقل ما عندنا

بوضوح ، فلنقل ما عندنا ..

انا ما عدت بتاريخك شيئا

انت ما عدت بتاريخي شيئا .

لقد بدأ القصيدة بقوله : انتهت قهوتنا .. انتهت قصتنا « ثم قال « بردت قهوتنا .. بردت حجرتنا » فهل وقع الشاعر في شيء من التناقض ؟ أي هل يمكن أن تنتهي القهوة أولا ثم تبرد ؟ كلا . وانما هي رشاقة في عرض الحادثة تميز بها القصص الشعري عند نزار . لقد كان في بداية القصة يعاني اشد حالات الضيق فبدأ يطمئن نفسه بأن القصة قد انتهت ، ولذلك يمكن ان نعتبر هذا المطلع هو خاتمة القصة ، وبذلك يكون قد بدأ بسرد القصة من نهايتها ، ثم عاد يذكر برودة مشاعره وأحاسيسه عن طريق ادراكه لبرودة القهوة وبرودة الحجرة ، ولعل هذا الجمود قد جعلهما مرتبكين صامتين فمشى هو الى الهدف بسرعة ، وقال ما عنده ... ان احدهما لم يعد شيئا بالنسبة الى الآخر .. وانهاالت عليه في هذه الهنيهة الساكنة الاف الاسئلة .. لعل مصدرها شعوره بفرابة الموقف الجديد الذي يواجهه :

ما الذي غيرني

لم اعد ابصر في عينيك ضوءا

ما الذي حرمني ؟

من حكاياك القديمة

من قضاياك السقيمة

بعد ان كنت اميره

بعد ان صورك الوهم لعيني اميره

بعد ان كانت ملايين النجوم

فوق احداك تقلي

كالعصافير الصغيره

انها ليست مناجاة نفس فقط وليست ذكريات تتداعى بل انه انسان مرهق من القضايا السقيمة التي واجهته بها الحياة مع المرأة .. وبالتدريج بدأ يشعر بوهمية الاشياء التي كانت تبدو لعينيه حقائق ، فترى ذكرياته الجمالية ملغمة بالكثير من المرارة .. في حين ان الاسئلة ترتدي شيئا فشيئا طابع استيقاظات يندعش لها الشاعر كمن افاق من غمأة فهو يتطلع الى العالم الخارجي وكأنه ينظر اليه مرة ، والشاعر يحاسب نفسه على تمرده كمن ارتكب جريمة وهو سكران فترى دافقا من الاسئلة تنهال عليه من كل صوب :

ما الذي حركني ؟

كيف مزقت خيوط الكفن ؟

وتمرت على الشوق الاجير !..

وعلى الليل .. على الطيب .. على جر الحرير !..

بعد ان كان مصيري

مرة يرسم بالشعر القصير ..

مرة يرسم بالشعر القصير ..

واذن فقد تخلص من ذلته امام الجسد .. وبدأ وعيه لا اقدم عليه يزداد . لقد صحا تقريبا وان كان ما يزال في ذهنه أكثر من خدر . ان الاسئلة التالية اقل غيبوبة من الاسئلة الاولى ، فان كانت التساؤلات الماضية شبيهة بمن يتخلص من كابوس فان الاسئلة التالية تشبه تمطي

النائم في بدء صحوته ، وفيها ظلال من تفاؤل بالانطلاق والحرية والخلاص
من صدا التكرار والخداع .. مما يجعله يشك في كل الانسان الذي
عاش ماضيه ويمكن ان نقول انه صار يحتقره :

ما الذي ايقظني ؟

ما الذي ارجع ايماني اليا

ومسافاتي وابعادي اليا

كيف حطمت الهي بيديا

بعد ان كاد الصدا ياكلني

ما الذي صيرني ؟

لا ارى في حسنك العادي شيئا

لا ارى فيك وفي عينيك شيئا

بعد ان كنت لديا

قمة فوق ادعاء الزمن

عندما كنت نجيا

ها هو يستعيد نشاطه وان كان الاستغراب ما زايله بعد ، وتكاد
السطور تنفخ حقدا وشعورا عاريا من كل تزييف .

ولا يماثل هذه القصيدة في عري مشاعرها وابانة مقاصدها والافصاح
عن الصيق النفسي فيها ، سوى قصيدة (نفاق) حيث الجو أبرد والحنق
اشد ووقع الكلمات ذو صدى عميق ورنان في نفوسنا . ولعل هذه
القصيدة تمثل قمة التمرد لدى المرأة النازية ، فتراها تتناول الحديث
طوال القصيدة ، وتكاد تلمح يدها وهي تبعد عنها في غير رفق حين
حاول ان يستشيرها ببعض قبلات على جيدها .. او عندما اخفى حقيبتها
ليعوق افتراقها عنه عسى تهدأ ثورتها . واذن فقد اصبحت الثورة على
الجنس شيئا عاما صار يلسمه الشاعر في العالم الخارجي بعد ان لمسه
في نفسه .

في الديوان قصيدتان يبلغ فيهما التمرد ذروته ، وفيهما يسرد الشاعر
كل اسرار انتفاضته ، ويذكر جميع ما لديه من مبررات وحقائق تدعوانه
للكف عن المرأة - الجنس . انهما ثورة على كل ما في المرأة - الجسد
من تفاهة وسطحية واملل . وقد كتبت القصيدتان بأسلوبين مختلفين
تماما ، كتبت القصيدة الاولى (لن تطفئي مجدي) في ساعة من ساعات
الغضب والحصر فجاءت الثورة فيها عنيفة هوجاء مدمرة ، كانها اعصار
يحمل كل مراة المذلات السابقة واساها ، فاذا بالالفاظ عصبية نابضة
فيها الكثير من صيغ الإنكار والتأكيد والتحقير ، وفيها تعالي الفنان
واعترازه بموهبته وبوقف حياته على فنه . وقد عرض كل هذا التناقض
بين مثله وحياته في صور فنية تبلغ من الدقة والجمال والعنف آفاقا
مشرقة ، فجبينه يتمزق والحروف تطف من جبهته لتنهش المرأة التي
تقيظه . لقد مات الحنين وانتهت قصة الاعصاب والافيون والدم والجنون
- وكاها اشياء تفقد الانسان وعيه . فاذا اشرفت القصيدة على ابيانها
الاخيرة بلغ تمرد غايته وراح يسرد لها اخطاها بالمرحز تساعده
مدة حرف اللين ورنه النون التي تليه فاذا نحن امام انين مكتوم وماساة
فنان آلهه :

لن تطفئي مجدي ، على

ان كان حبك ان اعيش

لا تطبني دمي .. انا

لن تطفئي مجدي ، على

ان كان حبك ان اعيش

لا تطبني دمي .. انا

مزقت اجمل ما كتبت

وكسرت لوحاتي واضرمت

وكرهنني .. وكرهن فنا

ورايته اهب النجوم

حاولت ان اعطيك من

فسخرت من جهدي ومن

وبقيت رغم اناملتي ،

لا كنت شيئا في حساب

شفتي سابرتها .. ولن

وغرت حتى من ظنوني

الحرائق في سكوني

كنت اطعمه عيوني

محبتني .. فوقفت دوني

نفسني ومن نور اليقين

ضربات مطرقتي الحنون

طينا تراكم فوق طين

الذكريات .. ولن تكوني

امشي اليك على جبينني

ولعل مجزوء الكامل وسهولة القافية تعينان على سرعة تأثرنا ، فليس
هويته ، فانعدام الملاحظة الدقيقة لديه يدل على عدم الاهتمام . والخطاب مصوغ
الشاعر نفس هذه الحال ، لكنه كان هادئا غير مجروح الكرامة ، باستطاعته
ان ينظر الى الامور نظرة موضوعية ، فانسجت قصيدته الثانية بالسمية
الباردة والسخرية القاسية والطعم اللاذع ، وهي اعظم فنا واكثر بلورة
من الاولى ، وامتز خصائصها زوال الصفات الخاصة التي تلون الجمال وتعطيه
فانعدام الملاحظة الدقيقة لديه يدل على عدم الاهتمام . والخطاب مصوغ
بلسان البطلين مما يدل على تمنى الشاعر ان تبادل المرأة قلة الاكثرات .
وفي الحديث صراحة باردة تجرح الشاعر . فكل عواطف القصيدة سوداء
رطبة مثل قطعة خشب تحترق وهي ملبلة .

العنوان فيه استخفاف (عند واحدة) وجو الجلسة ملبد بضباب
الدخان . ففي الحديث ثرثرة ونفاق ، وفي وجهها شحوب يعني على
قسمات جمالها فلم تعد سمراء ولا شقراء بل هي (« حسناء ») ليس في
حسنها ما يميزه . وهو شديد الاحساس بوطاة الزمن ، فقد صار يمل
بسرعة ، ولعل دقائق الساعة تنبه فيه الملل من حديث لم يعد متعة بل لعل
الجو المثلج الذي يحس به يدعوه الى الفرار حيث يستعيد بعض
الحرارة ، فهو يعاني نقصا في الشعور بالحياة ، فاصابعه باردة وعيونه
لا تبصر اللون كانه باخ او مات او كان الحنين قد تجمد في عينيه
فاستحالنا حفرا بلامعنى ! لقد حل الشتاء وصقع ورد الحديقة وتشمت
ممر البنفسج لطول الاهمال ، وها هو الربيع ينمي موتهم . ان الاهمال
طوفان يكاد يفرق الطبيعة والناس ، والا فما للمقاعد لا تحس بعد ان كانت
تحضن المشيقين ؟ لا بد وانها العادة فهي التي بدلت المقاعد وهي التي
اصاعت الايمان فانطفأت نار كان المحبون يجدون انفسهم في حرائقها .

وهكذا استحال الشاعر من نائر الى ناقد ساخر قارس المشاعر ، يكفر
بالحب والجمال والجنس .. اشد ما يسخر منه هو الماضي فتضحكه
الرسائل والرسوم وكل ما يشير ظلاله ، وغالبا ما ينكر نفسه ، اذا رأى
صورته او قرا احدي رسائله او تذكر بعض امكنة اللقاء .

شيء واحد فقط اثار فيه رعشة الفرح .. امرأة واحدة فازت باعجابه ..
امرأة لم تثر جسده بفتنتها ولا دهشته بانافتها ، بل احب فيها بساطة
لباسها وزينتها ، واعجب بعفوية مشاعرها وصدق حياتها .. انها امرأة
يحترمها نزار باكثر مما احترم السابقات لانه بعد ان مل المرأة - الجسد
وكره الانثى من خلالها ، وبعد ان استنجر بالحب والوفاء فوجد الشهوة
والخداع ، عثر عليها صدفة فلم يعترض طريقها بل تركها تنساب مع
الحياة مثل خيط من غير وعاش بعدها يحلم .. انها اثارته فيه حب

الانطلاق واحتضان العالم .. لانها امرأة - فكر .

استمع الى حديثه فتجده يهمس حالما بتلك الذكريات النقية والجمال
الرشيق ، كأنه هبة نغم :
كان اسمها جانين ..

لقيتها - اذكر - في باريس من سنين

الذكر ، في مفارقة التابو ...

في عينها تبكي

سماء باريس الرمادية

وهي وجوديه

تعرفها

من خفها الجميل

من هسهسات الحلق الطويل

كانه غرفة الضوء بفسقيه

تعرفها من قصة الشعر الفلاميه

من خصلة في الليل مزروعه

وخصلة لله مرميه

هذا الجمال مجنح رفاف يكاد ان يطير .. وهنا يعاوده شيء من
الخشوع امام الحسن ويستحيل الجسد الى خطوط وانغام واللون ليست
ترابية . وما تتوارد الذكريات حتى تسرح عواطفه وتمتد الى مسافات
أبعد من الوهم ، وتنشط مخيلته امام انطلاقات حياتية فيها من الفرح
رعيته ومن قلب الانسان نبضاته امام مصير بهيج :

كان اسمها جانين

بنطالها سحبة كبرياء

خيمة حسن ... تحتها يختبي المساء

وتولد النجوم ..

وخفها المقطع الصغير

سفينة مجهولة المصير

تقول للجاز : ابتدى ..

أريد ان اطيير ..

مع العصافير الشنائية

الى مسافات خرافيه

أريد ان اصير

أغنية او جرح اغنيه

تمضي بلا اتجاه

تحت المصابيح المسائيه

في حارة ضيقه

في ليل باريس الرمادية

احلام حربية تمانق مخيلة هذه الطفلة الجذلى .. وحركة في النفس
دائبة تجدها وتنقيها .. فاذا بالكلمات ابتهالات للحياة ولان نحيا
الحياة . ليس في كلماتها مازوشيه ولا اختلاج بل هي حروف مادتها
الحلم ولونها اغيش .. فهي غير محددة بل عندها القدرة كي تنتشر في
كل وجودنا مثل زجاجة من الخمر العتيق المطيب تشيع الخدر والنشوة

في كل عرق وعصب ، بل لعلها مثل شمعة اضيئت في معبد كبير فاذا
بكل ما فيه ظلال راقصة ولون غامض لا مظلم ولا مضيء ، وهي فائنة فتنة
حركة وتموج عفوي ، تستقبل الحياة برفقة ولحن لتنتقل الى عالم
فسيح غير محدود .. كله حرية وحب وسلام .

ان رعشة الحرية والفرح المنعشة وهذه الحياة التي يختلط فيها
الواقع بالحلم ، تدل على ان نزار قباني لم يستغن عن المرأة وانما نار على
طراز معين من النساء يكثر وجوده في العالم وبخاصة في شرقنا ، وان
كان تأثيرها عليه قد خف بحيث اتسع المجال الشعري عنده لكثير من
مشاكل الحياة عند الانسان الفرد وعند الجماعة التي رافقت نشأته
ونشأة اجداده على هذه الارض التي ندعوها الوطن .

وعدم تخلي نزار عن المرأة يعيد اليها صورة سيزيف الذي قذف
الصخرة من قمة الجبل ثم انحدر بين شعبه ومساكنه حتى وصل الى
السفح فلما وجدها حلق فيها طويلا ثم انحنى ما يديه نحوها ببطء
حتى التقطها فحملها ووضعها على كتفه واتخذ من جديد قمة الجبل وجهة
صعوده ... اذ ان الانسان الذي وجد موضوعا يمكن ان يعتبره حلا
لمشكلة الحياة يصعب عليه جدا ان يتخلى عنه بسرعة ، فيبدأ بتطويره
وتسليط الانوار عليه من مختلف نواحيه ، بينما تتسلل الى ذهنه افكار

توحي بإمكان الانشغال عنه والاستغفال بغيره زمنا غير قصير . وكذلك
اصبحت حال الشاعر بعد ان اجتاز المراهقة وثورة الجنس والمواطف
والاحلام وصار يلامس الواقع ملامسة مباشرة وموضوعية . فبدأ يكتب
عن مشكلات بلاده « خبز وحشيش وقمر » و « قصة راشيسل
شوارزنبرغ »

دمشق

محيي الدين صبحي

دار الآداب

تقدم تباعا

الشاعر الكبير نزار قباني

في دواوينه الثلاثة النافذة

أُنْتِـيـلـي
سَـاـمِـبَا
طُفُولَتُهُ نَحْدُ

في طباعة انيقة مترفة ستكون زينة لكل مكتبة

صدر الدبوانان الاولان

والتصوف

بقلم إحسان الملاكمة

العزري

ويطلب منه التوسط لدى ليلي وأهلها أو يذهب الى (وردا) زوج ليلي فيحدثه حديث العاشق في جحيم غيرته ومحنة حرمانه ، ولا ينسى - خلال ذلك كله - أن يلاحق ليلي من مكان الى آخر طالبا مقابلتها فيوفق مرة ويفقد مرات وهو في كل ذلك لا يخطيء ولا يسيء ولا يهلوس . كان مصابا بجنون الحب اذن ولم يعرف عنه الجنون العقلي اطلاقا .

وكان قيس فوق ذلك عاشقا بكاء يغمى عليه في كل آن ويشهق شهقة حادة كلما طرق سمعه اسم ليلي او ذكرها حتى كأنه قد مات . ويتملك الانسان العجب حين يعلم ان هذا الشاب كان يملك كل الصفات التي تحببه الى العذاري فقد كان يملك صفات الرومانتيكية التي يتعشقنها ابدا ، وسامة باهرة ، واناقة مترفة ، وجاها عريضا . مثل هذا الشاب كان يستطيع - لو شاء - ان يفوز بقلب عشر ليليات لا ليلي واحدة ! ومع ذلك فان شيئا من ذلك لم يحدث ، لان قيسا أثر العذاب واختار السبيل الأصعب ، فقضى شبابه كله هائما في الصحارى وهو ضائع لهفان مدله في حبه فتاة لا امل في الفوز بها لانها اختارت غيره بكامل ارادتها وتمام وعيها .

هذا يدلنا على ان قيسا لم يكن عاشقا ليلي بقدر ما كان عاشقا لنفسه وقد عناه ابن الفارض كما عنى كل عاشق حين قال :

وما زلت اياها واياي لم تنزل ولا فرق بل ذاتي لذاتي احبت اذن فقيس كان يبحث عن نفسه حين الزم نفسه الوفاء ليلي رغم علمه بأنها تزوجت (وردا) الذي كان يستطيع - ونجح فعلا - ان يحول قلب ليلي اليه . وكانت غيرة قيس من ورد في مكانها، فقد احبت ليلي زوجها حبا كاملا ، ولكنها مع ذلك ظلت وفية لذكريات حبها الاول ، الذكريات التي ظلت حية متمثلة في قيس المعذب . واذا كانت ليلي قد ماتت فليس ذلك بسبب حرمانها من قيس - ذلك سبب واه جدا وكان أولى بقيس اذن ان يموت وهو الوحيد المشرذم - وانما ماتت ليلي بسبب حدة الصراع الذي كان يقوم في نفسها دائما : فهي بين دافعين متضادين ، احدهما يفرها بالسعادة والرضى بين ذراعي زوج محبوب ، وثانيهما يملؤها اشفاقا ورحمة وتأنيبا حادا من ضمير لا يرحم نحو شاب رومانتيكي لا يرضى لقلبه النسيان ويبدو انه متمسك بهيكل الحب يصلي فيه ولو تحول الى قبر رهيب .

فئة كبيرة من المستشرقين الباحثين في التاريخ الاسلامي تصر على ان التصوف ظاهرة دينية اقتبسها العرب المسلمون عن الاوروبيين المسيحيين وقلدوهم فيها ، ودليلهم على ذلك ما يلحظونه من تقارب بين فكرة (المحبة) لدى المسيحيين ومذهب (الحب) لدى المتصوفة المسلمين ، وما يعرفونه من اصرار الطرفين على ضرورة التقشف واعتزال الناس ثم اتباعهما لطائفة من المراسيم ، التي قد تبدو لغير العيون المتفحصة ، متماثلة متشابهة ، وهذه الفئة ممن المستشرقين لا تستطيع ان تنسى ان المسيح نفسه كان متصوفا عظيما ولذلك فهي تعتمد التغافل عن الحقيقة الاخرى وهي ان التصوف كان معروفا بين البشر قبل مولد المسيح ، وسكان الهلال الخصيب على اي حال سمعوا به عن طريق جيرانهم الفرس وعرفوا عنه الكثير من اصدقائهم الهنود .

والحق ان التصوف نزعة انسانية عامة قد تنبعث من اي مكان وتوجد في كل زمان . والانسان ظل يحلم بالخالق (المعبود) منذ القدم وما زال يتلهف للفناء فيه حتى في هذا العصر المادي الكتيب .

اما عن العرب فان اسسط دراسة لنفسيتهم يمكنها ان تثبت ان التصوف انما كان - وما زال - طبيعة ملازمة لها ، تأتيا من امتداد الرمال وصفاء السماء وعدوبة النسيم ، طبيعة اودعتها فيها تلك الايام الصيفية الطويلة ، وبعتها في اعماقها الليالي الساكنة المعطرة بنور قمر لا يغيب ، قمر الصحراء الرائع الذي لا يعرفه الا سكان هذه الصحراء لانهم يتلمسون فيه الجمال ويجدون لديه الانس والرفقة ويطلبون منه الهداية وسواء السبيل .

ولقد عرف العرب التصوف على مراحل ، وتجلت احدى هذه المراحل في الفترة التي نشأ فيها (الحب العذري) فوجدنا قيسا وهو رمز للعشاق العذريين جميعا ، يهيم ابدا في الصحارى ، يعاشر الظباء ويسامر الغزلان وينفر من الناس ويصر على تمزيق ملابسه والبقاء عاريا الى ان يتهم بالجنون وما هو بمجنون . وراينا بني قومه يصدقون مظاهر الجنون البادية عليه حتى يصيبهم اليأس من صلاح حاله بعد ان ذهبت كل محاولاتهم في ارجاعه الى سبيل الرشاد ادراج الرياح . ثم شهدناهم يلجأون الى ذكر اسم ليلي في حضرته كلما رغبوا في اعادته الى حالة الوعي واذا به ينتفض ويبدو في تمام عقله ، يخاطب الوالي باحترام

٢٩

المحروم

عندما البدر يوافي بالضياء
ايها المحروم ...

اغمض ناظريك !
انت حيران وفي الافق هدى
« ليس هذا النور يعني مقتلتيك » !

عندما يزخر بالماء النهر
ايها المحروم ...

لا تمدد يدك !
انت ظمآن وفي الماء شفا ...
« ليس هذا النور يعني مقتلتيك » !

*

عندما يبدو لك الظل الظليل
ايها المحروم ...

لن يسجى عليك
احرقتك الشمس ، والظل ندى
ليس هذا الظل ممدودا اليك !

*

عندما يسطع في الدنيا النعيم
ويشيع السعد في كل مكان
ويشع الحب من كل فؤاد
ايها المحروم ... عاداك الزمان
لن ترى تحقيق حلم او خيال
لن ترى الراحة يوما او تراك
لن ترى - في الوهم - اطياف الحنان
وزيغ السعد على الناس عداك !

كلما امسكت يوما ظله

افلت الظل وولى كالسراب

فاذبت القلب تبكي فقده
وهو حلم من خيالات الشباب
لم يكن شيئا ...

لم يكن شيئا ، ولكن حسبه
ذلك المحروم ان يعطى الخيال
هو ما يملك في الدنيا فما
اظلم الايام تقضي بالزوال

*

ساخط* انت اذا الدهر بغى
ايها المأسور في دنيا العذاب
حولك الافراح في كل الدنى
فاحطم الغل وهيء للشراب
انت لن تقوى على غل الزمن
ايها المحروم ... ما اقسى الحياه

فاستسغ حرمانك المر لكي
تستطيع العيش في هذي الفلاه

نضب الماء ولم يبق سوى

ذلك النبع فأقدم واشرب
اغمض العينين واشرب باسماء
وتخيله رحيقا .. واطرب

اجرع الالام بسام اللمي
واطلب اللذة فيها والرضى
واجعل الانات انغام الهنا
تبلغ الهزء باحكام القضا

استسغ هذي الجراح الداميات

واستزد منها وان زاد الالم

فهي كل الزاد .. لن تعطى سواه
لن ترى الا موافاة النقم !

زين الالام بالصبر الجميل
وابتدع منها الفنون الخالدات
واحل هذه الدموع الذائبه
مثلا للحسن .. غرا رائعات

ايها المحروم ... هلا ترتضي
انك القربان ضحيت لتوري
من دما قلبك للناس الشموع ؟

انت محروم ولكنك تعطى
كل ما تملك في هذا الوجود
تمنح النفس عصارات لنفس
شفها الحرمان في لوح الخلود
فتغذي منهم الروح وتبقى
جائعا .. ظمآن .. فياض الحنين
ذلك الايثار عن نبلك يحكي
يا شهيد الفن والدهر الضنين

*

ايها المحروم .. دنياك الجهاد
وجهاد الدهر من بعض المحال
قوة اللذة ان ضاعت فذي
قوة الالام احمى للنضال !

ملك عبد العزيز

القاهرة

الشيخ حداد ...

قصته بقلم عثمان سميح

– انزل ... الخط ...

هكذا كان الشيخ حداد ينهر حصانه وهو يصفط على يد المحراث بكل ما ابقت له سنواته الستون من قوة ، فتتفرز السكة في الارض لتخرج من جوفها ترابا بنيا باهتا ، مختلطا بحصى دقيق ، وتلقيه على جوانب المحراث فيفطي حبات الشعير المنتشرة ، بعد ان يحدث قرقرة منسجمة ، تعودت عليها آذان فلاحي « كارة تازبنت » .

ويفضل تجارب عمر كامل صارت ليد الشيخ حداد خبرة تمكنها من جذب المحراث بسرعة قبل ان تشتبك السكة « بصفية » (١) من هذه الصفيات التي تهددها في كل لحظة بالكسر ، وتنهك قوى الحيوان الساحب للمحراث .

وجذب الشيخ المحراث بمهارة فلمع سن السكة – الذي صقله احتكاكه الزمن بالتراب والحصى – مع أشعة الشمس ، ملتصقا برأس صفية ، وصاح الشيخ حداد :

– يا لهذه الارض ... ويا لهذه الصفيات الملعونة التي لا تنتهي ، لقد اصبح يكون ما جمعناه منها – منذ ان بدأ جدي يعمل هنا – جدراننا تحيط بقطعة الارض من كل ناحية .. الان فقط صدقت ما كان يرددہ ابي رحمه الله – : « ان هذه الارض تنبت الصفيات كما تنبت الزرع والعشب » ...

وكان الشيخ حداد يمقت هذه الصفيات لانها تنسب – دائما – في اعوجاج الخط ، وانهالك قوى الحيوان ، وهما خطان يتجنب كل فلاح مخلص الوقوع فيهما . والعبارة التي لا تفارق لسان الشيخ – اثناء مراقبته لعمل ابنائه في الحقل – هي : « يجب ان يكون خط الحرث معتدلا اعتدال انبوب البارودة ، والا صار عبث صبيان . »

واعتدال الخط له مميزات عدة ، اهمها : تغطيته للبذر تغطية كاملة حتى لا تلتقطه طيور الخريف الجائعة ، او تكتسحه سيوله الجارفة ، باستخراج جوف الارض الى سطحها واعادة قشرتها الخارجية الى الجوف .

وسنوات الشيخ حداد الستون علمته ان الحيوان كالانسان لا تجدي معه سوى الوسائل التربوية السليمة . فكم من مرة صاح في احد ابنائه الموضوع تحت رقابة بصره الحاد بقوله : « عود الحيوان على اعتدال الخط يوفر عليك وعليه اتعابا جمة ... لا تتسامح مع الحيوان في الخروج على الخط .. الا تعرف المثل القائل : من شب على شيء شاب عليه ؟ طبقه على حيوانك طبقه على ابنك .. » او يقول له : « عندما كنت شابا مثلك كان الحيوان هو الذي يقوم بكل شيء ، اما انا فعملي كان لا يتعدى بذر البذار او وضع يدي على المحراث وتحسس سير السكة في جوف الارض ... »

(١) سخرة مستطيلة ورقيقة . والكلمة مستمدة من اصل عربي: «صفوان»

اما المحافظة على الحيوان فهو امر طبيعي عند فلاحي « كارة تازبنت » لانه يؤلف الشرط الاساسي لحياته ، فاذا ما توفي حصان او بغل لاسرة من اسر القرية حزنوا عليه ، واذا ما ولدت فرس او بقرة اجتمع افراد الاسرة مع جيرانهم حول مئارد المعصيدة . واذا ما اشترى رب البيت فرسا جديدة تدهن ناصيتها زوجها بالسمن ، وتقام وليمة يدعى اليها الاقارب والجيران .

اذا فتورة الشيخ حداد على هذه الصفيات الملعونة امر طبيعي ، لان اصطدام السكة بواحدة منها يجعل الحيوان المنطلق امام المحراث يتوقف فجأة فتزعزع هذه الصدمة الفجائية ضلوعه ...

وكان عمار الصغير – حفيد الشيخ – يتعقب خطى جده في «قشابينه» (١) الصوفية رابطا قلنسوتها بخيط حول رقبته ، ورجلاه الصغيرتان ملفوفتان بخرق جمعها من بقايا قميص امه البالي ، ومدسوستان في «كرك» (٢) صنعه له جده من جلد جملهم الاصفر الذي رماه الجنود الفرنسيون بالرصاص . اما ساقاه فهما معصوبتان بعصائب صوفية خضراء ، ارسلها له ابوه من معاقل جيش التحرير .

وكان عمار الصغير ينحني بين آونة واخرى ، ويدخل يده الصغيرة – التي احال البرد بشرتها الى لون توت العليق – في قاع اخدود الخط ليلتقط حبة « التالفودة » ويضعها في مخلاة معلقة في رقبته . والتالفودة نوع من جذور نبات بري شبيه بالبطاطه ، اعتاد سكان « تازبنت » ان يلجأوا اليه كلما عضهم الجوع او مستهم الحاجة . فيجمعونها وبعد ان يقشروها ويفتتوها ويعرضوها للشمس لتجففها يطحنونها ويصنعون من دقيقها الكسرة والكسكسي (٣) وانحنى عمار الصغير والتقط حبة « تالفودة » ، وبعد ان تأملها جيدا قال لجده :

– جدي

– نعم يا بني

– ما للون التالفودة اصفر في هذه السنة ؟

– لانها لم تأخذ كفايتها من الماء .. انها كالانسان الذي اصفر وجهه على اثر جوع ملح او مرض شديد .

– ذكرتني يا جدي ... هل صحيح ما قاله ذلك الجندي الفرنسي عندما رأى صفرة عيني وبشرتي ، لقد قال لزميله : « ان التالفودة هي السبب في هذه الصفرة » .

– نعم يا بني ... صحيح ...

(١) عباءة صوفية لها قلنسوة يلبسها الفلاحون في الشتاء

(٢) كرك : حذاء يتخذ الفلاحون في الشتاء من جلود الجمال والبقر .

(٣) اكلة شعبية في المغرب العربي

- سوف تكف عن اكل « التالفودة » بمجرد ان يرجع اعمامي وابني
من جيش التحرير ... اليس كذلك يا جدي ؟
وعلت سحابة سوداء وجه الشيخ حداد ، وعض على شفته السفلى ،
ثم اجاب حفيده وهو يجهد نفسه في تكلف لهجة طبيعية :
- لا يا بني لا يمكن لنا ان تكف عن اكل « التالفودة » والرجوع الى
الحياة الطبيعية الا بعد ان يخرج المستعمرون الفرنسيون من بلادنا .
- آه يا جدي .. لو كنت كبيرا لذهبت انا ايضا لقتل هؤلاء الفرنسيين
الانسذال ...
- سوف تكبر يا بني ...



كان سكان قرية « تازينت » - منذ سنتين - يغبطون الشيخ حداد
على النعمة التي أسبغها عليه الله : لقد رزق باربعة اولاد بلغ اصغرهم سن
الرشد وتزوج ثلاثة منهم وتحملوا كلهم مسؤولية اعاشة الاسرة وطلبوا
من ابهم العجز ان يركن الى الراحة ويتفرغ لسجاده ومسبحته . الا
ان الشيخ حداد لم يطبق طلب ابنائه تطبيقا كاملا ، فهو وان كف عن
القيام بعمليات الحراثة والحصاد والدريس والرعي الا انه لا زال يتتبع
كل ما يجري خارج البيت وداخله باهتمام : فيعالج الحيوانات ويعتني
بها ، ويرفع البرادع والقرارات ، ويقوم بتربية احفاده ، ولحم صفائح
الماء ، وصناعة « الاكراك » ، ومراقبة الاطفال وهم يرفعون الخراف المفلطومة
- حديثا - حول القرية في فصل الربيع .

ان طبيعة الشيخ حداد الحازمة الجدية لم تسمح له - حتى في ايام
شيخوخته - ان يركن للراحة داخل المنزل لانه يؤمن بان الجدران والسقف
لا تصلح في النهار الا لايواء النساء ، اما الرجل فمكانه في الحقل او
الرعي او المورد ، او السوق .

اما اذا لم يجد الشيخ حداد عملا يقوم به - وهذا نادرا ما يقع - فانه
يشارك شيوخ القرية في مجالسهم الممتعة التي يستعرضون فيها ذكريات
شابة من خلال ضباب شيخوخة مستتيرة ، ويلهجون بذكر كدحم الماضي
وراء لقمة العيش بالسنة شاحبة لم تعد تتركز اجراس الفاظها على الاسناد
المهدمة ...

وبعد مضي ستة اشهر من اندلاع ثورة اول نوفمبر ، جمع الشيخ
ابناءه الاربعة وقال لهم :

- ابنائي لقد حان اليوم الذي كنت انتظره وكان ينتظره ابي من قبل
لقد ساهم جدكم في حرب المقاومة ضد جيش الاحتلال ، وكان جنديا في
ثورات عديدة ، والان حان الوقت لتسلموا الرسالة التي شرع فيها
اجدادكم ولنظردوا هؤلاء الفرنسيين المستعمرين من بلادنا . يجب ان
تنضموا كلكم الى جيش التحرير .

وقاطع خالد - الابن الاصغر - اباه بقوله :

- لكن اذا ذهبنا كلنا الى جيش التحرير فمن الذي يحراث الارض
ويحصد زرعها ؟

- اين هي هذه الارض التي تتحدث عنها يا خالد ؟ اتسمي هذه
الصخور وهذا الحصى الممتزج بكمية ضئيلة من التراب ارضا زراعية ..
انها عبارة عن احواض من البصل كما كان المرحوم والدي يسميها . ان
ارض جدي التي طرده منها الفرنسيون توجد هناك قرب مدينة « البيضة »
بين ايدي « الكولون » ...

- لكن ، من يعول هؤلاء الاطفال الصغار يا ابي ؟ ...
- ليسوا افضل من ابناء الشهداء ، اسمعوا يا اولاد .. يجب ان
تجتمعوا مع شباب القرية وتفتحوا واجهة جديدة « بجبل القنبه » ، اما
انا فسأبقى هنا احراث الارض واحصد زرعها .
- لكن من يسقي الماء ويحطب الحطب يا ابي ؟
- النساء ... نعم النساء ... ان لهن ان يخرجن من عزلتهن ويرفعن
حزمة الحطب على ظهورهن ، ويجلبن براميل الماء من « ما الفضباب » او
« المقلب » .



وتوقف عمار الصغير فجأة عن اقتفائه لاثار جده والنقاطه لحبات
« التالفودة » وصوب بصره نحو الطريق المؤدي الى القرية وهو يضع يده
الشاحبة فوق حاجبيه ليدرا عن عينيه اشعة الشمس . ثم صاح :
- جدي ... جدي ... ها هي « يمينه » قادمة .
- هل انت جائع يا عمار ؟
- نعم يا جدي .

- يجب ان تتعلم الصبر يا عمار .. الصبر على الجوع ، والعطش ،
والعري ، الصبر على كل شيء تكرهه النفس .. يجب ان تروض نفسك
على الصبر يا عمار ، وتعمل بجهد على التخلص من هذه الآفات ...
- جدي هل صحيح ان المجاهدين لا يأكلون ؟ لقد قالت لي جدي
« غزالة » ان الله يطعمهم من عنده دون ان يحتاجوا الى طعام .

- لا يا عمار ان المجاهدين بشر مثلنا يجوعون ويأكلون الطعام ،
ويشربون الماء ، الا انهم اكتسبوا قدرات على الصبر وتحمل الشدائد لا
توجد عندنا نحن العاديين .

- لقد حكى ابي لامي بانه استمر ثلاثة ايام دون طعام ، وكان غذاؤه
الوحيد « السليخ والتاكة » (1)

- نعم يا بني ان المجاهدين تعبوا كثيرا في الايام الاولى للثورة ، اما
اليوم فقد اصبحوا لا يحتاجون الى لقمة العيش .

- جدي ... جدي ... ان « يمينه » تبكي ، لا بد وان احدا ضربها .
وتنحى عمار عن الخط وخلع المخلاة من رقبته ، ثم ذهب يجري لملاقة
اخته .

وصاح الشيخ حداد للحصان ، فتوقف فجأة وكأنه كان ينتظر - منذ
دهر كامل - هذا النوع من الصياح . وبعد ان ربط أئنة الشكيمة في
يد الحراث ، ذهب الى طرف الحقل المحروث وحمل من هناك مخلاة
صفراء جديدة وعلقها في رأس الحصان . ثم اتجه الى حفيده .

كانت « يمينه » لابسة « الكرك » صغير ، وملفوفة في « مخنوق »
امها الصوفي الاسود ذي الخيوط الحريرية البيضاء ، ورابطة رأسها
بمنديل حريري اصفر ، ومحيطه رقبته « بكوفية » صوفية مشبوبة
« بخلالة » فضية صغيرة ، وكانت تلهث من شدة التعب . وقبل الشيخ
حداد حفيده وهو يقول :

(1) السليخ : هو الجزء الابيض اللين في قشرة شجر الصنوبر .
التاكة : ثمار شجر شوكي له مذاق لذيذ

— مالك تبكين يا « يمينة » هل بردت ؟

واجابت « يمينة » بصوت تخنقه العبرات والزفرات :

— لا يا جدي ان البرد لا يبكي

— لماذا تبكين اذا ؟

واسرع عمار فاجاب عنها :

— انها تبكي لان جنود الفرقة الاجنبية الفرنسية اغتصبوا اليوم خمس

شياه من « بوجمه »

وقطب الشيخ جبينه وارسل زفرة طويلة تزعزعت لها ضلوعه النحيلة .

ثم قال :

— الم اقل له ستين الف مرة .. الا يبتعد بالقطيع مسافة كبيرة عن

القرية ؟

واجابت « يمينة » بسرعة وهي تبرر موقف ابن عمها الراعي :

— لا يا جدي ، لقد اغتصبوها منه في « العنكوب القصر » .

— ما هي الشياه التي اغتصبت ؟

— الكباش الادرع ، والنعجة الحمراء وابنتها ، مع جديين آخرين .

وتكلف الشيخ حداد ابتسامة مقتنصة ثم ضم حفيده — التي اجهشت

بالبكاء — الى صدره وهو يقول :

— لا تبكي يا بنيتي ... سوف نطرد الفرنسيين من بلادنا ونشتري

احسن منها ...

ولم يتمالك اعصابه فراح يصيح والشر يتطاير من عينيه الصغيرتين :

— يا لهؤلاء الفرنسيين الاندال ، قتلوا كل جمالنا ، ولم يبقوا لنا من

قطيع مئة راس سوى عشرين شاة ... لقد احرقوا الزرع في الحقول ...

والسنابل في البيادر ... حتى الكلاب قتلوها ، انهم اوغاد .. اوغاد

جناء !

وانقطعت « يمينة » فجأة عن البكاء ثم قالت بصوت حازم ينم عن

ايمان عميق بما تقول :

— سوف ابعث الى ابي واخبره بان الفرنسيين اخذوا شاتنا الحمراء ،

وكبشنا الادرع : والتفت الشيخ حداد الى حفيده ثم قال لها في لهجة

عاتبة :

— لا تقلقي ابالك بهذه السفاسف يا « يمينة »

— انه هو الذي قال لي عندما جاء يقضي اجازة العيد : « اخبريني

يا امونتي كلما اغتصب الفرنسيون شاة من شياهنا ، وانا اضمن لك قتل

احد جنود الاستعمار في مقابلها » ...

وجلس الشيخ على غرارة البدر ، والتصقت « يمينة » بجانبه الابسر

وعمار بجانبه الايمن كما يلتصق الفرخان بريش امهما .. ووجد الصغيران

في جذع جذع النحل ملجأ من رياح الخريف الشمالية التي لا ترحم ..

لقد كان احفاد الشيخ الصغار يهرعون الى جدهم ، كلما اشتاقوا الى

آبائهم وتذكروهم ، ويطفئون لهيب هذا الشوق بعبرات يسكبونها على

شعيرات لحية جدهم البيضاء ، وكان الشيخ حداد يدرك ما يختلج في

نفوس احفاده الصغار فيضمهم الى صدره ويدغدغهم ، ويقص عليهم هذه

القصص المضحكة الغريبة التي لا يعرفها سوى امثاله من شيوخ القرى .

ووضع الشيخ حداد الربطة التي احضرتها « يمينة » بين يديه ، وفك

عقد المندبل الاحمر الاربعة وبسطه على الارض ، ثم اخرج قرطاسا من الورق

وبعد ان نشر تلافيه بدت « خبزة » كبيرة من كسرة القمح المبسه بالسمن

والتي يسميها الفلاحون — هنا « بالرخساس »

وتحسس الشيخ حداد الكسرة الحمراء ثم قال لحفيده :

— انها لا زالت ساخنة يا « يمينة » ...

— نعم يا جدي لقد قطعت المسافة جرياً ، حتى اضمن وصول « الرخساس »

اليك ساخناً ، لانه اذا برد بطلت لذته .

ونظر الشيخ حداد الى « يمينة » في حنان وشفقة ، ثم قال وهو

يضمها الى صدره :

— بارك الله لنا فيك يا « امونة » ، لقد قلت لك مرارا : « لا ترهقي

نفسك » .

— لا يا جدي ، ان الجري لا يرهقني ، ولو كان في مقدوري ان اتعقب

الحراث بذلك لفعلت ...

وضم الشيخ حداد حفيده الى صدره وهو يخفي عينيه المورققتين

في شعرها الاسود المتدلي على ظهرها ، وراح يدعو الله في اعماقه ان

يحفظ اباهما لها ، ويرعى كل مجاهد في جيش التحرير ...

عثمان سعدي

الكويت

دار الآداب تقدم

قرباً

حلقات أخرى من

سلسلة الثقافة القومية

يشترك في تأليفها عدد كبير من ادباء العرب

منهم

الدكتور عبدالله عبد الدائم — الاستاذ رثيف خوري

الدكتور نور الدين حاطوم — الاستاذ شاعر مصطفى

انتظر هذه الحلقات الهامة

الخوف

(الى صديقي محمود القروي
الذي يشقيه شبح الحرب)

لا ترتجف ...

محمود يا صديقي- الوديع

لا ترتجف

جبينك البسام غضنته غيمة القلق

والخوف مارء تغور

خطاه في فؤادك الامين

ولا تزال تحت طرقها اللعين

تصفري نضرة العيون والشجر

فيسال الصغار واجمين :

« الهنا رحيم

والعفو عنده قريب

فما الذي اثار غضبة السماء

فترسل الرياح والشرر

والجوع والكساد والضياع

والخوف يأكل القلوب ؟ »

وقد تجيب حين يلفظ الصغار بالسؤال :

« خطيئة البشر ! »

ولست تخطيء الجواب

فقد عرفت يوم عودة الجنود

ولوعة الذي مضى حبيبه ولن يعود

عرفت كيف يصنع الانسان بالانسان

★
(سعيد) ما يزال قابعا بنصف وجهه

وكان وجهه صبح

يضيء من مواسم الحصاد

ويغرس الحنان في الاكواخ والحقول

ويهتف الصبيان : « يا ابي

(زكية) العجوز خانها الكلام

لا حرف ، لا ابتسام ، لا سلام

واصبحت تضيق بابن الجار

كأنه غريب

والمقريء الضرير لا يغيب

عن دارها في الليل والنهار

من يوم ان طوى رسائله

وسلموها ثوبه وساعته ...

وكلمتين : مات ...

واختاره الاله

وحيدها الحبيب

ولم يكن يحتاج للكفن

فقد روى الرفاق انه انتقم

من قبل ان يموت

وحين مات اقبلت غمامة بيضاء

وشاهدوه بعدها كأنه يعانق السماء

وكان يتسم

وكلنا فدى الوطن »

★

الخوف تغمر السفوح والوهاد

ظلاله الكئيبة ..

وتعصر القلوب كفه الخضيبه

والقرية الخضراء في سواد

ولم يزل صديقي- الوديع

تصافح التراب قبضته

وغيمة الاسى تظل جبهته

وربما مضى به الصغار يسألون

ويلفطون بالسؤال عن « خطيئة البشر »

فلا يجيب ...

حسن فتح الباب

القاهرة

الترجمة

سرايها.. يقينها

بقلم شريف السراس

ان فكرة المدنية حافز من اعظم الحوافز التي يتخذها الانسان سببا لسلوكه وتصرفاته . ولكن هذه الفكرة تضم في اغلب الاحيان مفهوما من اغلب المفاهيم غموضا واشدها استغلافا على الذهن . فبينما تصبح هذه الفكرة صماء لاشعورية ، ان صح القول ، لانسيابها العميق في باطن كياننا ابان فترات الهدوء الاجتماعي النسبي ، نجدتها تبرز على العكس في الاوقات العصيبة حتى تشغل المكان الاول ، وتحتل مركز الصدارة . ولا يخفى ان فترات الازمة تتميز في اكثر الاحيان باضطرام الاهواء ، فيلجأ الناس الى ذكر المدنية وتلهج السنتهم بدعائها والابتغال اليها ، على الرغم من ان هذه الفترات المضطربة هي التي يبلغ فيها اهمال المدنية اوجه ... فان كان اعتداء المتمدنين الغربيين على مصر اكبر تازم في مدنيتهم الجائرة ، وان كان رسل الاخلاق يقولون « ان (العمل) في البدء لا (الكلمة) » فقد حق للدكتور عادل العوا ان يستهل النسخة العربية من هذا الكتاب الذي تلخصه لقراء الاداب ، بقوله : « الى الشهداء العرب في بور سعيد ... لبنة جديدة في صرحنا القومي وفي مدنية الانسان » . . . فهل صحيح ان تحرر العرب وسلوكهم الانساني في سلمهم وحرهم وتمسكهم بالعدالة ضمانا لمدنية الانسان ؟ ثم ما هي مدنية الانسان اصلا ؟ تلك اسئلة حاسمة في واقعنا القومي الراهن ، وربما كان الجواب عليها ، وتوضيح معانيها ، من اهم اسس الهندسة العقائدية التي نحتاج اليها لتفتيح البنية الفكرية الانسانية المدفونة في نضالنا القومي النزاع الى الحرية والعدالة والمدنية النصح .

هذا الموضوع الخطير قبل كل شيء .

١

ما هي المدنية ؟ ان المدنية عالم يقاس كل شيء فيه بالمقياس الانساني . كل ما في المدنية يحمل طابع النية او القصدية الاساسية التي بها يتحرر الانسان من قسر الطبيعة فتزداد رغباته كما وكيفما وتزداد وسائل ارضائها سهولة ويسرا . انها مشهد الفاعلية الانسانية التي تروى الى المضي في انتاج ، وحماية ، وتنمية ، ونشر تلك الامور الكسبية .

هل هناك نوعان من البشر ، نوع يصنع المدنية ويحميها ونوع يتفرج على كل ذلك ويخضع له ؟ ؟ يقول باستيد : ان الانسان لا يمكن ان يحيا حياة العابر الناظر الى ما يمثل على مسرح المدنية بل ان كل انسان متمدين هو ممثل في هذا المسرح ولا بد له من ان يفعل شيئا ، وعليه ان يلتزم العمل ويتحمل مسؤوليته التامة بقدر جودة وعيه له ، ويكون التزامه حرا بكل ما تحمل حرية الاختيار من معنى . وما اخطر سلاح الحرية ، وما اخطر ان تفرغ الحرية من محتواها الانساني لتملأ بمحتوى نفعي فردي ؟ وظاهر « ان الفردية الحرة اساس المدنية التي عرفتها المجتمعات الاوروبية في القرن المنصرم ، عندما سادت النظرية النفعية ، وكان مثالها مثال التاجر الشريف . فالحياة تجارة مثل سائر انواع التجارة الاخرى . وعلى كل انسان ان يعمل عقله في سلوكه الخاص ، فيجد ان سعادته لا تعرقل لسدة غيره ، وأن الانسانية المتمدينة سترتع في بحبوحة المدنية

★

اذكر انني كنت ذات مرة احمل كتاب برغسون « منبع الاخلاق والدين » وكان الى جانبي على نفس المقعد ، فسي سيارة النقل الكبيرة ، شيخ عجوز من ذوي الثقافة العثمانية المعروفة باللحية البيضاء واللغة « الاغباني » حول الطربوش ، واذكر ان الشيخ طلب مني بعد حرج ان اطلمه على الكتاب ففعلت . ثم سألتني : من هو برغسون هذا ؟ فقلت : فيلسوف فرنسي . وسرعان ما اعاد الي الكتاب قائلا : الفرنسيون ، اولئك قوم بلا اخلاق ولا دين ... وشعرت بأن الشيخ العجوز قد انتصر بهاتين الكلمتين فحسب ، اذ كل الوقائع العملية الى جانبه ، ولا يستطيع انسان ، يعرف عن وحشية الفرنسيين في الجزائر ما يعرف ، الا ان يشهد شهادة هذا الشيخ . ولكنني تابعت قراءة الكتاب .. قرأته اكثر من مرتين .

ذكرت هذه الحادثة حين بدأت اقرا السطور الاولى من كتاب « المدنية : سرايها ويقينها » ، فالمؤلف جورج باستيد ليس فيلسوفا فرنسيا جاهزا ، بل هو - كما يتحدث عنه المترجم - « ليس عالما مؤرخا ، ولا عالما اجتماعيا ، وليس هو برجل قضاء او سياسة ، وانما هو امرؤ يجهد ليفقدو ، بكل جلاء ، واحدا من هؤلاء الفلاسفة الذين تحدث عنهم ديكرت ، اي فيلسوفا يسعى لرؤية افكاره على نحو اوضح ، حتى يقود عمله على شكل افضل » . وربما كان من الانصاف ان نقول ان هذه الصفات الرائعة تنطبق على المترجم ايضا ، على ما بينهما من اختلاف في الوضع القومي . وان كان للجيل العربي الصاعد ان يشكر الدكتور عادل العوا على ترجمة هذا الكتاب ، فانما يشكره على انتقاء

وتنميتها وتوسيعها تدريجيا حتى تشمل الامم التي لم تسهم فيها بعد » .

وترعرعت في انكلترا فلسفات النفعية ، التجريبية ، الدرائمية ، الفردية ، وكان يكون من انكلترا ، وكذلك بنتام وجون ستيوارت ميل الذي دخل في خدمة شركة الهند الشرقية منذ السابعة عشرة ، وكتب مقالات طويلة يدافع بها عن « الحرية الشخصية » متبعا بذلك الميل البورجوازي العام ، واكمل دعائم الفلسفة النفعية فاضاف لذة الكيف الى لذة الحكم وقال : « ان الانسان البائس لخير من خنزير شبعان » . ولكنه لم يتساءل : لماذا لا يكون الانسان بائسا بل اكتفى بأن قال : « ان النفعية تقتضي الفاعل الحكيم ان يعمل للآخرين كما يجب ان يعملوا له ، وهذا الاثار شرط الحياة الاجتماعية التي هي بدورها شرط المنفعة الشخصية » .

ولكن الانسانية المتمدنية لم ترتع في بحبوحة من العيش وانما ظلت بريطانيا مسرحا للاضرابات العمالية المليئة بالماسي والوحشية معا ، وظلت اوربا كلها ميدانا للثورات الشعبية والحروب المدمرة والازمات الاقتصادية المهلكة . وتبين ايضا ان الحرية الشخصية ، وفلسفة الذرائع والمنفعة تدعم الطبقات الناهية المستغلة السيطرة ولكنها لا تجبرهم على الاثار . . ان عاطفة الاثار لا تصدر عن وحوش .

ورغم ان يكون ، زعيم الفلسفة التجريبية البريطانية كان قد اوصى « بأن لا نلصق بالفكر اجنحة الخيال ، بل نعالا من رصاص حتى نظل في مستوى الارض » فان التناقضات الاجتماعية المذهلة ، وانقلاب القيم الموجبة في اوربا الى قيم سالبة في مستعمرات اوربا ، وخضوع تلاميذ يكون لوظيفتهم في تغطية هذه التناقضات اجبرهم على ان يركنوا الى « الافيون » . حتى ان باستيد ليتساءل : « عم يتكلم فلاسفة التجربة حين يبحثون في السعادة الانسانية ؟ ان رأيهم في السعادة ليس تصورا ذهنيا . فارغا ، بل ان فرط غناه يؤدي به الى التناقض . فاذا شئنا تسميته باسم قلنا انه خيال محال ، اي اسقاط خيالي في مستقبل آتق باستمرار ، لامنية التوفيق بين ما لا يقبل التوفيق . . ومن الحق ان نملك جراحة القول : ان المنفعة والحرب لا يفرقان . . . والمدنية : اما الا تكون غير ما عناه الشاعر بقوله : تاريخ عابث لنوع بائس من الاحياء يقضون عمرهم وهم يحومون ، كما تحوم الحشرات البائسة ، حول قس من لهب واحد سيحرقهم جميعا فيذيقهم طعم مسوت واحد ، واما ان توجد كفكرة ذات قيمة رائعة تحدد للجهود البشري معناه » .

٢

على ان البشر ابتلوا بنوع آخر من المهندسين العقائديين ، اشد خطرا وابعد تأثيرا من فلاسفة الجزيرة البريطانية ، اولئك هم مهندسو مذاهب النظام الرباني . ورغم اختلاف

افراد هذا الجيش الجرار في الشارات والشعارات واللباس الكهنوتي ومشاكل القلنسوة فان منطقهم واحد في كل زمان ومكان : « ان في الكون نظاما عاما اراده الله ذاته وخلقه فاختص المجتمع الانساني بجملته ، كما اختص المجتمعات المتفاوتة بتفاصيلها ، كل بحسب طبيعته ، بمكان لائق ، وعمل ملائم . وهذه الطبيعة تتبع ، هي ذاتها ، رتبة الكائن في تسلسل القيم . وما المدنية سوى جملة نظام الاجتماع البشري في اطار النظام المطلق الرباني . وفي داخل هذا النظام الشامل تتسلسل المجتمعات وتتمايز ، فبعضها يكون اكثر مدنية اذا كان حظها من الوجود والقيمة اعظم واوفر من حظ المجتمعات الاخرى التي توسم عندئذ بأنها اكثر توحشا . . لا تتسرعوا ، ان امما احتلت اوطانها وابيدت اسرها ، ليبرهن انكسارها وامحاؤها على انها لا تستحق بعدئذ نعمة الوجود . فوجودها اذن معيار اخلاقي لا يتناول الحكم عليها حكما شخصيا مستقلا ، بل ان المعيار الاخلاقي للامتناع عن الحكم عليها ، بدعوى ان الله وحده صانع كل نظام ، وهو مكلف بأمر القيم والوجود ، شأن ذلك كشأن المارزة القضائية . اذ الامر يومئذ لله ، والله يعرف دائما من ينصره . الم يكتب باسكال كلمته الرهيبة بسبب مذهب كهذا المذهب عندهما قال : « لما عجز الناس عن ان يكون العادل قويا قرروا ان يكون القوي عادلا » .

ويناقش جورج باستيد مقولات هذا المذهب جملة وتفصيلا مناقشة تقديمية ثورية ، حتى يبين في النهاية ان « هذا النظام لا يضم سوى تصعيد نظام اقطاعي قائم على التملك العقاري ، ولا يختفي وراء قناعه الروحي امر آخر . الا مادية ارضية تريد ان لا يذكر اسمها » . ونضيف الى ذلك اعتقادنا بأن هذا النظام اللاهوتي للمدينة الخيالية كان اكبر خدعة استعان بها المستغلون لاستعمار الشعوب .

٣

ولكن ما بالنا نشغل انفسنا « بالنظام » ؟ ان هناك امورا ابعد من النظام تأثيرا في موضوعنا ، كالصيرورة والتطور والتقدم والتجاوز والدقة الحيوية والتطور المبدع الخلاق . ان الانسان لا يوجد بل يصير ، وكذلك المدنية فهي ليست مفهوما تجريديا جامدا كما يزعم المفرون بالتشريح الكسول وانما المدنية شيء مشخص حي ينعشه كل ما يجعل حياة الفرد وحياة الجماعة حيوات حقيقية . على هذا المنوال « تفسر المدنيات التي تؤلف اشكال الخلق المتنوعة . فالتاريخ أشبه بغابة كبرى تضم ارضها السبخة بقايا الحضارات الغابرة كلها ، ويكفي الباحث ان يلم بحدس الحياة ليدرك طرافة الاشكال الجديدة التي تحملها الحركة الصاعدة ، والنبت الغزير ، والدفعة الجياشة ، في حين ان اشكالا اخرى عتيقة بالية تجاوزتها تلك الوثبة الحيوية المتطلعة الى السماء ، فباتت في طريق الانحلال ، يلفها ظل من الانحطاط ، ما يزال تتخلله الاف اجراس صغيرة تلمع

وتحاول ان تخدع ببريقها ولكنها لن توازي بلمعانها الضئيل نور السماء الرحبة الساطع حيث لا تزدهر وتفتح إلا اجرا الحركات وأقواها » .

وبذلك ندخل ، مع باستيد الى حديقة فلاسفة الصيرورة حيث تتعقد حلقات هيجل وفخته وشوبنهاور ونيتشيه وبرغسون وشبنجلر (١) . . . خليط عجيب من الفلاسفة الجريئين ، ينعمون في نشوة دمج القيم الاخلاقية بالمقولات البديعية ويتفياون بظلال حاملة زرقاء لا تثبت امام التمحيص الفكري . . . سمهم ما شئت : رومانطيين ، فلاسفة الحياة او التطور او الصيرورة او الخلق المبدع او ارادة الحياة الخلاقة التي تحطم ذاتها ابان ازمة انجابها او فلاسفة الجدل الصاعد او الخ ، ولكن مذاهبهم جميعا تؤدي - فيما يتعلق ببحث المدينة - الى مصب واحد . هذه المذاهب جميعها تود ان تسوقنا الى صميم **ميثافيزياء الحياة** : « هناك حيث يخفق النبض الخفي للكون اذ يكون ، هناك حيث تنبثق كل حرارة من ينبوعها ، وتتفجر كل حركة من مصدرها . ولا ريب ان الانسان يسهم بقسط في هذه الحياة . في هذه الحرارة ، ولكن الانسان ليس اصل ذلك ابدا ، انه ليس سوى الوجود الواسع المصطب » ص ٩١ . اذن فالانسان لا يصنع القيم . ولا يغرنكم ان تتجسد الاصلة في انسان ما فيغدو « روح العالم في عصره » اذ ان هذا الانسان لا يكون عبقريا حقا الا لانه يصبح حامل مصير كلي . والواقع - ويجب ان نؤكد ذلك - ان الافراد ليسوا هم الذين يصنعون المجتمع او الحضارة او المدينة . اذن فمن هو الذي يصنع كل ذلك ؟ انه التاريخ ذاك المرجع الاعلى للقيم الانسانية . ان التاريخ هو الذي يوجد العبقرية المهمة والامم المصطفاة ، انه هو الذي يكل المهام التاريخية العظمى لهذا او ذاك من الناس فيجعل منهم رجالا افاذا وقادة شعوب . يخلق الشعوب المتنازعة والعروق التي يكلفها « القدر » بمهمة اقامة الحق على غيرها . وتكون سيطرتها المقدسة تجليا لارادة سير الله ذاته .

ان الانسانية برمتها مدمجة في حركة ميثافيزيقية واحدة تتمخض عنها الحياة والقيمة ، او كما يقول برغسون : « ان الكائنات العضوية جميعها - اوسع من الانسانية - من احطها الى اسمائها ، منذ اصل الحياة الاولى حتى يومنا هذا ، انما تبدو لأعيننا - لعيني برغسون - في جميع الامكنة ، وجميع الازمنة ، دفعة وحيدة لا تتجزأ بذاتها . وهي تضاد حركة المادة . ان الاحياء كلهم يمسك بعضهم ببعض ، وهم جميعا يخضعون للدفع الكبرى عينا » (٢) .

(١) ومن الناطقين بالضاد نجد ايضا الدكتور عبد الرحمن بدوي والاستاذ زكي الارسوزي

(٢) التطور المبدع : ص ٢٩٤ من النسخة الفرنسية .

وماذا ينجم عن ذلك ؟ ينجم عن ذلك ان من الضروري ان نرى المجتمعات الانسانية موزعة على طول حركة الحياة هذه . « لا بل لا بد لهذه المجتمعات من ان تتوزع بحسب سلم متنوع اشبه بغزارة التورق في شجرة تنمو . فبعض هذه المجتمعات تمثل اشكالا كان لها زمانها ، تمثل اغصانا اصابتها الجفاف واليبس لانسحاب الحياة منها ، وبعض المجتمعات الاخرى تؤلف على العكس نباتات فنية غضة تحتوي بالقوة على مستقبلها كله ، ذلك المستقبل الذي لا يمكن التنبؤ به » ص ٩٤

وتبعنا لهذا المنطق ، كيف تكون المدينة ؟ ان المدينة ، كل المدينة ، هي عين الحركة التي تولد بها الحضارات الخاصة او تموت ، تظهر او تزول . المدينة هي الحركة التي تبني فوجا جديدا من انماط الحياة فوق رماد الحضارات السالفة وتستمد غذاءها من ذاك الرماد بالذات . . . وما كتساب شبنجلر « انحطاط الغرب » الا محاولة لتوضيح ما نقول . ان كل مجتمع من المجتمعات هو مرحلة صاعدة تنشأ عنها الابتكارات الرائعة العظمى في ميادين اللغة والجمال والسياسة والدين ، وهذا ما يؤلف « الثقافة » . ولكن لا بد بعد زمن طويل او قصير ، من ان تجمد الحياة وتتصلب وتلتصق الاوضاع والفاعليات في قوالب العادات او تتكاثر باسراف مفرط ويقوم عندئذ حال « التمدين » في المجتمع بالمعنى الصحيح .

اين تكمن فعالية التحريض على هذا التقدم والتمدين . والتطور ؟ في الحياة طبعا . ينبغي ان تقاس القيم الانسانية بشدة على هذه النفحة المهمة ، وان حيويتها هي بالدرجة الاولى معيار يحدد منزلة المدينة وقيمة المجتمع . . . وتظل القيمة ، كل القيمة ، لقدرة التسامي الخلاق وحدها . وحول هذا المعنى كانت تدور خطابات فخته في المانيا : « الشعب الالماني : جميع الذين يحملون في ذواتهم حياة خلاقة مجددة . . . الذين يترقبون اللحظة التي يمسكهم بها سيل الحياة الاصلية بدورهم . . . واذا اعتبرناهم كشعب فهم الشعب الاول ، الشعب وحسب ، اريد ان اقول الشعب الالماني » (١) اذن فتيار الحياة هو الذي يمسك بالافراد الجديرين ، وتيار الحياة او التاريخ هو الذي يهب المجتمعات الجديرة حضارتها وسلطانها لا بل وجدارتها بذلك ايضا .

وواضح ان الميثافيزيائية الاساسية في هذا الاتجاه هي الموضوعة القائلة بأن الواقع حركي بذاته (٢) . وان « حوادث

(١) سنبله : الفكر الالماني ص ٨٢ من النسخة الفرنسية

(٢) تعتمد الحركة الماركسية على هذه الموضوعة ايضا . ولكن المؤلف يلفت النظر الى اختلافها في النتائج عما نراه عند الجدلين الآخرين بقوله : « وقد كفى المذهب الماركسي ان يقلب جيل « الفكرة » الى جيل مادي حتى صار الحاضر طباقا بالتنازع الطبقي ونشأت حركات يسارية ثورية ازاء تيار المحافظة الهيجلية .

التاريخ حوادث مجردة بل هي ظواهر الحياة والتاريخ . مثل هذه الحياة المبدعة ، شيء مشخص ومأساة . ان من المحال التنبؤ بما سيخترع ، وان عملياته العميقة لا يمكن ان تغلب . ان التاريخ يتناول دائما الانسان في العالم ، الانسان هنا الان ، وحركته حركة تجاوز لا يقهر ، وهي الاس الميتافيزيائي للانسان الواقعي ما دامت هي الواقع الميتافيزيائي بالذات » .

ما هي النتائج العملية لمثل هذه المذاهب « الرائعة » ؟ وهل يحق لنا ان نناقش هذه المذاهب من خلال نتائجها التطبيقية ؟ نعم ، اذ ما دام الكلام يدور حول الحضارة او المدنية ، اي حول سعادة الانسان فلا مناص لنا من حكها على محك النتائج العملية الواقعية . . . يقول باستيد : « ان مذاهب الميتافيزياء الحركية توصل بالضرورة الى اخلاق وسياسة هي اخلاق القوة وسياسة القوة . . . لا بل ان في وسع الفوضوية الفردية ان تدعي الانتماء الى الحركة الحيوية مثل ادعاء مذهب طفيان الدولة وان كان من اعظم المذاهب استعمارية واشدها جورا » .

هذا اولا . ثم اننا ما دمنا نغزل الانسان عن مصيره ، فان المرء لا يستطيع ان يمتنع عن الشعور بالشك العميق حول اتخاذ هذه الميتافيزياء غذاء روحيا قادرا على دعم الناس وتأبيدهم في بناء مصائرهم . . . وادهى من كل هذا ان المذاهب اللاهوتية ان كانت تدعو الى خنوع واستسلام الى

ترقبوا

عدد

الجزائر

من

الثقافة العربية

مجلة فكرية عربية فصلية

يصدرها

النادي الثقافي العربي - بيروت

© ————— ©

اشمل مجموعة من الدراسات

صدرت بالعربية عن الجزائر

© ————— ©

عدد كانون الثاني ١٩٥٨

مادية حرفية فان مذاهب الصيرورة الرومنطيقية تدعو الى الخنوع عن طريق الفرق في خضم الحياة والاستسلام لغيباتها الخلاقة المبدعة . . . واذا كانت المذاهب اللاهوتية تغطية للمادية الارضية وستارا يبرر اقطاعية الملكية العقارية ، فان الامر هنا يرجع الى بداوة في غابة - عكس المدنية - كحال الصياد التائه من صقع الى صقع ينتقل وجماعته المشردة من غير هدف قصي .

ثم الم يجد الاستعماريون سندا فكريا في مثل هذه المذاهب لتبرير وحشيتهم ؟ ان الغموض يشمل كل شيء . و « سيزعم كل مجتمع حسب حظه ومزاجه انه برعم نهائي لتمخض التاريخ ، ثم ينهار فورا فيتهم ذات نفسه بالانحطاط ، وسيجعل وسواس الدور الصلف والانحطاط يتناوبان ، فتصبح العلاقات التاريخية خاضعة لاهتزاز هلوسات العظمة والاضطهاد . ان النظرة التي تبعث في الحضارات الجنون ليست بفكرة صحيحة عن (المدنية) » . اما مناقشة هذه المذاهب مناقشة عقلية منطقية فامر يزيد في تهاونها ايضا . اذ ان هذه المذاهب تريد طرد التفكير من عالم المصير والقيم الاخلاقية ، وهذه الفتنة هي دعوة ظلام بقدر ما يقترحون علينا اتخاذها معيار فاعلية الانسان التمدنية . . . واذا كان التاريخ هو المرجع الاعلى للقيم الانسانية فهل للعقل ان يدرك حتمية هذا التاريخ ؟ ابدا . فالانسان « قوة تمشي » ويكفيه ان يصنع التاريخ اذ يحيا مصيره الميتافيزيائي . وهذا ما يؤدي بنا حتما الى الوصول الى هذه النتيجة المحزنة ، وهي ان المذاهب مذاهب بدون الزام ولا جزاء من النوع الاخلاقي الصرف ، وفي هذا حذف للاخلاق بأسرها ، والاخلاق جذر المدنية .

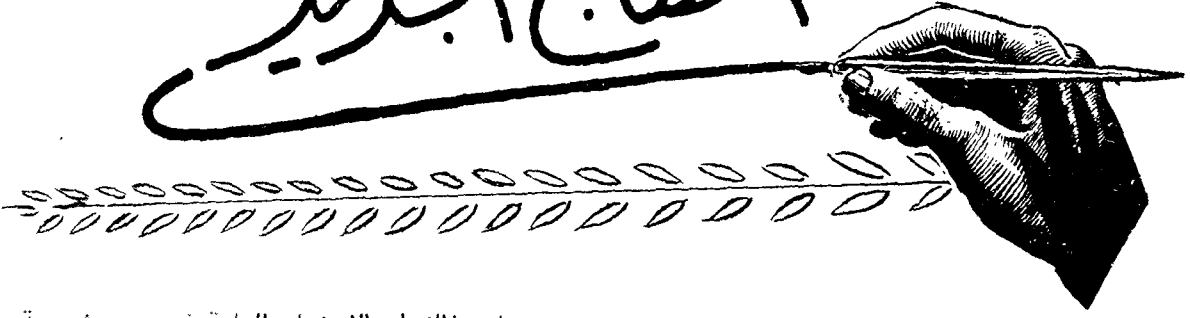
واخيرا فان دور الفكر ينحصر في التبرير فقط، فالثوب واسع والتبرير سهل جدا والمغالطات تصبح استنتاجات « منطقية » سليمة تماما ، ولا يبقى عليك اذا شئت ان تعرف المدنية الا ان تقول : ان تمخض (الله) في (التاريخ) ينتج بطبعه ، كآخر مرحلة من مراحل الصعود الاقصى ، ينتج (الدولة) البروسية ، وعاصمتها (برلين) حيث يقطن دماغ العالم و (كلمته) الاستاذ هيجل) . . .

ابحاث فلاسفة التجربة البريطانيين عن اللذة والسعادة وتبرير الاستعمار ، وأنظمة الحضارة اللاهوتية ، وشطحات فلاسفة ميتافيزياء الحياة والحركة والصيرورة الرومنطيقين ، تلكم هي الفئة الباحثة في سراب الحضارة او سراب المدنية . اما المدنية كيقين ، المدنية في كلام علمي مفهوم يثبت امام المنطق والعقل ، فهذا ما سنبجته في مقالنا القادم .

شريف الرايس

مجاز في الفلسفة

النتائج الجديدة



في أزمة الثقافة المصرية

دراسة بقلم رجاء النقاش

منشورات دار الآداب - بيروت

★

عموماً . ذلك ان الاوضاع العامة في مصر شبيهة بالاوضاع العامة في سائر البلاد العربية اذا نظرنا الى حالة الشعب العربي في كل مكان . ولئن كان المجرى السياسي في جزء من هذه البلاد يختلف عنه في جزء آخر ، وكان الوضع الاقتصادي متفاوتا بين هذه الاجزاء ، وكذلك الوضع الاجتماعي ، فان هناك عاملا هاما جدا يشترك فيه الشعب العربي كله ، على اختلاف موطنه وتباعدها ، هو الوعي . ولا شك في ان هذا الوعي هو الذي سيزيل عاجلا او آجلا هذه الفروق ، ويصهر تلك الاختلافات ، ويوحد الاتجاهات الفكرية والمصادر الثقافية .

فلا مفر لنا من الاعتراف اذن بان من يؤرخ لهذه الفترة من حياة الثقافة المصرية ، يؤرخ الى حد بعيد للثقافة السورية واللبنانية والعراقية وسواها من الثقافات التي شاركت في بعث النهضة وتعرضت جميعا لمؤثرات متشابهة طوال قرن من الزمن . ولهذا نحس ان نرى في هذا الكتاب الصغير رسدا لمظاهر الحياة الادبية في الوطن العربي كله ، بالرغم من ان اهتمامه ينصب على الاوضاع والمؤسسات في مصر وحدها . وقد نختلف في هذا رأي المؤلف الذي يعبر عنه في « التمهيد » .

ولكن المؤلف يرصد ، في الواقع ، الاتجاهات الكبرى للثقافة ، من غير ان يقف على الظواهر الفردية ، الا اذا شاء ان يربطها بهذه الاتجاهات الكبرى التي نلمحها في كل انتاج ادبي في مختلف البلدان العربية . فهو مثلا يتحدث حديثا طويلا عن القوى التي كانت تؤخر تطور الشعب المصري وتمسكه دون الانطلاق فيردها الى ثلاث: المستعمر والسراي والاقطاع . واذا تأملنا الاوضاع في سائر البلاد العربية ، أستطعنا ان نجد هذه القوى الثلاث قائمة في كل مكان تحطم عجلة الوعي والتطور . وفي الكتاب حديث عن « المخدرات الفكرية » ، وهي مخدرات لا تقتصر على مصر وحدها بل تمتد ايدي اخطبوطها الى كل بلد عربي . فلسنا نخطيء اذن حين نجد في هذا الكتاب القيم تخطيطا واضحا للاوضاع الثقافية في مختلف الاقطار العربية .

وميزة هذه الابحاث جميعا تكمن في انها لا تبحث القضية الثقافية الا من خلال القضية الاجتماعية بكل ابعادها ، ولا سيما البعد الاقتصادي الذي يرتبط بقيمة عظمى في

منذ الحرب العالمية الثانية(*) واجهت الثقافة العربية، ولا تزال تواجه ، عهدا جديدا من حياتها يتسم بطابع النزوع الى التحرر من التقليد ، ومحاولة خلق قسَمات مستقلة تبرز شخصية هذه الثقافة متميزة الملامح والخطوط .

ولا شك في ان هذه السنوات القلائل التي تنتظم هذا العهد الجديد تحتاج الى مثلها قبل ان نستطيع الحكم على هذه الملامح والخطوط ، ذلك ان هذا العهد هو عهد انتقال وتلمس وتمخض ، وان التيارات الثقافية التي تضطرب فيه ما تزال في صراع وتنافس شديدين . ومرجع ذلك هو من غير ريب ارتباط هذه الثقافة ارتباطا اشد واثق من السابق بالوضع العام للوطن العربي في ابعاده السياسية والاقتصادية والاجتماعية . وهذه هي الخصيصة الجديدة التي تميز هذه المرحلة من الثقافة العربية عن جميع المراحل السابقة منذ عهد النهضة . فقد كانت تلك المراحل ضعيفة الصلة بالاوضاع العامة التي تكيف البناء الحضاري الى حد بعيد ، ولهذا برزت تلك الفجوة العميقة بين الثقافة والحياة أجمالا . وبدا ان اكبر هم للمرحلة الجديدة في الثقافة هو ان تملأ هذه الفجوة وتجعل العلاقة بين الفكر والحياة علاقة تفاعل عميق متصل .

والواقع انه ليس اسر ولا اشق من التأريخ لهذه الفترة الانتقالية التي تمهد لانبثاق فكر عربي جديد يسهم اسهاما فعالا في خلق الحضارة العربية الجديدة . فان تعقد الصراع بين التيارات ، وتلمس الصلات والعلائق بين معطيات الحياة ومظاهر الثقافة ، وتحليل الآثار عبر ارتباطها بالمجتمع ، ان ذلك كله يقتضي جهدا وصبرا لا يحتملها الا القليل .

واذا كان هذا الكتاب يتحدث « في أزمة الثقافة المصرية » فهو في الوقت نفسه يتحدث في أزمة الثقافة العربية

(*) بهذه الكلمة قدم الدكتور سهيل ادريس لكتاب « في أزمة الثقافة المصرية » الذي صدر عن « دار الآداب » اخيرا .

الادب الطفيلي ويجعله فنا خاصا بذاته لا يقل اهمية عن الفن الذي يتناوله بالدراسة .

ولعل من اهم ميزات هذا الكتاب جراته في تناسول المؤسسات الاجتماعية والثقافية بالنقد والتحليل ، من غير محاباة او تملق او رياء . وفي هذه الفصول ثلاثة امثلة بارزة : اولها الحديث عن «الازهر» وتأثيره في مجرى الحياة الفكرية واقتراحاته في اصلاح الدراسة فيه ، خصوصا بالغاء التعليم قبل الجامعي في فروعه ، وثانيها الانتقاد الشديد اللاذع لمؤسسة فرانكلين وسواها من المؤسسات التي تحاول تشويه الثقافة العربية وتوجيهها منحرفا للمصلحة القومية ، وثالثها الهجوم العنيف على دار « اخبار اليوم » المصرية . فان من يعرف مدى تأثير هذه المؤسسات الثلاث في حياة عدد كبير من المؤلفين والكتاب ، يدرك الجراة التي تدرع بها المؤلف في توجيه النقد الشديد لها . وبعد ، فيسعد « دار الآداب » ان تقدم هذا الكتاب الصغير الكبير الاهمية الذي يعطي القاريء خير نموذج للدراسة الادبية التاريخية النقدية ، والذي سيكون من غير شك خير مرجع لتأريخ هذه الفترة الاخيرة من حياة الفكر العربي عامة ، والمصري خاصة .

سهيل ادريس



حضارة في طريق الزوال

تأليف انيس فريحة

منشورات كلية العلوم والاداب بالجامعة الامريكية - ٢٧٧ ص



لعل اشد ما تفتقر اليه المكتبة العربية الدراسات العلمية الاجتماعية للبيئة العربية . فقد انخمت هذه المكتبة بالابحاث القومية والسياسية ، كما انها اصبحت زاخرة بصور من التفكير القومي المشوب بآثار من العاطفة والخيال . في حين ان معظم المشاكل التي عولجت او عرفت حتى الان ، فضلا عن المشاكل التي حال التفكير العاطفي دون كشفها ، لا يتسنى وضع الحلول الناجعة لها الا على اساس من الدرس العلمي المجرد ، والمبني بصورة خاصة على قواعد علم الاجتماع .

ذلك لان المجتمع العربي يواجه اليوم مواقف حاسمة تتعلق بمصيره ، في الوقت الذي يحمل آثارا جملة من مساوئ ماضيه القريب ، كما يحيا في حاضره تجارب واختبارات لا يجوز معها اهمال الاسس العلمية لأي توجيه اصلاحي .

مصر . والمؤلف يتبدى في ذلك مؤرخا ادبيا من الطراز الاول ، اذ هو يرصد الحياة الفكرية بكل ينابيعها وكل روافدها ، ولا يهمل اي عامل يمكن ان يخلف اثرا في مجرى هذه الحياة . وهو اذ يعلق اكبر الاهمية على العامل السياسي في تطور الثقافة ، فانما يسجل واقعا حساسا في حياة الشعب العربي الذي يستقطب اليوم كل همومه وشواغله في تحرير وطنه سياسيا واقتصاديا . وهو اذ يلح على مسؤولية الكاتب في توعية الشعب ، وعلى تحمله تبعة البناء على قدم المساواة مع السياسي المخلص ، فانما ينص على المهمة النبيلة التي لا يمكن لاي مفكر يعيش قضية وطنه ان يتخلى عنها .

والى جانب ذلك ، يبدو الاستاذ رجاء النقاش محلا اجتماعيا وناقدا ادبيا عميق الثقافة واسع الافق . فهو اذا تناول كتابا بالدراسة ، لا يكون قصاره ان يعدد محاسنه ومساوئه ، وانما يحاول ان يقيمه بالنسبة لعصره ويدرس تأثيره وتأثيره في المجتمع . وبوسع القاريء ان يرى ذلك في حديثه عن ديوان من الشعر الشعبي لصلاح جاهين . فهو قد بدأ البحث بحديث عن الشعر الشعبي اجمالا ليستطيع ان يوضع هذا الديوان فيه ، ثم درس اصوله وامتداداته ، وهكذا اعطانا فكرة واضحة عن قيمة الكتاب ، واتاح لنا فرصة دراسة الشعر الشعبي بالاجمال . وهذا ما ينحو بالنقد الادبي منحاه الصحيح اذ يجنبه ان يكون من

مكتبة انطوان

فرع شارع الامير بشير

تلفون ٢٧٦٨٢ - ص.ب. ٦٥٦

خليل رامز سركيس	من لا شيء
نجيب حنكش	حنكشيات
امين نخله	ذات العماد
صلاح الدين المنجد	بين الخلفاء والخلفاء
اسعد الخياط	صوت من لبنان
عارف تامر	حقيقة اخوان الصفاء
مارون عبود	على الطائر
سهيل ادريس	الحي اللاتيني (ط ٢)
جورج حنا	كنت في سيبيريا والصين
احمد الخاني	مم وزين
مارسيل اهرار	تاريخ الادب الروسي
محمد الفيتوري	اغاني افريقيا
جرجي زيدان	العرب قبل الاسلام
جرجي زيدان	تاريخ ادب اللغة العربية
ناصر الدين اسد	مصادر الشعر الجاهلي

بل يفيض مدلولها عن هذه المفاهيم . ولكن هذا لا يعني جواز استثناء هذه المفاهيم واخراج العلوم من مدلول الحضارة .

ولئن اخذنا برأي المؤلف بضرورة اطلاق لفظة الحضارة على الناحية الروحية من المدنية (ص ١٠) ، فان ذلك لا ينسجم مع موقفه من جعل « الفولكلور » ممثلاً للحضارة، لان « الفولكلور » ليس هو بالجانب الروحي من المدنية وان كان يلتقي به ، وانما يشمل الجانب الروحي جميع المؤسسات وخصوصاً منها ما يتعلق بالفكر والعلم ونحوهما .

لذا فاني اعتقد ان في عنوان الكتاب شيئاً من التجاوز . وهو تجاوز لا يتفق والروح العلمية التي احب المؤلف ان يضيفها على مباحث الكتاب . ووجه التجاوز الذي يلمسه القارئ يقوم على اعتبارين : اولاً ، ان الكتاب يتناول « الفولكلور » فقط ، فهو اذا لا يتناول حضارة ما . وانما يتناول وجها حضارياً ، ثانياً ، ان « الفولكلور » الذي يعالجه الكتاب يختص بالقرية اللبنانية وحدها ، اي انه يتناول جزءاً من شعب ولا يتناول شعباً بكامله ، وهذا مع العلم بأن الشعوب كلها ليست بذات حضارات خاصة بها .

وقد نقول ان هذا التجاوز جائز بدعوى ما قد يتطلبه العنوان احياناً من المعاني الادبية الجذابة . ولكن المؤلف يقرن في العنوان لفظة « حضارة » بعبارة « في طريق الزوال » ، فمعنى هذه العبارة يفيد تحديداً قاطعاً ، اذ ان

وبوسعنا اعتبار هذا الكتاب من الكتب الضرورية التي يحتاج اليها الفكر العربي الباحث . وهو في الواقع من اثنى ما يقدم الى طلبة علم الاجتماع في بلادنا . والكتاب لا يمثل دراسة بالمعنى العميق للدراسة ، من حيث البحث والتحليل والمناقشة والاستنتاج ، وانما قوامه الوصف : فهو يقدم صورة دقيقة مفصلة صادقة لشؤون محلية من المجتمع الذي يتناوله ، ولذا فهو مادة غزيرة يجد فيها طالب علم الاجتماع ثروة يبني عليها بحثه وتحليله ، ولعله اول كتاب عربي يظهر في هذا الباب .

في هذا المعنى تتركز القيمة الاساسية لهذا الكتاب : ولأحد كلامي بأنه كتاب فريد في وصفه « للفولكلور » في القرية اللبنانية . و « الفولكلور » كما يفيد المعنى اللفظي لهذه الكلمة الانكلسونية هو معارف الشعب ، ويشمل حسب شرح المؤلف « جميع المعارف البدائية والعادات والتقاليد والسجايا والمعتقدات والاساطير والخرافات والاقاصيص والامثال والشعر العامي والالعب والمسليات والاعياد والحفلات والمواسم التي هي خارج نطاقه المعترف به رسمياً من قبل المؤسسات الرسمية : الكنيسة ، والمعبد . والمدرسة ، والنادي العلمي والاجتماعي ، والصحافة الادبية الرصينة ، والمجلات العلمية ، وخلافها من المؤسسات التي تعنى بالمعارف والعلوم والفنون المنظمة التي اشترك في خلقها اصحاب العقول والموهبات والفلاسفة والمصلحون الدينيون والمؤرخون الحاذقون » .

وعلى ضوء هذا المعنى يسهب المؤلف في وصف مجالي الفولكلور في القرية اللبنانية في دقة بالغة وأسلوب ممتع يستدرج القارئ استدراجاً ، كما يقرن وصفه الادبي برسوم موفقة بحيث يعطي القارئ صوراً واضحة ناطقة للبيئة القروية وللغة الاجتماعية التي يتناولها الكتاب وهي سكان القرى بلبنان .

على انه يتضح من هذا المعنى ان ما يتناوله الكاتب ليس الا جانباً من حضارة ، او قل جانباً حضارياً على الاصح . فبإزاء معارف العامة تقوم معارف الخاصة ، ومن اتحاد المجموعتين كليهما لهذه المعارف يتكون الوجه الحضاري لشعب من الشعوب . ولا نقول حضارة هذا الشعب ، لانه لم يصادف ان وجدنا ان لكل شعب من الشعوب حضارة معينة خاصة به ، وانما ثبت ان التاريخ لم يعرف لجميع شعوب الارض اكثر من ثماني حضارات بالمعنى الدقيق هي حسب تحديد « اشبنجلر » الحضارات المصرية والبابلية والهندية والصينية والقديمة (اليونانية الرومانية) والعربية والمسيكية والغربية .

صحيح ان الحضارة كما يلاحظ المؤلف ليست العلوم والمعارف ، ولكن هذه منها ، وصحيح ان الحضارة ليست على حد قوله هي الآلة ، او « الصنع والبناء والعمران »

صدر حديثاً

منزل الاموات

لرائد قصاصي العالم - دستوفسكي

شامخة القصص الروسي التي تجسد فيها فن امير

القصص في العالم . سرد حي فد ، لأعظم اختبار

واقعي اتيح لعبقري فنان ان يحيياه . لوحات رائعة

مشيرة التعبير ، تجعلك تشارك بطلها زفراء آلامهم

ورعشات آلامهم .

اطلبه من جميع المكتبات في العالم العربي ومن الناشر

دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع

(٤٠٠) صفحة من الحجم الكبير - الثمن (٤٠٠) ق . ل .

«الزوال» يشير اشارة واضحة الى أن موضوع الكتاب هو « حضارة بالمعنى الكامل ذات خصائص معينة مميزة»، خصوصا وأن ما سماه « بالفضائل اللبنانية » (ص ١٠ و ١١) واعتبره مادة الحضارة المقصودة ببحثه يمثل اهورا يعلم الناس انها موجودة على وجوه مختلفة في الحضارة الانسانية السائدة ، وأنها ليست في طريق الزوال منها .

ويدور بحث الكتاب حول مجموعة اساسية من الصفات السلوكية الاجتماعية التي اعتبرها المؤلف جوهر الحضارة التي اتخذها موضوعا له ، والتي يرى أنها في طريق الزوال . وهذه الصفات التي يدعوها الكاتب « بالفضائل اللبنانية » هي مع الإيجاز الكلي حسب تعبيره :

- ١ - كرم الضيافة
- ب - النجدة (ويسمونها المعونة)
- ج - القناعة
- د - التقشف والصبر على المكاره
- هـ - حسن الثقة والامانة
- و - الصدقات السرية
- ز - المصالحة وحسم المنازعات
- ح - احترام كبير السن
- ط - الاداب العامة

ونترك للقارئ هنا ان يتأمل في هذه المفاهيم . فهو ولا شك سوف يتساءل سؤالين : اولا ، ما الميزة التي تجعل

هذه الصفات تميز حضارة معينة من الحضارات ؟ وثانيا ، ألا يشترك في هذه الصفات جميع سكان القرى والارياف في اقطار العالم العربي ؟

والحقيقة ان المؤلف لم يبحث مدى العلاقة والتأثير المتبادل بين سكان جبل لبنان الاصليين وغيرهم ممن الوافدين اليه عبر التاريخ .

والنتيجة الحتمية التي يصل اليها القارئ في تساؤله هي اننا لسنا هنا بصدد حضارة معينة ، كما اننا لسنا بصدد شعب يستقل بشخصية متميزة .

واخيرا لا بد لنا من تكرار التنويه بأهمية الكتاب العلمية من حيث عرضه الفريد « للفولكلور » اللبناني القروي ، فهو من خير الاسس التي يصلح الاعتماد عليها للقيام بالدراسات الاجتماعية للبيئة القروية بلبنان .

محمد وهبي



قرية ظالمة

بقلم الدكتور محمد كامل حسين

✱

هذا كتاب موضوعه غريب على تاريخ الفكر الاسلامي ، لانه يتناول يوم الجمعة الذي تم فيه الحكم على المسيح بالصلب ، يقول المؤلف : « ان الجريمة تمت فيما يتعلق بالانسان حين حكم على المسيح بالموت ، ولا ينقص من اثمها ان رفعه الله اليه » (قرية ظالمة للدكتور محمد كامل حسين - مطبعة مصر - صفحة ٧٥) . فالدكتور محمد كامل حسين يفرق بين الحكم على المسيح بالصلب ، وبين وقوع الصلب نفسه الذي لا يعترف به الاسلام .

ولقد عرض الفكر الاسلامي في تاريخه لهذا الحدث عند تعرضه للآيات القرآنية التي وردت في هذا الصدد ، ولكنه لم يؤلف المؤلفات الخاصة به . اما الدكتور محمد كامل حسين فكان اول مفكر اسلامي على ما اعتقد - يفرّد كتابا عن يوم الجمعة مستندا في أغلب ما كتب الى الاحداث والشخصيات كما روتها الاناجيل .

والكتاب مقسم الى ثلاثة اقسام : القسم الاول يتناول يوم الجمعة عند اعداء المسيح الذين كانوا يطالبون بموته وهم بنو اسرائيل ، والقسم الثاني يتناول يوم الجمعة عند الذين كانوا يؤيدونه ان خفية وان علانية وهم حواريوه او تلاميذه ، والقسم الثالث يتناول يوم الجمعة عند الذين لا يهمهم الا حفظ النظام في المستعمرة اليهودية وهم الرومان . وبذلك استوعب المؤلف الموقف من وجهاته الرئيسية الثلاث .

ويعرض المؤلف لهذه الاتجاهات من خلال الاحداث والشخصيات التي تعيش هذه الاحداث . وبعض هذه الشخصيات ورد ذكره في الاناجيل

عن منشورات مجلة شعر

صدر حديثا

نهر الرماد

لخليل حاوي

قصيدة في ثلاثة عشر نشيدا

يباع في جميع المكتاب

الثلث ليرتان

شرها عنهم ، كما كان يفعل المصريون القدماء كلما فاض النيل وأوشك ان يفرق البلاد . وما موت اوزوريس وتقطيعه اربا في انحاء مصر ليخصب تربتها الا صورة اخرى من هذه الصور . وقصة الفداء نفسها تتكرر في التوراة بصور مختلفة اهمها صورة الكبش الذي اوجده الله ليفدي به اسحق واسماعيل من الذبح .

ولعل لموقف الاسلام من فكرة الصلب دخلا في فهم الدكتور المؤلف ، فالتفسير الاسلامي للآيات القرآنية التي وردت حول هذا الشأن يستصعب وقوع الصلب على المسيح وأن الله رفعه اليه . وهذه معجزة — من معجزات النبوة ، يعكس ما لو تحقق الصلب . ولهذا ، فعلى ضوء هذا الفهم الاسلامي لفكرة صلب المسيح يمكن ان يبرر تفسير المؤلف بان الاحجام من نصرته المسيح يوم الصلب بعد خطيئة كبرى .

اما النقطة الثانية فهي ان المؤلف يحاول ان يوضح من خلال سطره ان الصراع يوم الصلب كان صراعا بين الضمير الانساني وبين النظام قانون الجماعة . ويقول المؤلف « في ذلك اليوم اجتمع بنو اسرائيل امرهم ان يطلبوا الى الرومان صلب المسيح ، ليقتضوا على دعوته . وما كانت دعوة المسيح الا ان يحتكم الناس الى ضميرهم في كل ما يعملون ويفكرون ، فلما عزموا ان يصلبوه لم يكن عزمهم الا ان يقتلوا الضمير الانساني ويطفئوا نوره » وفي موضع آخر يقول « ان اكبر الجرائم ترتكب في سهولة ويسر ، اذا وزعت توزيعا يجعل نصيب كل فرد اصفر من ان يضطرب له ضميره » كما يقول « ان الصالح العام لا خطر الاوثان واشدها ضررا حين يعبد فيطفى على اوامر الضمير » كما يقول ايضا « ان الجماعة لا ضمير لها » .

في المكتبات

وحبرته

الديوان الجديد الرائع للشاعرة العربية المبدعة

فدوى طوقان

وفيه قصيدتها الطويلة المشهورة « هو وهي »

وقصائد وطنية وعاطفية مختلفة

منشورات دار الآداب

ص.ب. ٤١٢٣

مثل لازار وقيافا والمجدلية وبيلاتوس ، وبعضها من ابتكار المؤلف مثل العذاب الذي صنع السامير لتوضع في يدي المسيح عند صلبه ، ومثل راعية الاغنام التي جزعت عندما اظلمت الدنيا ساعة الصلب ، والجندي الروماني الذي احب المجدلية ، واصبح من اتباع المسيح بعد ان اصبحت عشيقته من اتباعه ، ومثل القائد الروماني الذي حكم على هذا الجندي بميتة شنيعة لانه اطاع ضميره المسيحي فعد خائنا من وجهة النظر الرومانية .

وقد بلل الدكتور محمد كامل حسين مجهودا مخلصا بحق ليعرض يوم الصلب هذا العرض الجديد الذي يستوعب كل الزوايا ، وساعرض سريعا للنقاط الاربعة الرئيسية التي يقوم عليها الفهم المسيحي لدى المؤلف في قريته الغائلة . وهذه النقاط هي : فهمة لفكرة الخطيئة في المسيحية ، ثم فهمه للصراع بين الضمير والجماعة ، ثم دعوته السليمة واخيرا دعوته الى فصل الدين عن الدولة .

فهناك اولا خطأ اساسي في فهم المؤلف لفكرة الخطيئة في المسيحية ، فهو يقول ان احجام الحواريين عن نصرته المسيح يوم الصلب هي التي حددت مبادئ المسيحية وفلسفتها . فليست فكرة التكفير والفداء ، وهذا الحزن الغالب على طبع كبار التمسكين بالمسيحية وخوفهم من الخطايا وحجبهم لتعذيب النفس وارهاقها ، واكبارهم خطيئة آدم ، واما فهم انها اصل للعذاب الذي تعرض له المسيح لينقذ الانسانية من آثامها . . كل ذلك ليس الا صدق لخطيئتهم الكبرى حين تركوا المسيح لاعدائه (ص ١٣٥ ، ص ١٣٦) .

ويقول في موضوع آخر على لسان الحواريين « فنحن اذا انقلدنا السيد المسيح انقلدنا الانسانية كلها من عبء ستنوء به ابد الابد » (ص ١١٦) .

ومع ذلك فان المؤلف نفسه يقرر ان الحواريين لم يحجموا عن نصرته المسيح يوم الصلب بل نشأ بينهم جدل طويل لم يحسمه الا دخول رسول اوفدوه الى المسيح يستطلع رايه ، فاذا به يحمل رسالته اليهم وهي ان ينصرفوا الى العبادة والصلاة ، وان يتركوه حتى يتم الله امره فيه « وهو يقول لكم انه سيلقاكم بعد ايام ثلاثة في قرية من قسرى الجليل . . وهو يحذركم من العنف ويلومكم على ما بدا منكم يوم قبض عليه . » وذلك اشارة الى انه زجر احدهم لانه استل سيفه فاصاب به اذن جندي منهم كما يذكر المؤلف . ويعترف المؤلف ان هذه الرسالة احرزت الحواريين حزنا شديدا . فاين اذن كان احجامهم الذي بلغ اثره من الضخامة بحيث يصبح اصلا لفكرة الخطيئة في المسيحية ؟

ان الخطيئة في المسيحية هي خطيئة آدم الاولى حين عصى امر ربه ، والمؤلف يدرك هذا حين يتحدث قائلا « لعل التوراة حين قالت عن آدم انه اول انسان لم تقصد الى انه اول من مشى على رجلين بل تعني انه اول من ادرك الخطيئة واول من احس باثر الضمير فاصبح بذلك انسانا » . ويقوم التفكير المسيحي على ان هذه الخطيئة تحتاج الى من يفديها ، أي انها تحتاج الى الموت الذي يكفر عنها ، وبهذا يصبح موت المسيح — طبقا للتفكير المسيحي — ضرورة لا بد منها لخلاص البشر ، ومن ثم فلا يمكن ان يكون احجام الحواريين عن انقاذه من الموت — ان كانوا قد احجموا — سببا لتضخم الاحساس بالخطيئة لدى المسيحيين .

وضرورة موت شخص ليخلص الآخرين ، فكرة قديمة موجودة عند كثير من الشعوب التي كانت تقدم ضحايا بشرية لترضي الالهة وتدفع

أما ان الصراع كان بين الضمير الانساني ونظام الجماعة فهذا حق ، ولكن المؤلف لم يبين لنا لماذا كان المسيح يمثل الضمير ولماذا كان اليهود يمثلون العنصر الذي من شأنه ان يطفىء نور هذا الضمير ، والكتاب مليء بالتأملات الفلسفية ، فليس من الغريب على أسلوبه ان يوضح مؤلفه ذلك لانه لا يستعرض صراع الاحداث والأشخاص فقط بل وصراع الأفكار ايضا .

والواقع اننا اذا قارنا بين الديانتين المسيحية واليهودية نجسد أن المسيحية تمثل ديانة الفرد في مقابل اليهودية التي تمثل ديانة الجماعة او القبيلة .

ويشير المؤلف الى هذا التصادم بين الديانتين وآثاره في اكثر من موضع فهو يتحدث على لسان رجل الاتهام فيقول « ان الخير والشر واضحان وضوحا لا ريب فيه حين نتحدث عنهما التوراة ، وكنت احسبهما لا يختلطان ، ولكن لم اعد اتبينهما على ما كنت اعهد من وضوح » ص ٢٣

ويقول قيافا عن المسيح « انه لم يؤذ اي فرد من بني اسرائيل، ولن يؤذي اي فرد منهم ، ولكن يؤذي اسرائيل ، وجماعتهم هي التي سنتنقم منه وان كره كل واحد منهم ان ينتقم منه بنفسه » ص ٥٦ . والمؤلف في هذه الجملة واضح في فهمه للديانة اليهودية انها ديانة الجماعة وأن المسيحية تهديد لهذه الديانة بهذا الاعتبار . ويستطرد قيافا قائلا عن المسيح ، « وهو انما ذهب بالإيمان خطوة ابعد مما ذهب اليه موسى في شريعته ، وما ارى ذلك كفرا بل هي سنة الله في الرقي » ص ٦١ ، ولكن رأي قيافا رأي فرد ، لم يكن يعبر عن رأي اليهود كجماعة .

في المكتبات

قائمة المسموحات

للشاعرة العربية المبدعة

نازك الملائكة

منشورات
دار الآداب

بيروت ص.ب. ٤١٢٣

فالمسيحية أولا دين المحبة ، والمحبة هي التي تسود حين يحترم الفرد اخاه الفرد ، اما اليهودية فهي دين الثار (سن بسن وعين بعين ويد بيد ورجل برجل) والثار قانون القبيلة . يقول المؤلف على لسان احد ابطاله « الله هو الحب » رأي لا يضع من قدر الله ولكنه يرفع من قدر الحب . ان اله اليهود جبار هائل ، وقد يكون مصدر خير او شر . ولكن اله هذا الرجل لا يكون الا خيرا « ص ١٥ ، وها هوذا ابن الغني يقول عن المسيح « ايجوز لهذا الرجل ان يرتفع فوق ما أمرنا به سبحانه وتعالى . انسه يأمر رجاله ان يحبوا اعداءهم ، ونحن وان كنا أسلم عقلا من ان نستمع الى هذا الكلام الخلاب لا نستطيع ان نسكت عنه ، فان فيه القضاء التام على بني اسرائيل » ص ٢٢ ، ومعنى هذا الكلام بتعبير آخر ان في المحبة قضاء على قانون الثار .

وقد احترمت المسيحية ايضا فردية المرأة ، فيقول المؤلف « وأنكر قيافا انكارا تاما ما حكم به صاحب الدعوة الجديدة في امر المرأة التي اراد الناس ان يرحموها » ص ٥٥ لانه اعتبر هذا تهجما صريحا على اوامر الله ، وما كان انكار قيافا لذلك اللون من التفكير الا انكار الديانة التي لا تحترم الا الجماعة للديانة التي تحترم الفرد . فقد منع المسيح بالزواج اكثر من واحدة ومنع الطلاق الا لعل من الطرفين ، بعد ان كان يباح لليهود الزواج بأي عدد من النساء وتطليقهن لاي سبب كان .

وفي المسيحية : كما في الاسلام - نجد ان كل فرد يحمل تبعة اعماله في الحياة الاخرى حيث الجنة والنار ، اما في اليهودية فالسؤولية جماعية والعقاب دينوي - ولكي نوضح ذلك نورد ما جاء في سفر يشوع الاصحاح السادس عند سقوط أريحا مثلا « احرقوا المدينة مع كل ما بها . انما الفضة والذهب وآنية النحاس والحديد جعلوها في خزانة بيت الرب » لهذا نجد انه من الخيانة في هذا النظام ان يأخذ الانسان شيئا لنفسه كما فعل عافان بن كرمي بن زبدي بن زارح عندما قال « رايت في الغنيمة رداء شنعاريا نفيسا ومائتي شاقل فضة ولسان ذهب وزنه خمسون شاقلا فاشتيتها وأخذتها وها هي مطمورة في الارض وسط خيمتي والفضة تحتها » فقد ذلك مخالفة للأوامر وخيانة منه ، ولم تقع المسؤولية عليه وحده بل استحق ان يرحم هو وبنوه وبناته وبقره وحميره وغنمه وكل ما له . وكما كانت المسؤولية جماعية كان العقاب كذلك دينويا ، فالله ينتقم من الاباء في الابناء ، والاباء يأكلون الحصرم والابناء يفرسون ، والثواب ايضا دينوي (وأكثر نسلك حتى يصبح كنجوم السماء ومال البحر واكرم اباك وامك لكي تطول ايامك على الارض) وقد لا يعلم الكثيرون ان الجنة والنار لم يرد ذكرهما إطلاقا في الاسفار الخمسة الاولى والاساسية في التوراة ، ووجودهما في ديانة ما معناه ان الفرد يتحمل عبء اعماله حتى في حياته الاخرى . وهذه فكرة ظهرت عند كل الجماعات المستقرة كما حدث في مصر الفرعونية . كذلك نجد ان الدين اليهودي كان قريبا - او هكذا كان مظهره أي ان للجنس علاقة وثيقة بالدين ، وقد ينضم الى اتباعه بعض الاجانب عنه ، ولكن ليس عن طريق الدعوة والتبشير بل عن طريق المجاورة او المصاهرة او الظروف الخاصة . اما المسيحية فجاءت - كما جاء الاسلام - ديانة تبشيرية تخاطب الافراد بغض النظر عن جنسياتهم وقبائلهم . يقول احدهم في احد فصول قرية ظالمة تحت عنوان « في دار الندوة » أن حب الوطن فضيلة لا ينكر احد قدرها ، ولكنها ليست غاية الفضائل في هذا الباب . ان حب الوطن طور من اطوار الرقي الاجتماعي . فالرجل يبدأ محبا لنفسه ثم يتبين أن في حبه لاسرته وحمائته لها ما يجلب له النفع

وبمنع عنه من الاذى ما لا يستطيع وحده ، فتنشأ فيه عاطفة التضحية بنفسه في سبيل اسرته ، ثم يتبين ان حبه لقبيلته او مدينته انفع ، ثم يتبين له ان حب الوطن والدفاع عنه انفع . . الا ان هذا ليس خاتمة المطاف ، بل سيأتي يوم يكون فيه النظام الاجتماعي كافيا لانقاذ الناس ان حب الانسانية والدفاع عنها اجدى على الوطن من حب الوطن وحده . وقد يكون هذا الرجل اول من بلغ هذه الدرجة من الرقي الخلقي (يقصد بذلك المسيح) ثم يستطرد قائلا « على اني لا اكنتمك اني لا استريح الى اخذ بني اسرائيل بهذا المذهب الذي يضع الانسانية فوق الوطن » ثم يبرر المتكلم الاسرائيلي هذا الرأي بانه قد يكون بسبب محنة بنسبي اسرائيل الذي جعلتهم ضعافا اذلاء في بلادهم ، وقد يكون ضعفا منه ، فهو مقتنع بالتطور الجديد عقلا لكنه لا يؤمن به عقيدة (صفحات ٧١ و ٧٢) وهكذا نجد ان مؤلف (قرية ظالمة) قد تنبه الى هذا الفرق بين الديانتين والى المعركة النفسية التي يمكن ان تدور في نفسية هذا التطور .

واهم ثورة للمسيحية على اليهودية هي انها نقلت العبادة من المظاهر والراسيم الى اعماق النفس ومن عالم الحس الى عالم الضمير ، «بماذا يتنفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه ؟ » لهذا كان مسن المنطقي ان تصطدم هذه التعاليم التي تعطي للفرد كيانه وحقه في الوجود ، بالتعاليم التي لا تعترف بقانون غير قانون الجماعة او القبيلة ، وكان طبعيا ان يقع الصدام بين المسيح الذي يمثل الاهتمام بالفرد ويضمير الفرد حتى قيل انه ابو الرومانسية ، وبين اليهود الذين يؤمنون بديانة المجموع وديانة « شعب الله المختار » .

وليست الموعظة على الجبل ، وهي التي عقد لها المؤلف فصلا كاملا بعنوان « عود الى موعظة الجبل » ليست الا نقلا للعبادة من المظاهر والحس الى عالم الضمير ، فقد جاء فيها « سمعتم انه قيل للقديماء لا تزن ، اما انا فاقول من نظر الى امرأة ليشتهيها فقد زنى في قلبه . . سمعتم انه قيل للقديماء لا تقتل اما انا فاقول لكم لا تغضبوا .

✱

والموعظة على الجبل تفضي بنا الى دعوة السلام التي يدعو اليها المؤلف لا لانه بصدد الكلام عن المسيحية فقط بل لانه يؤمن بها فعلا موضحا ان الحرب لا تعود بالفائدة الا على قلة معينة ، فيقول ان الجندي الفاتح لا يتمتع بالسيادة الى ساعة الفتح حين تم الفوضى ، ثم يعود الى حاله الاولى فلا يسود احدا مما لم يكن يسودهم من قبل ، ويصبح المجد مجد عشرة او عشرين من اهل روما . وصد الاعتداء ان يوجد الجندي خارج حدود بلاده ليحارب قوما آمنين في ديارهم .

ولا شك ان الكاتب يشير من خلال حديثه عما وقع يوم الجمعة منذ الفين من السنين الى مشاكل الحرب والسلام التي يواجهها العالم اليوم ، ويتخذ موقفه الى جانب السلام في وضوح .

« وليست احداث ذلك اليوم من ابناء القرون الاولى بل هي تكبات تتجدد كل يوم ، في حياة كل فرد فالتناس ابداء معاصرون لذلك اليوم المشهود وهم ابداء معرضون لما وقع فيه اهل اورشليم حينذاك من اثم وضلال » ص ٣

✱

ومرة اخرى نجده يشير الى مشاكل اليوم من خلال حديثه عما وقع

منذ الفين من السنين ، وذلك حين يتحدث عن وجوب فصل الدين عن الدولة ، تلك الدعوة التي نادى بها المسيح حين قال « اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله » ولو ان الدول المسيحية لم تعمل بتلك الدعوة فيما بعد . ونحن نجد المؤلف يتحسس بدوره الى هذا الفصل بين الدين والدولة فيقول « ان الذين يدعمون النظام بالدين يخطئون في حق الدين ، ان النظام من عمل الانسان وهو ناقص وخاضع للتطور ولا يجوز ذلك على الدين ، ومن حمل السلاح او اذى الناس دفاعا عن الدين فقد وضع الدين فوق الله الذي يامر بالحب لا بالقتل ، والله كفيل بحفظ دينه وليس في حاجة الى عبيد خاطئين ينفذونه ، وليس لاحد من العصمة ما يجعل رايه في زيغ العقيدة صوابا لا ياتيه الباطل الى حد يسوغ فيه القتل . ان الذين يدافعون عن الدين بايذاء الناس انما يدافعون عن رايهم وحدهم ، بل اكثرهم يدافع عن حقوقه ومزاياه ، ويتخذ الدفاع عن العقيدة عنرا يعتذر به . ومن يعبد الدين نفسه عبادة تحمله على ان يتخطى حدود الضمير فيؤذي الناس في سبيل حماية الدين يكون قد اشرك بالله » . وهكذا يرى المؤلف ان الدعوة الى الدين يجب ان تكون على ان الدين ايمان وليس على ان فيه صلاحا لامور الناس الدنيوية (لان الدين يحكم الضمير ، والجماعة لا ضمير لها وانما يؤثر الدين في التنظيم والجماعات وسياستها على طريقة غير مباشرة ، فهو يؤثر في الجماعة حين يؤثر في الافراد » .

ولا شك ان كتاب « قرية ظالمة » هو اقرب الى العمل الفكري منه الى العمل الادبي اذا كنا نحدد الابداع الادبي بالقصيدة والقصة والمسرحية ، ولا شك ان ثقافتنا العربية في حاجة الى الفكر حاجتها الى الاديب وكتاب « قرية ظالمة » لون من الوان هذه الكتب التي تثير مسائل فكرية لدى قرائها ، ولم يكن ما اثاره لدي من مسائل الفكر المسيحي الا احد الجوانب الفكرية الكثيرة التي يمكن ان يشير ما مثل هذا الكتاب .

القاهرة يوسف الشاروني



معجم البلدان

لياقوت الحموي

✱

هذا الكتاب هو عندي - وكما سمعت من اهل الدراية - اهم كتب لياقوت . وهي كتب كثيرة ظهر عليها جميعا كتابه معجم الادباء وسبقها بالشهرة وبعد الصيت وان كان لم يبلغ في خطره وشأنه مبلغ معجم البلدان . وخطر معجم البلدان انه كتاب جاءت فيه كل خطوة بقياس . ووردت مسائله في كل علم بصبر ودقة . وزادت طرائفه وتحفه على كثير مما جمع مؤلف غير لياقوت من تحف وطرائف .

وقد جرى وراء العلم المجموع فيه رجل حر له نفس كريمة . ذاقته نفسه العبودية والرق فبحث عن التحرر

والانطلاق في خطى حثيثة ظلت زمنا تعتسف فجاج الارض لتصل الى شاطئ فيه طمانينة . ودابت تبذل الصبر المضني والعزم الصارم لتجد راحة بعد الم ويسرا بعد معسرة .

ثم جاء كتاب معجم البلدان في اثر القراءة والرؤية والسماع في الاقامة والرحلة جامعا لمحاسن كثيرة لا تعد ادت اليها كل تلك الوسائل . فكان اسبق كتب العرب جميعا في بابيه وفي جميع ابوابه .

كتبه ودون حروفه ومسائله عبد روجي اصطنع لسانه العربية فكان افصح بكثير من اهلها رفاهية قلم ودقة وصف ونبوغ شعر . ولكن اثره الزهو جعلته ضئيلا بكتابه على المتأدبين والمتعلمين في زمانه فلم يعرضه عليهم لينفرد بلذته حيا لانه ايقن انه سلك فيه طريقا لم يستطعه الاوائل ولم تطق حمل مثله الكواهل .

وقد حق لهذا العبد الذي غلب الاحرار ان يعجب بنفسه وكتابه فقد تبين انه جمع فيه ما كان لا يجتمع الا بجهود كثيرة من الرجال . ولكن دوام الترحل ووفرة الصبر وطول العمر - كل هذه ابلغته ما اراد ثم ابلغتنا منه ما لم تكن نجده لو لم يرزق ياقوت ما رزق من موهبات وصفات .

★

واذا نقل اليك مؤرخ حوادث الدنيا القديمة فان ياقوت ينقلها اليك جميعا او ينقلك اليها حتى كأنك تعيش مع

دار صادر و دار بيروت

تقدمان

نوادير المخطوطات

سلسلة تحتوي على كنوز التراث العربي

تصدر بتحقيق علمي دقيق ، ونهج موحد ، وطباعة زاهية انيقة يشترك فيها كبار المحققين في البلاد العربية

يصدر قريبا الكتاب الاول « الائمة الاثنا عشر »

اهلها على ارضهم وتشرب ماءهم وتستروح هواءهم . ويئة المكان كله ينقلها اليك ياقوت : المكان الهامد والحيصاد المتحركة فوقه : والماء والخصب والعطش والجذب . والهواء جيده وخامله . والمسافات بين البلدان بمقاييس الزمان والمكان . وحياة البلد وسكانه وادبه وتاريخه وفقهه - كل ذلك ينقله اليك ياقوت كأنك تعينه وتشعر به وتقيسه وتعيش في ارجائه ويريك دولاب الدنيا القديمة كيف دار وتنقل وكيف تحرك وسكن . ويهديك الى سير وأقاصيص قد لا تجد قبسا منها في اضمخ التأليف وعند اذكسى المؤلفين .

وقد استمسك ياقوت باللغة الفصحى في تعبيره . وكان اللسان في طاعته . ولم يكن له بد لانه تعرض لادب العربية وفقهها ورجالها وتاريخها وكان بكل ما تعرض له منها معجبا مفتونا . فبرع في اللغة شعرها ونثرها وخلص الى جواهرها وطرائفها ونشر كثيرا من مكنوناتها وأسرارها .

ولم يضق صدر ياقوت او يتحزب للكبار دون الصغار ولا لبلد دون بلد ولكنه اعطى كل حزب حقه ووضع كل فرد عند شأنه ومكانه . فحفل كتابه - او حفلت كتبه - بصورة كاملة جامعة اخذ كل كائن منها ركنه الذي خلق له وتحرك بالحياة فيه .

وقد استقصى ياقوت فأورد بعض ما تأباه العقول وكان هو مرتابا فيه نافرا منه ولكنه اراد ان يجمع كل الفوائد احرازها لها وحرصا عليها . فان ثبت انها كانت حقا فقد اخذ منها علمه بنصيب وان ثبت انها كانت باطلا فالباطل ليس عن هذه الحياة بغريب .

★

هذا الكتاب الذي تحدثت عنه هذا الحديث لم يكن له حظ الشيوع بين الناس كما شاء له صاحبه من بعده او كما كان يشاء الادباء والمطلعون . لان الكتاب ظل مخزونا ثم طبع طبعات قليلة فلم يظفر به الا القليل . ثم اقبل زمننا بما اقبل به من غنى لشأن القديم فالتفتت المطابع عن معجم البلدان وكف الناشرون عن بذل المال وصد طلاب العلم ورواده عن الاطلاع . ولكن الله فتح قلوب الناشرين في بيروت للخير والمنفعة فساق الى هذا الكتاب - والى امثاله من الكتب - داري نشر فاضلتين لم تبقيا على مال ولم تمنعا برا ولا نفعا هما دار بيروت ودار صادر فوفرتا المال واقبلتا على طبع الكتاب ونشروا على الناس .

وحسب كل مغرم بالعربية كلف بالاطلاع على فرائدها ان يجد معجم البلدان الان في كل مكتبة وكل بلد فيسدد رغبته للعلم من قريب وبشمن زهيد .

ولو صح لي ان ادعو كل طالب علم لاقتنائه لدعوت وثنية دعوتي واعليت صوتي وما قصدت الا الخير وسواء السبيل .

عبد العزيز سيد الاهل

بيروت

العيد للجميع...

قصته بقدم علي بدر

فردت عليه سؤاله وقد اوشك القلق ان يحتويها :

— سامي ! انه في غرفة النوم يا فريد . لقد تركته منذ هنيهة يلعب ، ويتأمل سترته الجديدة المعلقة ، حاول ان تلبسه اياها ، ولكن لا تنس ان تأخذ منه قطع السكاكر ريثما اعد الكعكة .

مضى فريد الى غرفة النوم ، وكان سامي مستلقيا على السرير ، وقدماه على الخدة ، ورأسه في اسفل السرير ، وقطعة سكاكر بين اصابعه ، يمتصها بهدوء ، وقد تعرى من اكثر ثيابه .. حتى الداخلية منها . وكان يدمدم باغنية ويترنم بها ، لعله — والعيد عيده — لم يطق الانتظار للساعة السابعة ، فابتدأ بنشيد العيد ، متخذا من سريره ، مسرحه المفضل . وما ان لمح اياه يدخل عليه حتى ابتدره صائحا :

— بابا .. بابا .. العيد ، سترتي الجديدة

ومد اصابعه العشرة مشيرا الى السترة .. يريد ان يرتديها ، فطمأنه والده فريد :

— انها سترتك يا حبيبي ، ولسوف البسك اياها ، وسكون عيدا رائعا ، قم يا حبيبي وارنن سترتك الجديدة .

وبدا فريد باللبس سامي سترته ، كانت سترة زاهية ، كانت تعكس في عيني سامي الطفل ، معنى العيد .. عيد ميلاده الرابع ، بالإضافة الى ما توحيه نصارة الطفولة في نفس ابيه من مقدرة على العمود في وجه خطوب الحياة . ان الطفولة معين لا ينضب يذكي في نفوسنا الحماسة ويزودنا بالدروس البليغة ويجعل للحياة في نظرنا قيمتها الخلاقة المبدعة ، تلك التي تمننا بالشجاعة ، لنزيدها جمالا ، ونحافظ على النقاء والطهارة المنبعثة منها دوما .

وفيما كان فريد ، خاضعا لمثل هذه الافكار الدقيقة السامية ، سمع زوجته وهي تتأدبه من غرفة الطعام . كانت قد بدأت بترتيب المائدة ، حيث نثرت الزهور منسقة اياها ، وكذلك الشموع ، ولم يبق الا ان تمتلئ المقاعد ، ويملو ضجيج المحتفلين بالعيد ، فسعى اليها وهو يشعر ان المناسبة قد آتت كي يحدثها . انه يريد ان يصارحها ، لن يستطيع حضور حفلة الطفل ، ان هناك واجبا مقدسا ينتظره في الساعة السابعة مساء . بعد نصف ساعة يجب ان يذهب ، يجب عليه ان يؤدي واجبه نحو وطنه ، وابتدرته زوجته متسائلة :

— ألا تريد ان تغير سترتك ، قد يحضر بعض الضيوف ، اريدك انت ايضا ان تعبره عيدك . ان عيد سامي ، عيدنا جميعا ... اليس كذلك ؟

— نعم .. انه عيدنا جميعا ، ولكن ..؟

— ولكن ... ماذا هناك يا فريد .. تكلم !

— انني لا استطيع حضور هذا الحفل ، لقد ابلغوني اليوم انني مدعو لقيادة المقاومة الشعبية وفي تمام الساعة السابعة — بعد نصف ساعة — يا سعاد — ينبغي ان اكون هناك ، وفي اللباس الرسمي .

— ما له اليوم ؟ انه يبدو فرحا اكثر من كل يوم ..؟

سالت سعاد نفسها هذا السؤال ، ولكنها لم تستطع الاجابة عليه ، كانت منهمكة ، في صنع الحلوى واعداد المائدة ... حتى انها خابرت زوجها ثلاث مرات :

— اياك ان تنسى الشموع يا فريد .. الشموع الملونة اياك ان تنساها !

وعادت تسأل نفسها وهي تعد كعكة العيد الرئيسية وتحضر عناصرها :

— ترى ما شعور فريد اليوم ، بعيد سامي ؟...

وفجأة علا صراخ سامي من الغرفة المجاورة ، فتركت عدة الكعكة الرئيسية التي كانت تعدها لنار الفرن ، وهرعت الى السرير .

كان سامي في السرير ، يا له من شيطان ، كان يتحرك باستمرار ، حتى في النوم ، وهالها ان تجده ، وقد خلع اكثر ثيابه ، لعله يريد ان يرتدي سترته الجديدة ، تلك التي اشترتها ... هذا اليوم ، لهذه المناسبة السعيدة في حياته ، وضمت السيدة سعاد وحيدها سامي ، بخنو لا يصور ، واوشكت ان تنهمر دموعها .. اغتباطا منها بهذا العيد السعيد .

وخطر لها ان المائدة التي توشك ان تمتلئ بالكعك والشموع والمأكول اللذيذة ، ينبغي ان تعد لها الكعكة الرئيسية ، فالتفت سامي بقطع من السكاكر ومضت الى المطبخ تكمل صنعها ، وتلقي نظرة على الشرائط الملونة والفوانيس السحرية التي عمرت بها غرفة الطعام .

كانت الساعة توشك ان تبلغ السادسة .. وفي الساعة السابعة ، سيحضر زملاء سامي . لقد اخبرتهم جميعا بالهاتف .. هم والامهات سوف يحضرون ، سيعاونون سامي في اطفاء الشموع وسيفرحون كثيرا ولا شك ، وقد يبكي بعضهم ، ولكنهم على العموم سوف يسرون كثيرا بعيد ميلاد سامي وعيد الطفل .. فلقد جمعتهما الصدفة في يوم واحد . لعله الحظ الحسن ولا شك ؟

واقبل فريد ، حاملا الشموع ، والورود ، وبعض اللوازم التي لا بد منها في مثل هذا اليوم ، ولكنه كان متقبضا . واستقبلته سعاد بابتسامة الزوجة المخلصة وخطر لها ان تساله ولكنها امسكت ، وقال فريد ببطء ظاهر :

— ارجو ان تكوني مستعدة للحفلة !

— كل الاستعداد يا فريد .. لم يبق الا الكعكة ، ولسوف تنفج عما قريب . ولكن ارجو ان تساعدني في اعداد المائدة .

فاجابها دون ان ينظر اليها :

— ترتيب المائدة ! نعم ، سوف اعينك ولا شك ، ولكن سامي ، اين سامي ؟

ولعلها وقد تبددت مخاوفها دفعة واحدة ، حاولت ان تستوضح منه بعض النقاط الغامضة التي لم تفسرها اشارة فريد الموجزة :
- وكيف حصل ذلك كله اذن ؟

- ان الموقف جد دقيق والاعداء يتربصون بنا ، ان اسرائيليين والمستعمرين يتآمرون علينا ، لم تعجبهم خطوة سورية الاخيرة فسي توكيدها لاستقلالها ، وافلاتها من طوق الاستعمار فنشروا ضدها الدعاية الكاذبة ، والاشاعات العديدة ، وحاولوا تأليب الجيران عليها ، والوضع ينذر بالخطر .

وعادت تسأله من جديد :

- والمقاومة الشعبية التي انت عضو فيها ، ماذا ستنعمل اذن ؟

- كل شيء يا سعاد . فقد اعدنا انفسنا للذود عن حياض الوطن ، ان الجيش له المهمة الاعظم ، الدفاع عن الحدود ، ونحن هنا في الداخل سنحرس ، وسنقاتل اذا لزم الامر ، وستلعب الارض والسماء على رأس كل من تسول له نفسه الخبيثة مهاجمتنا والنيل من استقلالنا .

- ولكن الا تستطيع ان تبقى ولو نصف ساعة يا فريد .. نصف ساعة فقط .. ان سامي سوف يبكي .. عندما لا يراك بجانبه تعاونه في اطفاء الشموع ، سوف يبكي يا فريد .. وانا كيف تريدني ان استقبل الضيوف ما دمت انت غير موجود ؟

فاجابها ، والثقة تطبع كل كلمة من كلماته :

- انك ستصنعين كل شيء ، انني اثق بك يا سعاد . كل ما في الامر انهم يريدوننا في الساعة السابعة ، في مقر القيادة ، سوف يوزعون علينا السلاح ، وسيكلفوننا بالمهام التي ينبغي علينا القيام بها ، انه الواجب يا سعاد .. الواجب المقدس يا عزيزتي .

ومضى فريد مسرعا الى خزانة الشباب ، وبدأ بارتداء سترة المقاومة الشعبية ، وكانت سعاد - وهي تحمل سامي - ترقبه ولعلها وقد ادركت حقيقة الامر ، من القسومات التي كانت تنطق بكل معاني الفخر والاعتزاز في وجه زوجها .. ادركت للتو انها اليوم تمر ، بعيمين ، عيد الطفل وعيد الوطن برجالة ... اولئك الذين آمنوا بوطنهم ، وقضيتهم العادلة ، فنلدروا النفس رخيصة في سبيله ، في سبيل حياة سعيدة لاطفاله جميعا ، لابنائهم جميعا ، لعزة التاريخ النبيل واشراقه المستقبل المظلة من نافذة الافق الواسعة .

كانت الساعة السابعة الا خمس دقائق ، ان سعاد تستعجل زوجها الذهاب ولكنه كان يقول لها :

- ان مقر القيادة بجانبنا ، ولسوف اصل في دقيقتين ، وامامي ثلاث دقائق .. ثلاث دقائق ما رايتك لو قمنا بتجربة الحفلة ؟ سوف اضع الشموع على الكعكة ، سوف ادع سامي ينفخ فيها من روحه وساصفق له ... وستصفقين انت ايضا .. ان احتفالنا بعيد ، سيزيدني حماسة في كل معركة نخوضها ، ضد الاعداء ، اولئك الذين يسفكون دماء الشعوب البريئة .

وقف فريد امام الكعكة الرئيسية التي نصبت توا ، ووقف سامي على الكرسي ، وبجانبه سعاد تنبت السعادة فيها ، وتنمو لحظة اثر لحظة .

كانت اربع شموع تضيء .. ولعلها كانت تضيء لفريد طريق الحياة من جديد . انها تحمل عدة معان سامية ، معنى الطفولة البريئة ، ومعنى التفاني في خدمة الوطن ، واداء الواجب المقدس ، حتى اذا ما اطفأت ثلاث ارواح ، اربع شموع - قد غرست في تربة الكعكة المقدسة -

استضاءت الحياة بلهب خالد ، كلهب التضحية ، كصفاء نهر متدفق من ذروات الجبال الشامخة .

عندما غادر فريد داره الى قيادة المقاومة الشعبية ، تلبية للامر الصادر ذلك اليوم ، كانت الحركة قد اوشكت ان تبدأ في المنزل . لقد اقبل اول الضيوف ، سمير وامي ، وكانت سعاد وقد انتهت المائدة ، تحاول ان تعبر عن اعز امانيتها ، لكل من تلقاه من الناس ، ولكل ما تقع عليه ابصارها . كانت فخورة بشيء مبهم ، لعله ذهاب زوجها لاداء واجبه ، بل لعله ان طفلها لا يزال ينمو بحرية واطمئنان ، في كنف ذلك الاب الذي يستطيع بكل بساطة ان يضحي بنفسه كي تدوم لطفله هذه الطمأنينة ، هذه الاجواء السامية التي يجد فيها الاطفال فرحتهم الكبرى ، للنمو في ظل راية الوطن المقدسة .

ووقفت سعاد برهة وجيزة ، وهي تحديق في وجه طفلها الحبيب ، تتأمل به بشغف وتسال نفسها بحرارة قلب مخلص :

- رياه .. متى يكبر .. لاراه شابا ، قد تطوع في المقاومة الشعبية كما تطوع ابوه اليوم ، جنديا في معركة الحرية والكرامة والشرف ، معركة القومية العربية من المحيط الى الخليج ؟

وبينما كانت الجلبة على اشدّها في غرفة المائدة ، الاطفال يصرخون والامهات يراقبنهم بجذل مفرط في الحلاوة ، كان فريد ومئات .. بل ألوف على غرارهم واقفين امام مبنى القيادة ، يتسلمون السلاح بنادق ، ورشاشات ، وقنابل يدوية ، وذخيرة حية ، وعندما امسك فريد بالبندقية احس لأول وهلة ببرودة الحديد الصلد تسري في عروقه جميعا ولكن سرعان ما تغير شعوره .. فقد احس ان البندقية ، اشبه بشمعة ، شمعة لا تضيء الا لها ، ولا تصيب الا مقتلا ، في صدور الفاصبين ، وجنود مصاصي دماء الشعوب .

وتتمتع فريد وهو يترجم الابتسامة على شفتيه الى الوفاء المعانسي الجميلة ، الحية :

- شكرا لله .. شكرا لله الذي جعل ايامنا كلها اعيادا ، اليوم ، عيد الطفل ، عيد سامي ، وعيدي كمواطن . انه عيد العروبة بحريتها الحققة واستقلالها الكامل .

حلب

علي بدور

من الاصدقاء

مجموعات « الاداب »

لدى الادارة عدد محدود من مجموعات السنوات الخمس الاولى من الاداب تباع كما يلي :

مجلة غير مجلة

مجموعة السنة الاولى	٤٥ ل.ل	٥٠ ل.ل
» » الثانية	٢٥ »	٣٠ »
» » الثالثة	٢٥ »	٣٠ »
» » الرابعة	٢٥ »	٣٠ »
» » الخامسة	٢٥ »	٣٠ »

السريفي

هان الجهاد يشيره وطرف
فانجاب عن دنياهم الضجر
في ظله التهريج والسمر
ويلوحون له فيبتدر
فتفتقت عن رايه عبر
ويبرزهم بالهزل ان هذروا
والحرب ، فهو اميرها الخطر
ويغيب عن عينيه مستتر
الكذب في الحزات ، مفتفر
من كل علم عنده خبر
او جازه في السلم مؤتمر
اخبار من جاؤوا ومن غبروا
يدري لماذا يخسف القمر
يحصي ملوك المال ان ذكروا
زاهي الحواشي ضاحك نضر
ظل ولا في صوته اثير
ويلوح في خطراته الطفر
وصفا على ضحكاته الكدر
متجههم نظراته شزر
ويزل عن سيمائه النظر
املا ، وليس يهزه وتر
نبراته ، فكأنه حجر

ومناط من وردوا ومن هذروا
طربا ولم تتألق الجدر
وتحم على ابوابه زمر
في ظله الضافي ولي سمر
وتركنه والليل معتكر
عنه يثنيني المطر
في وجهك الاحداث والفير
وهتفت فيه فصفق الزهر

زكي قنصل

لا الكدح يضمنه ولا السهر
طافت على السمار بسمته
طابت شمائله فطاب لهم
يتصايحون فلا يضيق بهم
كم اشركوه في معاركهم
يجري اذا جدوا بحلبتهم
سير السياسة فهو ثعلبها
هيئات تخفى عنه خافية
ان خانه البرهان لفقته
من كل فن عنده قبس
ما فاته في الحرب معركة
لكانه موسوعة جمعت
يروي اساطير الزنوج كما
ويعد اسماء البنات كما
ابدا يهدد قلبه امل
ما للعبوس على ملامحه
يطوي على مرح جوانحه
راضي المكاره بابتسامته
ما اضيق الدنيا على برم
ترتد عنه الاذن موقرة
لا الحسن يبعث في جوانحه
ماتت اهازيج الحياة على

يا حلية المقهى وقبلته
لولاك لم تضحك مجالسه
وتحم على شرفاته زمر
سقا لعهد كان لي مرح
كم جئته والشمس في اثري
لا لفحة الرضاء تحبسني
يا قررة الانظار لا عبت
نممت باسمك روضتي فزهت

الارجنتين

النقد والشعر العراقي الحديث

بقلم عبد الجبار داود البصري

— ١ —

الدعة والراحة ، حتى كانت العصور الحديثة فوقف المقاد والمآزني وطه حسين يهاجمون شوقي والرافعي والمنفلوطي وغيرهم . ونأمل ان يحمي ويطيس معركة الشعر الحر .

والروافد التي يتكون منها مجرى النقد العربي المعاصر تنقسم الى روافد غربية ، وروافد عربية قديمة . وتأثير الروافد العربية يتضاءل شيئاً فشيئاً ويعتق النقاد المبادئ الغربية شيئاً فشيئاً . ونستطيع القول بان روائع النقد ترجمت الى العربية من كل مكان . فمن ايطاليا ترجم الدروبي فلسفة كروتشه في الفن ومن فرنسا ترجم مندور منهج البحث في الادب للانسون ، ودفاع ديهاميل ، وترجم الدروبي آراء جوبو في فلسفة الفن المعاصرة ، وترجم يدبع الكسم الخلق الفني لغاليري . ومن انجلترا ترجم محمد عوض محمد قواعد ابركرومي في النقد الادبي ، وترجم زكي نجيب محمود فنون الادب لتشارلتن ومقدمة وردزورث . ومن امريكا ترجم رشاد رشدي نقد سينجارتون الجديد . . ولا اريد ان اطيل هذه الاحصائية لانها مهمة الاخرين .

ولقد تصدى النقد للشعر العراقي الحديث في جميع مراحلها ، واخترت رأياً واحداً من كل قطر عربي وجد فيه نقد محترم ، ولا اريد من وراء هذا الاختيار الا التنوع ، مغضلاً الناقد الذي تناول اكبر عدد من الشعراء ، متجاهلاً نقد الشاعر للشاعر لسهولة الطعن فيه ، مع علمي ان هذا لا يعني انعدام النقد النزيه .

وينقسم الصراع بين النقد وشعر العراق الحديث الى ثلاثة اطوار : في الطور الاول تغلبت عليه النزعة التاريخية ، وفي الطور الثاني تغلبت النزعة التجريبية ، وفي الطور الثالث لم تكن العلاقة بينهما الا اشارات نقدية .

— ٢ —

يمثل النزعة التاريخية : خير الدين الزركلي ، وجرجي زيدان في مصر ، ولويس شيخو في لبنان ، ومحمد مهدي البصير في العراق .

فخير الدين الزركلي نقد شعراء القرن التاسع عشر بطريقة القاموسية المعروفة التي تعني بتحقيق الاسم وتاريخ الولادة والوفاة وتعداد المؤلفات وقلة الاحكام . وعناصر الطرق القاموسية هي التعريف ، وتجميع الاخبار ، والاكتفاء بالخطوط العريضة ، وقد يضيف المؤلف رأياً او يستشير آراء الآخرين .

فمن آراء الزركلي في السيد حيدر الحلي : « شعره حسن ، وكان مترفعاً به عن المدح . » وهكذا يفصح عن جهل بمحتويات ديوانه ومآجريات حياته : فقد مدح آل كبة وآل قزوين وكانوا يكملون ابراده الضئيل . . . ويؤخذ على الطرق القاموسية في التأليف قلة معلوماتها وقلة اهميتها كمصادر .

اما جرجي زيدان : فتطرق الى شعراء العراق وهو يفتش بالحاح عن مشاهير الشرق وكانت طريقته اشبه بالسير ، تبدأ بالنسب

الطاحونة كلمة ارادها برنارد شو اسماً للنقد الادبي اذ سئل ان يكتب مقدمة لمسرحية ما فقال لسائله : « خير لك ان تمر خلال الطاحونة كما كان شأننا . »

والنقد الادبي هو الكفة التي يقابلها من الجهة الاخرى فن الادب ولا يزدهر الادب اذا تعطلت احدى كفتيه . وكما يدخل تحت لفظة « فن » الادب والشعر والرواية والاقصوصة والمسرحية والمقالة ، كذلك تشمل لفظة النقد على معان كثيرة ويميل البعض الى ان يقصر مدلول النقد على معنى واحد من هذه المعاني . اما انا فاميل الى توسيع افق النقد بحيث يشمل : تصحيح الاخطاء المتنوعة ، والتاريخ الفني للادب ، وتحقيق الآثار والمؤلفات القديمة ، وتقييم الانجازات الادبية من ناحية القبح والجمال ، والموازنة والادب المقارن ، ووصف الانتاج الادبي ، وتحليله ، وتفسيره ، والمحاولات الفقهية التي ترمي الى التقنين والتشريع .

وبالنسبة لهذه المعاني يتنوع اسم النقد ويتفرع . . . ويبدو النقد في تاريخنا الادبي العام على شكل سلسلة من المعارك :

اولاها المعارك السوقية التي كانت تنشب بين الشاعر والناقد ، وموضوعها احكام جزئية وتعليقات من قبيل التجريح او الاطراء . واشهر ابطال هذه المعارك الدائرة في الاسواق الموسمية النابغة الذبياني الذي ضربت له قبة من آدم .

ثم تلتها بعد تطور الزمن معارك الطبقات التي انتهت بكتاب ابن سلام الجمحي ، وكانت معارك تنافس بين رواة الشعر على روايته ، وتنافس بين اللغويين والنحويين لتحديد فقه اللغة ، وتنافس بين العريضة والاجناس الاخرى للدفاع عن اصالتها ونقاها .

حتى اذا جاء القرن الثاني للهجرة كانت المعركة بين الشعراء انفسهم تزعم فيها المتجديدين ابو نؤاس وعدة المرحوم طه ابراهيم ناقداً فذاً ، ناقداً وحيداً في تاريخ النقد الادبي ، ناقداً يبحث في الصلة بين الادب والحياة ويحاول ان يلائم بينهما .

والى هنا كانت المعارك خارج النقد بين الشاعر والناقد ، وبين الناقد واللغوي ، وبين الراوية والنحوي ، وبين الشاعر والشاعر .

ثم تحولت المعارك داخل النقد وبين النقاد انفسهم . . . فكانت معركة عنيفة اتخلت بالبحثري وأباً تمام محورها ، وانقسم النقاد في امرها حتى كتب الامدي موازنته المشهورة التي اعتبرها الدكتور محمد مندور فريدة في النقد العربي .

واندلج لهيب معركة كبرى بين النقاد اتخذت المنبني موضوعاً لها . واروع الانجازات التي خلفتها المعركة الوساطة بين المتبني وخصومه بقلم عبد العزيز الجرجاني وتعتبر هي والموازنة اعظم واكمل مظاهر النقد المنهجي عند العرب .

ثم سيطرت الشكلية وهذات حركة الصراع ، وركن الناقد الادبي الى

يمكنه ان يقفز الى القمر بدون شك ، لو كنا مختلفين عما نحن وكان العالم مختلفا عما هو .. ولكن الحقيقة اننا لم نقفز الى القمر .. »

ومن هذه المقاييس الخاطئة الدفاع عن الشاعر قياسا الى اقاربه لان لصوعية زيد لا تنتفي بمجرد وجودها عند عمرو ، وان قبح فلان لا يتحول جمالا بمجرد وجود القبح في فلانة .. يقول البصير عن الحلبي: « ان هذه المبالغات لا تمت بصلة الى ما يسمى شقورا او عاطفة ، ولكن يجب ان نذكر ان التقاليد الادبية السائدة في عصر المترجم كانت ترضى هذا وتقره بل تستجده وتستحسنه وان هذا موجود في رثاء شوقي والزهاوي رغم تجددهما . »

ومن هذه المقاييس الخاطئة اعتبار التقليد سببا في الروعة حيث يقول عن الاخرس « الا انه يصدره احيانا بنظرات فلسفية رائعة ينحو فيها نحو ابي العلاء ، وابن السبل البغدادي في ذم الدنيا ... الخ » . ويلاحظ ان هؤلاء النقاد لم يؤثروا في شعر القرن التاسع عشر في العراق لانهم كتبوا نقدهم عن بعد في المكان والزمان ولم يكن هناك تماس . ورغم تعدد اساليب النقد غلبت على اغلبهم روح المؤرخ ولم يكونوا نقادا حاولوا تاريخ الشعر . ويلاحظ ان كل تقدم لم يكن بالمحتويات وتوجيه القارئ على الاقل الى النواحي الشعبية ، والفكر التحرر ، والوعي الصادق ، بل لم يوجهوه الى مصادر الخصب الفني ولم يدلوه على مواطن التائق والجمال . ويلاحظ ان هذا النقد عرفنا بالشعراء واكبر شأنهم وشاعت اسمائهم ولكنه لم يعرف الناس بأدبهم وفنهم . وما زلنا ننتظر من يمسك قلمه بشجاعة ليحطم الانقاض ويستخرج الكنوز ان وجدت .

ويجب ان نعترف بان هؤلاء النقاد ادوا بعض ما عليهم وانهم يستحقون تقديرنا وشكرنا ، ولولاهم لاصبح طريق النقد مظلم خاليا من المصاييح ومن آثار الخطي .

— ٣ —

وحظيت مدرسة الرصافي واخوانه المكافحين بقسط وافر من النقد الفني اذ تصدى لهم نقاد كبار وكثيرون في الوقت نفسه .. ومن المؤسف ان نظرهم الى الشعر العراقي كانت تجزئية تهتم بالجزء وتناسي الكل .

ويمثل النقد التجزئي روائيل بطي من العراق ، والدكتور شوقي ضيف من مصر ، وابراهيم العريض من البحرين وامين الريحاني من لبنان ، وهناك غيرهم كالعقاد ومارون عبود ، والسحرتي ولكننا بصدد التمثيل لا الاحصاء ولكل دوره .

فروائيل بطي اهتم بالنقد الموحى به عن طريق المختارات المتحيزة ولم يكن بدعا في تاريخ النقد ، فان اكثر شعراء العربية اذيعت اسمائهم واشتهروا في الافق الادبي عن طريق المختارات الجيدة التي تقدمهم الى القارئ او السامع بأجمل ملامحهم وارقي نماذجهم فكان الاختيار بمثابة اطراء وتمجيد ضمني . وتبدأ طريقته بالاشادة والاطراء ، ثم تاريخ الحياة الموجز وذكر المؤلفات تتبعها مختارات كثيرة لكل شاعر . وعناصر هذا الاسلوب هي اتصاله الشخصي بهؤلاء الشعراء واطلاعه القريب على مؤلفاتهم المطبوعة وغير المطبوعة . ولهذا النقد ميزات منها : استنتار الرأي الشخصي مما يدعو الى هدوء حدة الروح الدرامية في النقد واذا هدأت حدة الروح اقبل على الانتاج حتى القارئ المحايد الذي كثيرا ما تجنب حلبات الصراع . ومن عيوبه رفع الشاعر الى منزلة لا يستحقها

وتاريخ المولد والوفاة وتعداد الوظائف ورأي في شعره ومختارات قليلة منه . وتعتمد طريقته على النقل والاقتباس بالدرجة الاولى والتاريخ والاختيار ، والخبر والتعريف . ويفيد أسلوب السيرة في النقد معرفة الملامح الشخصية ، واستنتاج المؤثرات السيكولوجية في الفن الى حد ما . اما توجيه القارئ فلا يعبا به .

واكتفى زيدان بدراسة القمم وكل ما اورده من آراء يمتاز بالبساطة والسذاجة ويتجنب العمق في التحليل والتفسير . فمن آرائه في العمري: كان رحمه الله شاعرا مجيدا ، قوي البديهة ، سريع الخاطر ، متفنا في شعره ميلا الى التصوف ، محبا لعلماء عصره وأدبائهم ، بارا بهم وبغيرهم اكثر الاحيان .

وتناول لويس شيخو اليسوعي شعر الاخرس واضرابه بأسلوب صحفي فاشل تقريبا يهتم بتاريخ الولادة والوفاة وذكر المؤلفات والشواهد على ما يقول . وعناصر هذا الاسلوب : التعريف والتعليم ، والجريان السريع ، وقلة الاختيار الشعري الذي يؤتى به لتمثيل النوادر وامتناع القارئ في اكثر الاحيان .

وقد دفعته نزعته الصحفية الى المبالغة المتناقضة . فهو ينقل رأيا يستشهد به ، ونقل الرأي كشاهد يشترط الايمان به ، ان صاحب المسك الاذفر قال كانت الى الاخرس النهاية في دقة الشعر ولطافته وحلاوته وعذوبته . ثم قال المؤلف عن عبد الباقي العمري : ولد في الموصل وانتهت اليه رئاسة الشعر والادب في وطنه . ولكن اهم نقد وجه الى شعر القرن التاسع عشر ما كتبه الدكتور محمد مهدي البصير - وستلد المطبعة نقدا جديدا ليوسف عز الدين نحن في انتظاره -

والدكتور البصير قريب الصلة المكانية والزمنية بموضوعه وطريقته هي الوحيدة التي تمثل النقد الفني بين ما قرأته : فهي منظمة الى حد بعيد تبدأ بالحديث عن الحياة ، ثم تحليل الديوان تحليلا ظاهريا ، ووصف كل باب من ابوابه مع الاطالة في عدد ابیات الشواهد .

وعناصر هذه الطريقة : التاريخ والتحقيق ، والتحليل والوصف ، والتدقيق والتقييم ، والموازنة والتصحيح ، ويؤخذ عليها انها تستعمل مقاييس نقدية خاطئة .

ومن هذه المقاييس اعتبار الناحية الخلقية ، والتعقيد ، والفموض مقياسا للشعر القيم المهم .. فهو يقول عن الحبوبي : « ومما يزيد في اهمية رثاء الحبوبي ويكسبه قيمة الى قيمته وخطرا الى خطره هذه الخطرات الاخلاقية العرفانية التي يخلق بها من حين الى حين في جو التصوف فيتكلم لغة قلما يفهمها الآخرون ويعبر عن مشاعر وخواطر لا يتيسر ادراكها لكل احد .. »

ومن هذه المقاييس التعظيم عن طريق النسبة الخاطئة الى الآخرين كقوله : لو قدر للحلي ان يقرأ روسو وغوته ، وشاتوبريان ، لترك لنا آثارا لا تقل عن آلام فرتر ، وتأملات لامرتين ، وليالي موسيه حدة شعور وقوة عاطفة ومراة الم .. »

وهذا خيال ونحن نريد الواقع ، والواقع انه لم يؤلف كالاتام والتأملات والليالي . ومن مظاهر الهروب من عملية التحقيق والدراسة الدقيقة الالتجاء الى هذه النسبة الخاطئة .

ومن اقوال ا . ت . بل : « انه لا معنى لان نقول ان فلانا كان يمكنه ان يقوم بكذا وكذا لو ان الظروف كانت غير الظروف ، فاي فرد

واظهاره في عين الناس ولا سيما الشبيبة الناشئة كأحد انصاف الآلهة، وفي بذور هذه التربة نبت بذور العصبية الادبية التي تحجر الافكار وتثبت الافلام في حقول الادب .

فمن آراء بطي في شعر الزهاوي التي تدعو للمنافسة قوله : امسا شعره فمن اعلى طبقات الشعر المصري لا تجد فيه تعقيدا او الفاظا غريبة تغلب عليه الحكم والامثال مع جزالة في اللفظ ومثانة في الاسلوب ... الخ .

وأخرج الدكتور شوقي ضيف اضمامة من دراساته في الشعر العربي المعاصر وخطته ان يقسم الكتاب الى فصول خص المراق منها بفصلين : الاول عن الرصافي فسر في مقدمته معنى الانسانية وتحدث عن تطورها في الادب العربي ثم حلل المظاهر الانسانية عند الرصافي بكل بساطة اذ لا يبدو ان يكون مجموعة قصائد مستقلة من الديوان روى الدكتور بعضها نشرًا وروى بعضها شعرا . والثاني عن الزهاوي استعرض فيه تاريخ النظم العلمي عند العرب وفارنه بما عند الاجانب ثم استعرض الشعر العلمي عند الزهاوي بأنواعه وعقب عليه تعقيدا جميلا جدا يحتوي على كثير من الآراء الصائبة كقوله : « كنا نتمنى ان يتحول العلم عنده الى مشاعر وأحاسيس أما ان يستمر على نحو ما استمر عنده حقائق وقوانين تقرر فان شعره يبدو متعلقا بأشياء غير ثابتة ، اشياء من طبيعتها التغير وانها لا تبقى ولا تدوم فسرعان ما تنمحي وتزول ... »

وعناصر هذه الطريقة : التفكير التاريخي ، والدرس والتحليل ، وكان الكتاب جيدا في خطته العامة وناجحا اذ استطاع ان يعطي لنا صورة طيبة عن الشعر العربي المعاصر بجميع مظاهره : المادة التصويرية، الوطنية، الشعور الحاد بالآلم ، الموضوعات اليومية ، العلم ، اللغة الصاخبة ، الروح الملحمية .

اما اعتبار كل فصل نقديا فرديا ذا كيان مستقل فيؤخذ عليه التحيز في تطبيق المقاييس كان يبحث الانسانية عند الرصافي ويهمل قصائده العلمية التي تصدر ديوانه ، او ان يعيب العلم في شعر الزهاوي ويهمل الجوانب الانسانية وهي عنده ارقى وأكثر واشمل نظرة مما عند الرصافي .

وعليه فالشعراء الذين اختار جانبهم الرديء ليسوا كذلك في كل شعرهم ، والشعراء الذين اختار جانبهم الطيب ليسوا كذلك في كل شعرهم ومن الاجحاف ان نستغل آراء الدكتور للحط من سمعة شاعر ما .

وبحث ابراهيم العريض في الاساليب الشعرية ، وكانت خطته تقسيم الشعر من حيث هو احتفال بالحياة الى كشف وتوجيه وتمثيل واغراء وترجيع ولكل قسم فروع ... وخطه كل فرع بدا بفكرة ثم تتبعها الشواهد الشعرية المرتبة ترتيبا تصاعديا ، ثم تعقيب يبين طابع الاسلوب الفني وقيمه وتسمية هذا الاسلوب .

وعناصر الطريقة التي اتبعها العريض : التحليل والتصنيف ، الترتيب والتاريخ ، ومحاولته ناجحة في مجالها العام لانه يعرفنا بأنواع الاساليب ويظهر قوانينها . ولكن اعتبار رأيه في شاهد من الشواهد رأيا عاما يتسع لكل شعر الشاعر فهذا خطأ لا نقره ولا سيما بالنسبة لشعراء العراق .

كتب عن أسلوب الشاعر كسمير : « أسلوب ملون .. طالما سامر به الشاعر اخذانه في ساعة هادئة من الليل وربما تحول بين ايديهم الى مهرج او مشعوذ يروح عنهم باباطيله واخيرا على هذا النسق قول محمد

مهدي الجواهري - وأورد من قصيدته على كرنند - وعقب على ما استشهد به : - ان في هذا الاسلوب من اثر الفن طابع اللوحات الزيتية يتفرغ لها الشاعر بريشته وألوانه في رسمها افانين .. يلتقي طرفها الاول عند التصوير ويضع طرفها الآخر في البهجة وفي الحالين لا يعدو الشاعر الفنان في صدقه ان يكون سامرنا في الليل يسلينا او في تزويقه مشعوذا في نهارنا يسلينا » .

فهذا الرأي مخالف لواقع عبقرية الجواهري تماما لان الرأي الذي ذكره - وان كان لا ينطبق على الجواهري وحده في مجال البحث - جزئي يقوم على اساس شاهد واحد وشاهد ينسم بطابع الشنوذ عن انجباء الجواهري العام وينتسب الى بواكير اعماله الشعرية سنة ١٩٢٦ .

ان الجواهري لا يتصف بالسحر والشعوذة ولا يمكن ان نصفه بهذا . انه شاعر آمن بالواقع وكتب شعره لهذا الواقع ومن العيب ان يسمى الشاعر الواقعي العنيف في واقعيته مشعوذا يسلي في النهار . ولا أشك ان اقوى نقد وجه الى شعراء ما بين الحربين ذلك البحث القيم الذي كتبه امين الريحاني في « قلب العراق » .

انه يمتاز بسمات عديدة منها : - تصدير النقد بمفاهيمه وآرائه ، ومنها اقامة احكامه على اساس من النوق الذي صقلته الحضارة والثقافة العميقة ، ومنها الحماسة في سرد الآراء ، والثقة والحنن الشديد ، ومنها طابع الخلق والابتكار فهو مثلا يحاول ان يبتكر تنمة للملحمة الزهاوي ... لقد كان نقده نقدا خلاقا . وطريقته في النقد تبدأ بمقدمة تشتمل على استعراض المفاهيم والمقاييس الجديدة في الشعر وتحدث عن الزهاوي فالرصافي فالشبيبي فالنجفي . وعناصر الطريقة : التأثر الشخصي عن طريق المراقبة ، والدراسة والبحث ، ومحاولة في التدقيق والتحليل ، وطبيعة نقدية خلاقة ، وروح شاعرية واعية . وعلى الرغم من اهتمامه بجزء من كل شاعر : تكلم عن الرصافي والمرأة ، وعن ملحمة الزهاوي ، وعن نفسية الشبيبي ، وعن مظهر النجفي الجثماني . فانه لم يفصل النواحي الاخرى ولم يقتصر على ذكر الحسنات بل ذكر اشياء يغفلها الموالون دائما كبداءة الرصافي ، وتناقض صور النجفي مع اعجابه بشعر هذا الطائر الغريب الذي له منقار البومة وجانح الهدهد وذنب الطاوس .

ولقد نبأ الريحاني بالحركة الجديدة في الشعر العراقي اليوم حسي كانه درس ما كتب اليوم وكون صورة تامة كاملة عن شعرنا المنطلق اذ قال : ولكن في الشعر العربي آثارا للتطور ظاهرة وان كانت لا تزال ماثمة او منقلبة او ضئيلة وما أمر تبلورها وانجاهها الثابت بعيد ومما لا ريب فيه ان هذا التطور سيضمحل المباني والمعاني والاشكال الوصفية والوجدانية وعندئذ يقرأ المتأدب العربي الشعر الاوروبي ويستسيفه . ومن المآخذ عليه مثاليته المستجيبة حيث ينحى على الشعراء « في العالم العربي لا في العراق ولا في سوريا ومصر فحسب عدم وجود لغة جديدة للشعر باجمعها بمبانيها ومعانيها ، باساليبها وفنونها باغراضها ومصادر وحيا . »

ان مثل هذه اللغة لا توجد في كل مكان وما وجدت ولا توجد ومن العيب ان نطلب من شعرائنا المستحيل .

يقول لانسون : اكثر الكتاب اصالة هو الى حد بعيد راسب من الاجيال السابقة ويؤثره للتيارات المعاصرة وثلاثة ارباعه مكون من غير ذاته . «

ويقول ت.س. البيوت : ان أحسن ما كتب الشاعر وأكثره اصطفاً باللون الفردي هو الجزء الذي يثبت فيه أسلافه من الشعراء وجودهم ويحققون خلودهم ولا أعني به الجزء الذي كتبه الشاعر في دور المراهقة» ويلاحظ - أخيراً - ان النقد اولى شعراء ما بين الحرين عناية فائقة وكثر الحديث عنهم ولاسيما الكتابات التي تناولت الافراد ...

ويلاحظ ان هذا النقد رغم تجزيئته افاد الشاعر كثيراً لانه وجه الانظار اليه وعرف الناس بشعره وتعصب الشبان تعصباً عقائدياً حتى عد من السخف قراءة نقد للرصافي يكتبه شاب حديث العهد مع احتمال اتهمه بالفرضية وسوء الظن.

ويلاحظ ان هذا النقد أكثر اصالة وفنية من النقد التاريخي السذني اهتم بالمدرسة المهرجة في القرن التاسع عشر وأكثر احكامه صادقة لانها منبعثة عن مقاييس جيدة وموازين عادلة والعب الوحيد اهتمامه بالجزء .

— { —

اما موقف النقد من الشعر اليوم فهو مجرد اشارات ، وليس من السهولة ان نجد نقداً تفصيلياً ناجحاً لان الصعوبات التي تعترض ناقد الشعر اليوم كثيرة اولها حداثة هذه المدرسة ، وليس من السهولة ضبط حركاتها وتقلباتها المستمرة ، ونموها المتطور وتطورها السريع ، وغموض المدرسة وتكتم اصحابها يجعل البحث عن اصولها مهمة شاقة ويوقف الادب المقارن منتظراً وقد يطول الانتظار ، كما ان تفرق الانتاج في الصحف والاعراسات المهمة في الزوايا او النافذة لقلّة عدد المطبوع يجعل الاثام بهذا الانتاج امراً عسيراً ... وبالتالي لا تكون دلالة حاصل الجمع الا دلالة جزئية ولا تعدو ان تكون مجرد دراسة عينه لم تنتخب بالطرق الاحصائية العلمية المعروفة .

وعدد الشعراء في تضخم وتقلص كاصابع الاخطبوط فما تكاد نصفق لشاعر حتى نجده بعد حين يعثره الخمول والذبول ، ثم ينبغ شاعر آخر في مكان جديد . وهذه الحركة تجعل مهمة الناقد في الحصول على القمم شاقة وربما تعرض الى هجوم عنيف بسبب اهماله شاعراً وانحيازه لشاعر .

وان اغلب من تصدوا لدراسة الشعر العراقي اليوم كانت مقاييسهم ذاتية خاصة بسبب الصداقة ، او سهوله الحصول على المؤلفات ، او التعاون الحزبي وغيرها .

والاشارات النقدية اليوم كثيرة نظراً لكثرة الانتاج ، حتى ان كل قصيدة تنشر في (الاداب) مثلاً تجد في عدد تال نقداً لها ثم رداً على نقد وربما كان بعضها موضع استنفاء . وهذا يجعل الاحاطة بالنقد اليوم امراً يتطلب مجهوداً جماعياً على الاقل ، ومن الممتع جداً ان نجد نقداً يساهم مع العناصر الخيرة المحبة للبشر في معركة البقاء والحريّة .

ومن اهم الاشارات النقدية ما كتبه مارون عبود عن لبنان ، والسحرتي من مصر ، واحسان عباس من السودان ، والدكتور جميل سعيد من العراق وغيرهم .

والمعروف عن مارون عبود انه يتبع طريقة عشوائية خالية من النظام والتحليل والترتيب وانما هي تعليقات ومحاولات لاضحالك القاريء ، واهتمام بالنقاء الشكلي ، واعني بالشكل معنى أكبر من المبنى المتفق عليه .

وعناصر هذه الطريقة هي قراءات عابرة في الشعر ، وتصيد للخطأ اللغوي من هنا وهناك .. ويؤخذ على هذه الطريقة اهتمامها بالقشور دون اللباب كما انها لا تعني بالتوجيه ، واكثر الادلة على فشلها تلك المحاولات التي لم تنقص من قدر بشارة الخوري والرصافي والجرايري قلامة ظفر.

ومن المفيد ان نستغل بعض ما كتبه مارون عبود عن بلند الحيدري : « ... ديوان بلند في الجملة عاصفة شباب ، بقلة شمس لا تؤخذ من قبل ولا من دبر .. فالى الد.د.ت. يا سيد بلند وارحنا وارح ديوانك من لغة اكلوني البراغيث » ومثل هذا النقد مصيره الاهمال لانه لا يناقش ولا يرد .. الناقد قوله بقلة بانه عنزة ام نقول كان الافضل ان يضع كلمة - امشي - بدل د.د.ت. .. ومن العجيب ان بلند الحيدري يفخر بما قاله مارون !..

ورغم قلة ما كتبه عن « شظايا » نازك ورمادها فقد وردت هذه العبارة العميقة جداً « قد رأيتها في ديوانها الجديد تتجه نحو الرمزية انجاسها عنيقا فهب انها وفقت في بعض خطراتها فاني اخشى عليها شر التطرف في الشعر والفكر والتصور والتصوف . »

انني احبب مارون عبود كاحد ابناء الجيل الجديد لان واجب الجيل الجديد ان يحترم اسلافه وان يقدم لهم باقات الورد كلما حل عيد الميلاد. والى مصطفى عبد اللطيف السحرتي بحونا متفرقة تجمعها رابطة النسب النقدي فقط ، حاول في بعضها تقنين مفاهيم شعرية وفي بعضها الآخر تحليل مبادئ ومذاهب ادبية كما درس النقد واتجاهاته في الادب المصري الحديث . وكانت عناصر طريقته : اختيار نماذج شعرية ، وتحليل بعض الافكار وتوسيعها وترجمة آراء ونصوص ، وملاحظات في القطع المختارة ... ويؤخذ على بحوث التقنين ، تقديم القاعدة على المثل ومن الفضل في استخراج القواعد والنظريات والاساليب الاستنتاجية لا الافتراضية التي تعتمد على وجود فرضية في البدء .

وليس من مصلحة الشعر العراقي ان ننفي ما اورده . لانه في جميع اشاراته كان مادحاً مكبراً فيهم النواحي الفنية فقد اكبر موسيقى بدر السياب الانكازية ، وحدة الانفعال الشعري عند نازك الملائكة .

و «فن الشعر» لاحسان عباس يجري على النسق التالي : تطور النظرية الشعرية ، اسس الاختلاف بين المذاهب الشعرية ، فصل في نقد الشعر . وفي طور من اطوار النظرية الشعرية وردت اشارات الى الشعر العراقي اليوم ينعت فيها البياتي وبلند الحيدري والوطني ونازك والمحسروق بالرومانطيقية ويبدو في ظاهر القول حق كبير ، ولكن الخطأ يبدو في اعتبارها رومانطيقية منهجية كما هي عند الشاعر الغربي . ان طبيعة الشعر العراقي لا يمكن ان تكون الا كذلك اذا اراد الشاعر ان يصدق في نقل احساسه .

ان العراق فطر زراعي بالدرجة الاولى والصور الريفية تحيط الشاعر من كل جانب ، فكيف يستطيع التخلص من الريف والتأثر به ؟ والريفية اهم اسانيد احسان عباس كما انها اهم ما ورد في مقدمة وردزورت عن الفاظ الشاعر .

انني اميل الى ان اسميها واقعية ، لان فيها من عناصر الواقعية شيئاً كثيراً ، فالشاعر يصف ما تراه عينه وما فيه من تصارع وتحفز ونظرات مستقبلية وحسب الشعب ، ويبدو انهم استطاعوا تلبية نداء العلم في كثير من القضايا ولكن هذا لا يعتبر حكماً شاملاً جامعاً .

والفروض في نقد الدكتور جميل سعيد وهو عميق الصلة بالشعر العراقي الجديد ان تكون فيه صفة دفاعية ، ولكنه تحول الى طريقة اخبارية لم يفرح بها الكثير حتى ان احدهم اتهمه واتهم الدراسات الجامعية بتبنيها للادب الحي . ونعني بالاخبارية انه القى محاضراته على طلبة قسم الدراسات الادبية في معهد الدراسات العربية العالية بصفته مخبراً ادبياً لاحدى الصحف . فكل ما كتبه عن حسين مردان - ولا اريد ان ادافع عنه -

مفقطات من نشره ومفقطات من شعره ، وجعله ممثلاً ليار سسماء
بالتحليل من كل ما هو معدس ومخترم ، ونسبه بدون مشعشع الى ابي
شبكة ثم الى بودليز . ويبدو ان في هذه النسبة حلقات مفقودة .

وان نقسمه لليارات الادبية ، وخاصة في الشعر ، كان خاطئاً لانه
يقوم على اساس الموضوع ، نيار سياسي ، ونيار اجتماعي ، ونيار غير
اخلاقي . ومثل هذه الفكرة تنطبق على كل ادب من آداب العالم مفقولة
اسماء السائدة المميزة لكل ادب قومي .

ولشعر القاري بقيمة ما انجزه الدكتور نفل فولا للانسون : -
« بفضل سلسل الصناعات نضع تاريخ الفنون الادبية ، وبسلسل
الافكار والاحساسات نضع تاريخ التيارات العقلية والاخلاقية وبالمشاركة
في بعض الالوان وبعض المناحي الفنية المشتركة بين الكعب النبي من نوع
ادبي واحد ومن نفوس مختلفة نضع تاريخ عصور الذوق » .

وبعد ، فان هذا الاستعراض الذي بوخينا فيه الاجاز نلاحظ انه لم
يكن نقداً موجهاً ولا توجيهياً في اغلب مظاهره .

ويلاحظ ان النقد الذي تناول شعرنا اليوم لم يكن تفصيلياً الا في بعض
المحاولات النادرة كدراسة احسان عباس لمركز البياني ومقارنته بالشاعر
الانجليزي ت.س. اليوت ولعله اراد ان يسبق الآخرين في الكتابة عن
شاعر له مستقبل ومجد .

وقد وعدنا سامي الدروبي بان يكتب عن « الحدث الكبير في تاريخ
الادب العربي » . ولعله يجد وقت الارتقاء الى الفهم الشامخة .
وهناك نقد كثير تناول الشعر اليوم ، ولكنه لا يعدو كونه مجرد فذائف
ينداولها الشعراء فيما بينهم وان كان فيها حق كبير .

واحسن ما وجه من نقد للمدرسة المنطلقة حتى عد مصدراً من مصادر
دراستها ما كتبه نازك الملائكة في مجلة « الاديب » حول حركة الشعر
الحر في العراق .

— ٥ —

هذا مبلغ معرفتنا بعلاقة النقد الادبي بشعر العراق الحديث في اجياله
الثلاثة - ويبدو ان النقد التاريخي كان ضيق الرفعة قليل المفاهيم ، وان
النقد التجريبي اوسع منها واصدق احكاماً ، اما نقد الاشارات فحجب
الافق ولكنه متفرق المحصول حتى ليبدو ضئيلاً . . وجميع النقد لم
يوجه الشاعر حتى في ادوع صوره .

ونقلب روح المجاملة على اكثر المقدمات التي صدرت بها الدواوين ،
وانعدام السعي من اجل حركة مدرسيه ما عدا مقدمة « شظايا ورماد »
و « اغاني الغابة » .

وابتداً للنقد يهتم بالشخصية اكثر من اهتمامه بالانتاج وحقيقته ،
ثم اخذ هذا الاهتمام بالتناقص رويداً رويداً كلما اتجهنا الى الالوة الحاضرة
حيث اصبح الاهتمام بالشخصية يكاد يكون معدوماً .

وكثرت في الالوة الاخيرة محاولات تتحل سمات النقد ولا تعدو كونها
مجرد طرق للشعوذة والدجل ، كان يرسل المؤلف المزعوم رسائل لمن هب
ودب يسألهم تاريخ حياتهم ومختارات من شعرهم ثم يجمع اجوبة الرسائل
فتكون كتاباً .

عبد الجبار داود البصري

العراق - البصرة

اخيراً

- احدث انتاج الفكر السياسي العالمي
- يخرج بالعربية مع ملايين النسخ بعشرات اللغات
- الحية .
- الكتاب الذي وصفه النقاد بأنه زلزال في
- صعيد الفكر السياسي .
- الكتاب الذي ينتظره المثقفون في العالم العربي

الطبقة الجديدة

تأليف

ميلوفان ديلاس

ترجمة

مروان الجابري

اثر سياسي رائع ولدته ازمة ضمير ادت بمؤلفه

الى السجن

من كتب المؤسسة الاهلية للطباعة والنشر

ص . ب . - - ٣٥١٥ بيروت لبنان

فقدت ابنتي

(اليها في قبرها الصغير ... عند
صحراء الامام)

فقدت ابنتي
بعد طول الصراع مع الموت
في ليلة باكيه
فلما غلبت .. وحان الوداع
تهاديت .. في لهفة احانيه
ورحت اقبلها في حنان
واهتف : رحماك رب السماء !
ترفق بها وترفق بنا
ودعها لنا ودعها لنا
لتبقى هنا .. أملا مشرقا
ينضر ايامنا بالضياء
ولكن ..
ولكن طواها الفناء
وضاع النداء ومات الرجاء
ولم يبق الا الاسى والبكاء !

وقالوا :
عزاء وصبر جميل
لعلك تنسى المصاب الجليل
فقلت : وكيف يكون العزاء
وفي القلب نار الاسى والشقاء ؟
وكيف سأنسى ابنتي الغاليه
واشياءها لم تزال باقيه
وساداتها ... والفراش الصغير
وكرسیها المستدير الوثير
وانوابها البيض مثل السرور
وانوابها وهي مثل الزهور
بالوانها ...
او كأطياف نور
وحتى الحذاء الجديد الجميل
يشير بقلبي الضنى والعذاب
وما لبسته سوى مرة
وكان الذي كان يوم الرحيل
فأخفيته بين تلك الثياب
وكيف سأنسى ابنتي الغاليه

بطلعتها كالربيع الجديد
وبسمتها كأبتسام الورود
ولهجتها وهي شيء فريد
واقسم لو يفتدي ميت
فدبت ابنتي جهد ما استطيع
ولو كان دمع يرد الحياه
نثرت عليها حياتي دموع
سأذكر - ما عشت - يا طفلي
حياتك وهي حياة الزهور
وعمرك وهو ربيع نضير
وحسبك وهو شعاع منير
اطل عليه المساء الاخير
فأطفاه برياح المصير !

وقالوا :
سندفنها وحدنا
وانت ...
وانت .. ستبقى هنا
فقلت لهم :
أين حبي لها ؟
واين الحنان ؟
واين الوفاء ؟
أكرمها وهي بنت الحياه
واسلمها وهي بنت الفناء ؟
وقمت اليها .. بنفسى الكسيره
ففسلتها بدموعي الغزيره
وكفنتها .. بالاماني الكبيره
وقبلتها .. قبلاتي الاخيره
ورحنا بها في سكون المغيب
نشيعها املا غاربا
ولحنا طواه الفناء الرهيب
ولو عاش رد الصبا الذاهبا

هنالك ... في صحراء الامام
هنالك .. حيث ينام السكون

مع الموت
في ساحة واحده
بلا ضجة .. وبغير زحام
ويهدأ صوت صراع الحياه
ويرقد كالجثة الهامده
هنالك .. قبر صغير .. صغير
أعد لتنزله الغاليه
وكان التراب الفراش الوثير
وكان وسادتها الحانيه
ونامت هنالك في قبرها
هنالك .. في البقعة النائيه
وقالوا :
لقد حان وقت الرجوع
وراح النهار .. وجاء المساء
فكفكف بربك تلك الدموع
فليس يفيد الاسى والبكاء
فقلت : اتركها وحدها ؟
فأين الحنان ؟ واين الوفاء ؟
أكرمها .. وهي بنت الحياه
واسلمها .. وهي بنت الفناء ؟
فقالوا : كذلك شاء الاله
ومنا الرضى .. وعلينا الخضوع
ونحن جميعا لهذا التراب
جموع اتت وستأتي جموع
فقلت : واني احب التراب
لان ابنتي
قد ثوت في التراب !
ووجهت قلبي الى خالقي
وقلت : لديك يكون اللقاء
وعدت وفي القلب نار الضياع
اردد .. في لهجة شاكيه :
فقدت ابنتي
بعد طول الصراع
مع الموت
في ليلة باكيه !!
القاهرة ابراهيم محمد نجا

دار الفارابي

تبدأ باصدار سلسلة من الروايات العالية
الرائعة ، لكبار كتاب الرواية في العالم

وهي حريصة على ان تقدم هذه الروايات للقاريء العربي
في ترجمات دقيقة امينة ناصعة الاسلوب
باقلام اشهر الكتاب والمترجمين العرب

صدر حديثا

قصة رجل حقيقي

قصة رجل من لحم ودم ، ما يزال يعيش في
بلاد السوفييات ، اسمه ((الكسي مارسيف)) .
فقد ساقبه ، ومع هذا قام باعمال طيران بطولية رائعة
للروائي السوفياتي
بوريس بوليفوي

صدرت حديثا

الحصاد

رواية اثارت ضجة واسعة هامة
حين صدورها ، وتناولتها اقلام عالمية
عديدة بالبحث والتعليق
للروائية السوفيائية
غالينا نيكولا ييفا

الى القراء العرب الذين اقبلوا على قراءة رواية
((فارس الامل)) للكاتب البرازيلي الكبير جورج امادو
تقدم دار الفارابي قريبا
روايته الرائعة

ارض نمارها من ذهب

ترجمة : احمد غربية

مغامرة

قصته

الطعام . فالأول هو أقرب ما يكون الى الاحساس بلذة مرتقبة ، اما الثاني فهو شعور بالفزع من الموت) .
وقال صديقي في لهجة الجد :

— الى متى تبقى على هذه الحالة البائسة التي نلذنا بالموت ؟ لماذا لا نلتجئ ما عندنا من شجاعة ومكر ونحاول سرقة الاشياء الثمينة من بيوت الاثرياء في ظلمة الليل ؟ ان الظلام كليل بان ييسر لنا مهمة السرقة .
واقول الحق ، ان صديقي استطاع ان يقنعني بهذا المنطق الذي بدا لي سليما (ولا غرو ، فان المهدد بالموت جوعا يتقبل كل « منطق » يفتح له املا بالنجاة من الموت) .

واخذنا نشتاور ونعد العُدَّة اللازمة ، وقد وقع اختيارنا على دار صغيرة ذات طابق واحد تقع في ركن من شارع ضيق لا تراه الاقدام في الليل وكان ساكن الدار رجلا ضخما البنية مديد القامة على حظ كبير من الثراء وكانت اسرته قد رحلت قبل ايام قلائل وظل وحده في البيت . ولم يقع اختيارنا على هذه الدار لان ساكنها نرى ولانه وحيد ، فحسب ، بل لانه ممن يستغرقون في نوم عميق لا يوقظهم ضجيج مهما علا . (ليس اسر على اللصوص من جمع معلومات كهذه) .

وبعد ان انتهينا من اعداد الخطة اخذنا نطوف في الشوارع منتظرين تقدم الليل وانقضاء الهزيع الاول منه ، حيث يأخذ الحراس بالاستسلام للنوم كعادتهم في مثل هذا الوقت .

واذ حلت ساعة العمل ، التفتنا العدد التي هياناها لتنفيذ السرقة ، ومنها كيس صغير من اختراع صديقي ، قد حشاه بالفتن المضبوط ، يدسه في فم مع يفتح فمه بالاستفاته .

وما كدنا نقترب من الدار ، في سكون الليل ، حتى اخذ قلبي يخفق خفقانا شديدا من الخوف الذي استولى علي . وتاملت في وجه صديقي فبدا لي كوجه الميت من حيث اصفراره وانعدام ملامح الحياة فيه . وبلغنا الدار وكانت غارقة في ظلام دامس ، واسرنا الى عبور حاجز الحديدية الخشبي في خفة ملات نفسي زهوا ، ثم قمنا في مكاننا لحظة نسترق السمع ، فلم يترك سمعنا ما يدل على ان صاحب البيت يقظان ، فدونا من الباب الرئيسي للدار واخذ صاحبي يحاول فتحه مستعينا بمجموعة من المفاتيح المتباينة شكلا وحجما . وانحنيت على صاحبي اتفرس في يده فوجدتها ترتعش ارتعاشا فظيما حتى ما تكاد تستطيع ان تدخل المفتاح في ثقب الباب ، فوضعت يدي على كتفه اريد ان انجيه واعالج فتح الباب بنفسي ، ولكنني فوجئت بصاحبي يطلق صرخة فزع ويلقي بنفسه الى الجهة اليمنى من الباب وينظر في هلع الى اليمين والى الشمال . ومن الطبيعي ان يستولي علي الفزع لهذه الحركة المفاجئة من صاحبي ، فرميت بنفسي الى جانبه وانا اسأله في صوت بدا ارتعاشه واضحا :
— عبد الحسن ! ماذا دهالك ؟

ان الناس لا يخافون من احد خوفهم من اللص الذي ينسلل الى بيوتهم في ظلمة الليل الحالكة . انه يشير في نفوسهم الوانا من الرعب والهلع . ولهذا نرى محاكم الجزاء عندنا تشدد العقوبة على من يسرق في الليل شيئا من دار مسكونة . وفي احدى المرات اصدرت محكمة الجزاء في بلدتي حكما يقضي بالحبس سنتين على لص سرق معطفا قديما باليا من دار كان يسكنها اذ ذاك نرى معروف يملك مئات الافدنة من الاراضي المزروعة . ولست ادري ما اذا كانت محاكم الجزاء في البلدان الاخرى تشدد العقوبة على لصوص الليل كما هي الحال عندنا ، فاسئلا اقرا الصحف والمجلات .

ولكن الناس الذين يخافون من لصوص هم اجبن خلق الله على وجه الارض . نعم ، اسألوني انا ! كنت قبل خمس سنوات عاطلا لا املك ما اسد به رمقي . كنت ابحث عن عمل في داب ومثابة ، ولكن الحظ لم يكن يسعفني بشيء . فماذا اعمل لاشبع جوعي ؟ (لو كان الجوع باختيار الانسان ما اخترت الجوع ، ولكنه مصيبة تنقض على الانسان على الرغم منه) . نعم ، ماذا اعمل لاشبع جوعي ؟ ؟ السرقة ! (لا تتعجبوا من كلامي هذا ، فان السرقة هي اشرف جريمة يرتكبها انسان مقبل على الموت جوعا . ودعوني اقول لكم بصراحة : اني اعرف اثرياء — لا اذكر اسماءهم — لا يتورعون عن سرقة الفقراء مع انهم غير مضطرين الى السرقة) .
واخذت اسرق اشياء نافهة ، في وضح النهار ، تكفي لسد رمقي . ولكنني لم انقطع في اثناء ذلك عن المحاولة في البحث عن عمل شريف . (العمل الشريف هو العمل الذي لا يدر شيئا من الربح ، كما اكد لي احد ممنهني السرقة) .

وفي ذات يوم ، وكنت واقفا امام مخزن اتحين الفرصة لاختطاف شيء يسد ثمن وجبة الغداء ، واذا صديقي عبد الحسن يقف امامي فجأة ويقول لي في ابتسامه خبيثة :

— ابحث عن مخزن آخر ، ايها الشاطر ، فان صاحب هذا المخزن يملك الف عين !

ونولاني حجل شديد . (وهذا طبيعي ، فان السرقة النافهة نخجل السارق ، اما السرقة الكبيرة فانها تفرض احترام الناس لها) وقلت له وانا احاول ان اخفي عليه خجلي :

— اني لا انوي سرقة المخزن برمته ، ولكن ... اترى تلك الفتوة التي تتدلى الى خارج المخزن وترفرق كالعلم ... انها نفرى المرء باختطافها ! ولا تنس اني لم اتناول شيئا من الطعام منذ يوم امس .

وظهرت في وجه صديقي علائم الالم والشفقة ، فقد كان عليما بما يشير الجوع في نفس الانسان من الم وفزع ، اذ ان حاله لم تكن خيرا من حالي . (يجب التنبيه هنا الى ان الاحساس بالجوع مع الاطمئنان الى وجود الطعام يختلف اختلافا جوهريا عن الاحساس بالجوع مع انعدام

فاجاب في همس وهو يدبر نظره في ارجاء الحديقة :

- ألم تبصر احدا يدنو منا ؟

- كلا ، لم ابصر احدا .

- صه ! تكلم بصوت خافت ! لا شك في انه مختبئ الان بين اغصان

تلك الشجرة !

- ولكن كيف ابصرته انت ؟

- لم ابصره . لقد اختفى في سرعة البرق !

- ولكن كيف شعرت به اذا لم تكن قد ابصرته ؟

- شعرت به يضع يده على كتفي !

- عبد الحسن ! اطمئن ! لا يوجد احد في الحديقة . وانا الذي وضعت

يدي على كتفك !

- حقا ؟ ايها الطائش ! لا تلمس جسمي على غرة ! من حسن حظك اني

لم اغرس خنجري في بطنك !

وعدنا الى الباب وانفاسنا تلهث من الفزع الذي اصابنا في غير موجب

للفزع ، وتولى صاحبي مرة اخرى فتح الباب بيده المرتعشة حتى تم فتحه

اخيرا ، فانتظرنا لحظة ثم دلفنا الى الداخل وانا احس بدمي يكاد ان

يجمد من الرعب .

ووجدنا في الغرفة الاولى ، وهي اقرب الغرف الى باب الدار ، ثلاثة

كهربية ضخمة ، ومفصلة كهربية ايضا ، وجهازا ثالثا لم نعرف كنهه ،

وادوات اخرى وكلها مما لا يمكن حمله . وخرجنا في خيبة امل ودخلنا

الغرفة المجاورة فلم نر فيها غير كتب وجرائد ومجلات ، فاشار الي صاحبي

بالخروج ، فاستدردت ابغى الخروج ولكن يدي اصطدمت بقنينة زجاجية

(قنينة خمر على اغلب الظن) كانت مستقرة على طرف طاولة صغيرة ،

فسقطت محدنة دوبا عاليا . ويا لهول المنظر ! فقد ففز صاحبي قفزة

واحدة واذا هو قابع تحت منضدة كبيرة كانت قائمة في الجانب الاخر من

الغرفة !

واستولى علي رعب هائل فظيع ، واخذ جسمي يرتعش كما لم يرتعش

يوما ، على الرغم من علمي بمصدر الدوي . واقبلت على صاحبي زاحفا

على ركبتي وقلت له في همس :

- عبد الحسن !

- صه !

- عبد الحسن ! ان هذا الدوي الذي سمعته...

- طلقه ؟

- كلا ، اطمئن ! لقد سقطت قنينة على الارض فاحدثت هذا الدوي .

- من اسقط القنينة ؟ هل في الغرفة احد ؟

- كلا ، انا الذي اسقطتها !

- ايها الاحمق ! لا شك في ان رب البيت قد استيقظ الان من نومه !

- عبد الحسن ! هل تسمع ..

- ماذا بعد ؟

- صفيرا ؟ صفيرا متقطعا ؟

- ايها البليد ! هذا صفير انفي ، فاني مصاب بالزكام !

وقبعنا في الغرفة فترة غير قصيرة ، فلما لم يطرق سمعنا ما يشير

الى ان الدوي قد ايقظ رب البيت ، زحفنا نحو الباب نبغي الخروج من

الغرفة وقد بلغ الرعب بنا اقصاه . ولكن ما كدنا نصل الى باب الغرفة

حتى ارتد صاحبي في حركة فجائية مفزعة ، وجذبني اليه نحو ركن

الباب الايمن وهو يتمتم في صوت مرتعش : « رب البيت ! رب البيت ! »

وجمد الدم في شراييني ! رب البيت ! هذا الوحش الضاري الذي يفض
مضاجع اللصوص ويشير في نفوسهم افطع الوان الرعب والفزع ! نعم ! ولكن
الناس لا يعلمون !

وهمس صاحبي في اذني :

- لقد اوقعنا في داهية ! ان الدوي قد ايقظ رب البيت !

- وهل تظن انه يملك مسدسا ؟

- طبعاً ، ايها المافون ! ان الاغنياء لا يتخلون عن السلاح !

- عبد الحسن ! انك تفزعني بهذا الكلام !

- وما ذنبنا ؟ انظر من شق الباب الى النافذة الصغيرة المواجهة لهذه

الغرفة ، هل تجد رب البيت لا يزال يطل منها ؟

ونظرت من شق الباب فرأيت رأس رب البيت قد استقر خلف النافذة يرتصنا

وعدت الى صاحبي اندب حظنا والقي اللوم عليه فيما هبنا من هلاك محقق .

وقبعنا في مكاننا ننتظر مقدم رب البيت وقد انهارت اعصابنا انهيارا تاما

وفقدنا كل امل في النجاة من الموت .

واستندت الى جدار الغرفة ووضعت راسي بين يدي واستغرقت في

تفكير مضطرب . وهل تصدقوني ؟ لقد مرت على ذهني ذكريات سعيدة ،

ذكريات الطفولة والصبا !

واني لفي هذه الحال واذا بصري يقع على نافذة صغيرة في وسط

الجدار المقابل لي ، وقد استقر على قاعدتها تمثال لرأس ادمي ، فأخذت

اتأمله في غير اهتمام ، ولكن ما كادت تمضي لحظات قلائل حتى طرقت ذهني

فكرة اهتز لها كياني ! واندفعت الى شق الباب وتفرست مليا .. وصدق

حدسي !

وعدت الى صاحبي ، وكان اشبه بالجثة الهامدة ، وهمست في اذنه :

- عبد الحسن ! ان ما حسبناه رأس رب البيت ...

- ماذا ؟ اختفى ؟ اذن فقد اقبل علينا بمسدسه !

- كلا ، انه ليس رأس رب البيت ...

- ما هو اذن ؟

- تمثال !

واندفعنا صوب النافذة وقد عاد الينا بعض الشجاعة والاطمئنان ، ولكننا

ما كدنا تقترب منها حتى فوجئنا بامر غريب ! لم يكن في النافذة شيء !

ادكار سركيس المحامي

بغداد

قريبا :

النفقات المالية

تاريخها ، اهميتها ، حقيقتها

تأليف

فلورنس بترسون

ترجمة

اميل خليل بيدس

من كتب المؤسسة الاهلية للطباعة والنشر

مناقشات

من وحي مؤتمر الادباء

بقلم مصطفى السحررتي

اسمحوا لي ايها السادة (*) ، ان اُحمد لهذه الجمعية العاملة لفتنتها الذكية في المبادرة الى تقصي أعمال وتوصيات المؤتمر الثالث للادباء العرب الذي عقد في العاصمة منذ ايام ، والذي تناول موضوعا حيا مــــن موضوعات الساعة ، هو « القومية العربية والادب » وموضوع القومية ليس موضوعا سياسيا وحسب ، ولكنه موضوع شامل للنواحي الاجتماعية ، والاقتصادية ، والانسانية ، للوطن العربي بأجمعه .

وقد افاض المؤتمر في المفهوم القومي الحاضر حديثا ، وألقوا كثيرا من الاضواء على هذا المفهوم ، وانتهوا في قراراتهم الى توضيح اركانها ونواحيه التحررية ، والتقدمية والانسانية ، وبددوا ما علق ببعض الاذهان من أفكار منحرفة عن هذا المفهوم الجديد ، وأبانوا تجرده من التعصب ، والطائفية ، والمذهبية ، وأنه يعتمد تحرر الوطن العربي من نزعات الطغيان ، وآثام العدوان ، وآفات الاستعمار ، وأنه يعمل على بناء مجتمع عربي ديموقراطي متطور ، يتمكن فيه الشعب من ممارسة ارادته ، واستثمار موارد ثروته ، فضلا عن أنه اتجاه انساني يسعى الى بذور الخير والعدل والحق والسلام .

واذا كان للمؤتمر حسنات ، فأول حسنة له هو تجلية هذا المعنى في كثير من الاذهان ، وتصحيح ما فرط على السنة بعض المتحذنين الكبار من المفهوم القومي الجديد .

واذا كانت كلمات المؤتمرين لم تشف الفلة في المفهوم الجديد ، وكانت جمهرة من السامعين تؤمن به ايمانا طفليا ، فما أحرانا على ان نعمل على ترسيخه في الاذهان قبل القلوب ، وأن يحاول المفكرون منا فلسفة هذا المفهوم للمحافظة على حمياه ، وللسير في اهدافه على اتجاه قويم سليم ، او بمعنى أوضح ما احرى المفكرين بوضع ايدولوجية عربية تحدد وجهة هذا البعث الجديد ، وتخطط مرحلة التحرر الوطني ، في البداية ، وتتهيء لاجاد مجتمع عربي ديموقراطي يتواءم مع تطوراتنا الحضارية المرجوة .

- ٢ -

واذا كنا افتقدنا بعض النواحي الفاقهين في بحث القومية العربية ، في المؤتمر ، فلا يسعنا في هذا المهرجان الا ان نذكر تأليف كانت جديرة بالتشويه والتقدير ، ونذكر منها : كتب الاستاذ ساطع الحصري عن القومية ، وكتاب الدكتور قسطنطين زريق عنها ، وكتاب الاديب عبد اللطيف شراره في القومية العربية ، وكتاب الدكتور جورج حنا عن « معنى القومية العربية » وكتاب « في القومية والانسانية » للدكتور كمال يوسف الحاج ، وغيرها من الكتب ومن المقالات الرصينة التي دبجتها اقلام نوابغ الادباء في مجلة الاداب البيروتية ، وغيرها من المجلات ، وهي ركيزة من الركائز الفكرية التي يمكن ان تكون خميرة من الخمائر الصالحة لانجاب كتب جديدة في هذه الناحية .

واذا كان المؤتمرين لم ينوهوا بهذه الكتب ، فانه لم يفتهم في التوصيات العامة حث المفكرين والادباء على ابداع كتب في هذه الناحية ، كتب فنية

(*) القيت هذه الكلمة في « جمعية الشبان المسلمين » بالقاهرة .

تهدف الى خدمة الحركة القومية وتعبر عن النوازع الخيرة في النفس العربية والانسانية ، توزع على الادباء العرب في كل دورة من الدورات القادمة ، مع اجازة مؤلفيها ، وهي لفئة طيبة من لغات المؤتمرين . ونحن نضم صوتنا الى صوت المؤتمرين داعين الى مثل هذا النتاج الهادف .

- ٣ -

لقد كان لا مناص للمؤتمر ، وهو يحمل الاديب والكاظم اداء رسالة قومية قوامها الابداع والنضال أن يوصي الحكومات برعاية الحركة الفكرية ، فلا ابداع بلا حرية ، ولا ابداع بلا كرامة وانطلاق .

ولهذا أوصى المؤتمر بمناشدة الحكومات العربية أن توفر للادباء حريتهم ، وتحفظ كرامتهم ، وترفع عن المضطهدين منهم كل ما يحول بينهم وبين اداء رسالتهم .

وهذه توصية مطلقة في الهواء ، أشبه بالصرخة في الوادي ، وهي ليست جديدة ، فقد سبق اليها المؤتمر الثاني الذي عقد في دمشق في العام الماضي ، اذ طالب « باطلاق الحرية للادباء لاداء رسالتهم . والوفاء بها دون احتجاز او قسر »

وأبتدأ بها مؤتمر الادباء العرب الاول في لبنان سبتمبر ١٩٥٤ ، وكانت توصية اكثر قوة وتفصيلا ووفاء ، اذ أوصى :

(١) بضرورة النص على ضمان حرية الفكر والتعبير عنه في دساتير الدول العربية وتشريعاتها .

(٢) وبأن لا يضطهد انسان بسبب ارائه الحرة .

(٣) ونادى بضرورة نضال المفكرين في كل قطر عربي متعاونين فيما بينهم لتحقيق هذه الحرية وتوطيدها عمليا وازالة كل ما يعترض سبيلها من مختلف العقبات .

ولقد كنا نرجو أن نسمع حديثا فيما أوصى به المؤتمر الاول ، حديثا يعي ما وضعت الحكومات العربية من تشريعات لحماية الاديب والناقد ، وما قام به المفكرون من نضال من اجل المفكرين المضطهدين ؟!

ومبلغ علمنا أن التشريعات العربية كلها لم تنص نصوصا صريحة على حماية الناقد والاديب . وقد اقترحنا في المؤتمر نصوصا ولكنها لم تلق صدى مجيبا . نذكر منها :

« أنه لا جريمة على الاديب أو الناقد اذا كان ملتزما حد الادب ، ولا جريمة عليهما اذا التزما في كتابتهما وجه الصالح العام وغيرها من النصوص » ولا نقول ان مثل هذه النصوص كفيلة بحماية الادباء والنقاد ، ولكننا نقول انها تحمل معاني التقدير والعرفان لمنزلتهم .

ولا ريب في ان حرية الادباء والمفكرين ان عدت ضرورة حيوية لهم وحافزا من حوافز ابداعهم ، فانها اكثر ضرورة للمجتمع العربي ، وفعالية لخير ورفقه وتقدمه .

واذا كانت بعض الحكومات العربية تتجاهل هذه الحقيقة او تنكر لها وتخلق حرية الاراء في بلادها ، وتضطهد ادباءها ، فما احرى ادباء البلاد العربية الاخرى ان يحملوا عنهم عبء الحديث ويجاهدوا الواقع الفاسد

في المجتمع المحلي الذي يعيش فيه هؤلاء المبدعون ، فالحقيقة فوق الاشخاص ، والصالح العربي فوق كل اعتبار .

- ٤ -

ولما كانت اللغة والادب والثقافة ، من دعائم القومية ، بل انها كما قال احد المتحدثين : الرباط الذي لم تفلح السياسات الاقليمية في حل عروته والذي يجمع العروبة على مر الدهور ويوحد الامها وآمالها .

فقد كنا نتربح ان يتحدث في هذه الموضوعات صفوة مختارة متخصصة في اللغة وفي فروع الادب ، وفي التراث الثقافي الغابر والحاضر ، كنا نتربح ان نسمع الفاهين يتحدثون عن قضايا الادب ومشكلاته الحاضرة .

فصنما تناول المؤتمر الحديث عن الشعر والقومية العربية ، لم نجد ما كنا نرجو من حديث حول التعبير الشعري الجديد ، وعن تقنياته الفنية ، وان كان احد المتحدثين لمح تلميح لا تفنى في هذه الناحية

الخطيرة . وكذلك لم نسمع وقفات الشعر التاريخية مع البعث القومي ، ولا وقفاته الحاضرة ، ولم نتصوا في المؤتمر اسماء شعراء القومية الاعمين

امثال حافظ وشوقي ومطران وابى شادي ، ومن امثال الشاعر المهجري رشيد سليم الخوري وزميله الياس فرحات ، وكان جديرا بالمتحدثين ان

يشيدوا بذكر هذين الشاعرين لنزعتهم القومية العربية العتيقة ، وموقفهما الصارم في وجه بعض الطائفيين المتزمطين ، وروحهما المجردة من

التعصب الديني . وان يتمثلوا بنفحات من شعرهما ، ولا ننسى وقفات الياس فرحات وزميله السابق ، وهما يشيدان بمجد الاسلام ، ويكشفان

عن سماحة وتسامح لا قرين لهما ، ولا يتسع المجال لذكر ما قاله في العروبة ، ولكننا نكتفي هنا بابيات لفرحات قالها من سنين وسنين اذ قال :

نهوى العراق وراقديه وما على

ارض الجزيرة من حصى ورمال

واذا ذكرت لنا الكنانة خلطنا

نروي بسابغ نيلها السلسال

بننا وما زلنا نشاطر اهلها

مر الاسى وحلاوة الامال

اجل لم يتعطر جو المؤتمر بمثل هذه النفحات ، ولا بمشيلات لها من شعراء الشباب المناضلين .

واذا فات المتحدثين ابراز هذه النماذج القومية فلنعمل على اكمال هذا القصور ، وليتقدم الباحثون الى ملء الفراغ في بحوث المؤتمر

- ٥ -

ولم يكن النثر في تناوله احسن حظا من الشعر ، بل كانت البحوث مطلقة عامة ، لم تنقص فروع النثر من مقال وقصة ورواية ومسرحية ، ولم تبرز اسماء المنجيين في هذه الميادين .

وكانت ثمرة ذلك انتهاء المؤتمر الى نتيجة مطلقة عامة ، هي المطالبة بان يتوافر في الآثار الادبية ، القيم الفنية والجمالية . كما تتوافر فيها

مضامين الحياة المهمة لا المضامين النافهة ، وعلى رأس المضامين الحية ، الخصائص القومية والمثل الانسانية العالية ، والمثل الروحية ، والنماذج

البشرية الجادة العاملة .

وهي نتيجة على اية حال ، نافعة لاولئك الادباء والكتاب الذين لا يابهون للقيم الفنية في التعبير عن مضامينهم القومية او الحياتية ، وموجهة

لاولئك الادباء الذين يتركزون حول نفوسهم ، ويعيشون في ابراج العاج . ولاولئك الادباء الذين لا يزالون يعملون على هدهدة احلام المراهقين .

ودفغة غرائز المراهقات بادبهم الجنسي الصارخ .

- ٦ -

بقيت لي كلمات قليل فيما اتخذته المؤتمر من قرارات خاصة باللغة ، فقد اوصى بان تكون اللغة الفصحى هي اداة النثر بكل اشكاله ، واوصى

المجامع العلمية باستخلاص الفصح السليم من العامي الذائع واشاعته في الاستعمال اللغوي ، واوصى بتوحيد المصطلحات الفنية في النقد العربي .

ونحن نلاحظ ان المؤتمر لم يخصص بحثا مفردا للغة ، وهي مقوم من اهم مقومات القومية ونلاحظ انه قضى قضاء حاسما باستعمال اللغة الفصيحة

في النثر بجميع اشكاله ، وقد كان جديرا به ان يواجه مشكلة ازدواجية اللغة في جميع الاقطار العربية ، بين الفصيحة والعامية ، وكان في الامكان

القول بتسهيل المصطلح اللغوي وتبسيطه ، وكان في الامكان القول بالنزول عن المصطلح المترف الفصيح ، الى المصطلح السهل الخفيف كاستعمال

الحوار العامي اذا كان لا مناص منه في الرواية او القصة او المسرحية . اما ما اوصى به المؤتمر من توحيد المصطلحات الفنية في النقد العربي

فقد ترك المؤتمر هذه المهمة دون بيان من يقوم بهذا التوحيد ، ومن قبله اوصى المؤتمر الاول بالمزيد من العناية لايجاد المصطلحات العلمية

والفنية وتوحيدها في البلاد العربية ، وقد كان مرجوا من المؤتمرين ان يخطوا خطوة عملية في هذه الناحية ، ويعملوا على ايجاد لجنة لتوحيد

قريبا يصدر كتاب

الائمة الاثنا عشر

لمؤرخ دمشق

ابن طولون

اول كتاب في موضوعه يظهر في تراثنا القديم

بتحقيق

الدكتور صلاح الدين المنجد

مرجع خطير لا يستغني عنه اي باحث

ويجب ان يقرأه كل متعلم

الناشر : دار بيروت - دار صادر

هذه المصطلحات ، واخراج كراسة او نشرة دورية بها .

- ٧ -

ومع هذا فقد ظفرنا بتوصيات مهمة لاغناء الادب واثرائه من بينها :

- (١) نشر مجموعات مختارة من الشعر القومي .
 - (٢) وانشاء مجلتيين احدهما للنقد وثانيتهما للادب تكسبون لسانا لاتحاد الادباء .
 - (٣) وانشاء مركز عربي عام لتنسيق اعمال الترجمة من اللغة الاجنبية الى اللغة العربية .
 - (٤) ورعاية حركة الترجمة وعونها المادي والادبي والمعنوي .
 - (٥) وترجمة الآثار النقدية القيمة .
- وهذه التوصيات جدرة بالناية ، ونرجو ان تتحول الى اعمال . واملنا وثيق في ان يقترن القول بالعمل .

وبعد ، فانه لا يسعني الا ان احيي من المؤتمرين من اهتموا ببحوثهم وارجو ان يهتم ادباؤنا بتأمل هذه التوصيات ، واعتبارها نقطة انطلاق لاعمال ادبية ايجابية قابلة . وان تلقى المؤتمر القابل بصفحات نيرة من هذه الاعمال ، وان نجد في حلبته الفرسان المبرزين من الادباء العرب الموهوبين .

حقق الله آمالنا القومية ، واهدافنا النبيلة لوحدة عربية عزيزة المثال والسلام ...

مصطفى عبد اللطيف السحرتي

القاهرة

في مؤتمّر الادباء العرب الثالث

بقلم توفيق صرداوي

انعقد مؤتمّر الادباء العرب الثالث في مدينة القاهرة بتاريخ ٩ - ١٦ كانون الاول من عام ١٩٥٧ . والموضوع الذي رأى المؤتمر ان يركز نشاطه فيه ، ويسلط أضواءه عليه هو (الادب والقومية العربية) وفي المرتين السابقتين اللتين اجتمع فيهما مؤتمّر الادباء العرب كان - وهذا شيء طبيعي - يبحث في قضايا الادب في العالم العربي بقصد تنشيط حركته، ورفعها الى مستوى الادب العالمية . اما في هذه المرة فقد تعمد المؤتمر ان يبحث صلة الادباء والادب العربي وأثرهما في القومية العربية . وان دل هذا على شيء فعلى تفاعل الانسان العربي بقوميته ، في هذه المرحلة الحاسمة من حياة الأمة العربية ، التي تتأرجح بين الاضطراب والتقدم والاستقرار .

وأعطيت الكلمة للمحاضرين حسب ما كلف به كل محاضر مسبقا . وانتهى المؤتمر بعد انعقاده لمدة اسبوع وقد خرج بنتيجة ذات شقين . اولهما : نداء لادباء العالم اجمع ان يتضامنوا في سبيل تخليص الانسانية من شرور الاستعمار ونشر العدل والسلام والحرية . وثانيهما توصيات للحكومات العربية ولادباء العالم العربي - شعراء وكتّابا - توصي الحكومات بموجبه ان توفر للاديب الحرية والحماية والتشجيع . وتوصي الاديب ان يعبر عن حياة المجتمع العربي وان لا ينحاز للادب الانطوائي . وقد خرجت لنا مجلة « الادب » في عددها الممتاز للشهر المنصرم

بخير ما التقى من المحاضرات والكلمات في المؤتمر لاهميتها وملاصقاتها المباشرة في معالجة هذا الموضوع الخطير . ومن هذه المحاضرات يستطيع القاريء ان يلاحظ الخلط الكثير الذي وقع فيه معظم المحاضرين عن (تكوين) القومية العربية - هذا ان صح لنا ان نستعمل كلمة (تكوين) وهذا ما يعني البناء والخلق والانشاء فمنهم من رده الى ظهور الاسلام ومنهم من رده الى الشعر الجاهلي . ومنهم من رده الى عصر خلفاء بني امية . ومعظمهم قرر ان الاسلام والادب وبعض الاحداث التي مرت بها الأمة العربية كالشعبوية مثلا - في تاريخها القديم - كل هذه - هي التي عملت على (خلق وتكوين) الأمة العربية . وهذا لعمرى هو الخطر العظيم الذي يخشى على ناشئتنا وادبائنا غير الواعين - قوميا - منه . وهو ايضا يفتح المجال لدعاة الشعبوية - في عصرنا الحاضر - وبفسح الطريق لاعداء القومية العربية لان ينالوا منها .

والادب - شعرا كان ام نثرا ، في الجاهلية او في صدر الاسلام او ما بعدهما - والاسلام ، لم ولن يستطيعا ان (يكونا) القومية العربية . والسبب في ذلك بسيط بقدر ما هو بدهي ، وهو ان القومية العربية موجودة وحقيقة واقعة ، قبل ان يوجد الادب وقبل ان يوجد الاسلام حتى وقبل ان توجد الجاهلية . وهي الفترة التي اصطلح المؤرخون ان يحدوها بحوالي مائة سنة قبل ظهور الاسلام لا بل وقبل ان توجد اللغة العربية على الشكل الذي كانت عليه في الجاهلية او قبل ان توحيها لغة قريش . فالقومية العربية موجودة بوجود الانسان العربي ، لم يخلق الانسان العربي قبل قوميته وكذلك القومية . فوجود احدهما رهـن بوجود الآخر . اذ ان القومية هي « الذات » للشخصية العربية ومن

يصدر في مطلع شهر شباط (فبراير) ١٩٥٨

المجلد الحادي عشر من كتاب

الاجاني

للاصفهاني

تراجم هذا المجلد

النايفة الديباني - الحارث بن حلزة البشكري - عمرو بن كلثوم - اوس بن حجر - ورقاء بن زهير - زهير بن جذيمة العبسي - خالد بن جعفر بن كلاب - الحارث بن ظالم وعمرو بن الاطنابة - رحران الثاني - عمليق ملك طسم - عمر بن ابي ربيعة وصاحبه - الجعد بن مهجع العذري - عائشة بنت طلحة - عمر بن شاس - ليلى الاخيلية - الاقيشر ابن الفريزة - اعشى بني ثعلب - ابو النضر العبلي - ابو جلده البشكري - علوية - اسماعيل - بن عمار .

تقراون كل هؤلاء في المجلد ١١ من الاجاني

اطلب من الناشر هذا المجلد والمجلدات السابقة

دار الثقافة - عمارة الفراوي - ساحة رياض الصلح
بيروت

التصريح يصدر عن الدكتور . فالقومية ، وحسب ما دللنا سابقا موجودة قبل وجود الاسلام وحين جاء الاسلام كانت القومية العربية هـسى المادة التي استطاع بواسطتها الاسلام ان يتسع وينتشر ويسود . فقد صبغته بالصبغة العربية . وجعلته ابنها تحافظ عليه وترد عنه كيد الكائدين وتخرصات المفرضين . فقامت بشره في مختلف بقاع العالم وسودته على الاديان المختلفة - اذ اُبت الذات العربية ان يكون هنالك دين افضل مما تدب به - التي كانت تعتنقها وتبينها امم تلك الحقبة من العصور المظلمة في تاريخ الانسانية . فمسخت به عقائدهم ومحت صدورهم آثارها . وغرست الاسلام - دينا - في قلوبهم وعقولهم .

والاسلام على عظمتهم وسموه وقوته ، لم يستطع ان يخرج عن دائرة امه القومية العربية . وقد فرضت وجودها عليه . فجاء بلغتها . فوجود القومية العربية الذي كان حقيقة حتمية ، وجوها اصيلا في نفوس ابناء الجزيرة ، حتم على القرآن ان ينزل بلغة القوم . وحين انتشر في معظم اقطار العالم المعروف في ذلك الحين ، وجد كل من يعتنقه ان لا محيص له ولا معدى من ان يتعلم اللغة التي جاء بها القرآن . من هذا نجد ان القومية العربية وبواسطة لسانها فرضت نفسها على القوميات الاخرى كما فرض الاسلام نفسه على اديان هذه القوميات . والشواهد والادلة على ذلك كثيرة : فهذه الاندلس ، وهي البلد الذي لم ينزح اليه كثير من العرب . فاستطاعت بذلك قلة منهم ان تفرض عاداتها وآدابها على اهلها من الفرنجة . استعربت الاندلس في كل نواحي حياتها بصورة مطلقة ولدة ثمانية قرون . ولا تزال آثار العادات والاداب العربية تسيطر على الامة الاسبانية حتى وقتنا الحاضر ، بالرغم من طرق الابادة ووسائل الافناء التي استعملها الاسبانيون في القضاء على كل ما هو عربي . وبالرغم من مرور ما يقرب من خمسة قرون على خروج آخر عربي من تلك البلاد .

واذا كان الدكتور طه حسين قد حدد ظهور الاسلام نقطة انطلاق للقومية العربية بمعناها الدقيق يكون قد نسي او تغافل احدانا جليلة مرت بها الامة العربية ، وكانت دليلا لا يقبل الشك في ان القومية العربية موجودة فعلا قبل ظهور الاسلام . واهم هذه الاحداث معركة (ذي قار) فهي اول حدث سياسي اخرج القومية العربية من باطن الذات وأطلقها عارمة كاسحة . ولا نعدم من شعراء الجاهلية من ينطق بلسان القومية العربية ويمقت العصبية القبلية الضيقة . ويفتخر بانتصار العرب على الفرس الذي هو انتصار القومية العربية على من اراد لها ان تظل كسيرة الجانب مغفورة في حدود التعصب القبلي . ولنسمع احد شعراء بني شيبان يقول :

اذا افتخرت يوما تميم بقوسها وزادت على ما وطدت من مناكب
فانتهم بذي قار امالت سيوفكم عروش الذين استرهنوا قوس حاجب
ثم ما هو (جيلة بن الايهم) الملك الفساني الذي هرب الى بلاد الروم ، بعد ان حكم عليه عمر بن الخطاب أن يضربه البديوي جزاء ما لطمه على وجهه ، كان قد تنصر . فلم تتفاعل نفسه بالنصرانية كما انه لم يعن لاعتناق الاسلام الذي اعتنقه قومه . بل فاض حينه الى وطنه بدافع قوميته الصاخبة الملحة عليه لنسمعه يقول : -

فيا ليتني ارعى المخاض بدمنة وكنت اسيرا في ربيعة او مضر
ويا ليت لي بالشام ادنى معيشة أجالس قومي ذاهب السمع والبصر
اما الذي اريد ان اقله هنا فهو ان القومية العربية لم تكن واضحة بمفهومها السياسي والاقتصادي والاجتماعي الحديث .

غير المعقول ان يكون هناك شيء) بله الانسان بدون ذات ، بدون جوهر . والانسان العربي بدون قوميته يعني صفرا . غير موجود . لـسـذا فحتمية وجود الانسان العربي تحتم وجود ذاته . جوهره . وبالنهاية قوميته . واعتزاز الانسان العربي بذاته - بقوميته - في الجاهلية هو الذي جعله ينشد شعره معبرا عن وجوده ، عن ذاته الفردية والجماعية . انا لقوم اُبت احسابنا شرفا - ان نبئلي بالاذى من ليس يؤذينا وان (الوجود القلق) كما عبر عنه الاستاذ مطاع صفدي في مقاله (نحو تجربة قومية) استطاع اخيرا ان يستقر ويطمئن ومن ثم ان ينطلق في رحاب الوجود الكلي الشامل للانسانية . والقومية حين فرضت نفسها على الانسان الذي عاش في الارض المسماة (بالجزيرة العربية) كان لا بد لهذا الانسان من لغة . . وسيلة لكي يعبر بها عن كل حاجياته . واللغة كما قلت آنفا ان كانت تعد من مقومات القومية العربية فانما هي لسان القومية العربية التي استطاعت ان تفصح به عن نفسها وتحدد ابعادها وتبرز معالمها . ولهذا فالشعر في الجاهلية لم يكن الا المعبر عن شيء سبقه الى الوجود وهو القومية . وان كان للشعر بصورة خاصة في الجاهلية وللادب العربي بصورة عامة في مختلف مراحل التاريخ التي مرت بها القومية العربية - اقول ان كان له فضل في اذكاء هذه الذات وحياتها في نفس الانسان العربي والتعبير عن (انية) المجتمع من كل جوانبها .

والاسلام في رأي الدكتور طه حسين هو النقطة التي انطلقت منها القومية العربية على وجه التدقيق حسب تعبيره . واني لاستغرب هذا

آخر ما صدر عن :

دار الثقافة ، بيروت

التمن غ.ل.

٥٠٠	على الطائر - مارون عبود
٢٠٠	زاد المعاد - امين نخلة
٣٠٠	نماذج بشرية من العصور الوسطى (ايلين يور)
٧٠٠	تكوين العقل الحديث الاول - رندل
٧٠٠	تكوين العقل الحديث الثاني »
١٥٠	حياتنا الجنسية اوجيست فورييل
٦٠٠	الاغاني المجلد العاشر - للاصفهاني
٦٠٠	الاغاني المجلد الحادي عشر »

تطلب هذه الكتب وخلافها من الكتب العربية عامة من

دار الثقافة ومكتبتها - ساحة رياض الصلح - بيروت

للاديب الواعي . ولكنهما يقومان مقام اليد واللسان منها . يدافعان عنها ويقومان بدور كل خطر يتهددها .

وانا وان كنا قد افضنا في الحديث عن المراحل التي مرت بها القومية العربية وعلاقة الادب في العصور القديمة للاسلام ، فانه يجدر بنا ان لا ننسى كفاح الانسان عن (ذاته) قوميته في القرون المتأخرة . والمصر الحاضر بصورة خاصة .

فالاستعمار التركي الذي رزحت تحت نيره البلاد العربية قرونا طويلة، وما رمى اليه هذا الاستعمار من محاولات شتى لمحو القومية العربية وطمس آثارها بالعمل على جعل الحكم مركزيا تارة ، وبالتتركيز تارة اخرى، أيقظ الذات العربية - وان كانت هذه اليقظة متأخرة . فالسبب في ذلك يرجع الى الضربات المتوالية التي لاقتها فمن تحكم الفرس ، وظهور الشعوبية ، الى سيطرة المماليك ، الى الغزو التركي ودمار بغداد السى الحروب الصليبية . فاجتياح الجيوش التركية لارضها - وحفزها للقيام بدور كل عدوان يستهدفها . ومحاولة الانطلاق من اسر قيود الغرباء . فقام المصلحون من امثال عبد الرحمن الكواكبي واليازجي ومحمد عبده في الربع الاخير من القرن التاسع عشر واولال القرن العشرين ، وجرّدوا افلامهم ، وارتفعت عقائدهم ، منبهة العرب ان يستيقظوا من سباتهم ، يشرحون لهم الواقع ويبصرونهم بالاحداث التي يعيشون في دوامتها ، ويكشفون لهم المؤامرات ، هادفين بذلك بعث القومية العربية من مرقدها واشعال الثورة على الواقع وطرّد الدخلاء من ارضهم بعد ان استنزلوهم ورتعوا في خيراتهم الحقب الطويلة ومزقوا وحدتهم فرقا شتّى . فجاء الادب هنا رسولا . ينذر ويشرح ويوضح معالم الطريق الى الوحدة

وفي زمن خلفاء بني امية ، وهي الفترة التي تتجلى فيها القومية في أعلى مراحلها في ذلك العهد ، وازدادت الفتوحات ، واتسعت رقعة الدولة وكثرت القوميات التي دخلت في الدين الجديد . واصبحت بذلك تحت الحكم العربي ومن هذه القوميات ما كانت لها حضارة عظيمة وباع طويل في العراقة وقدم راسخة في شؤون الحكم والتنظيم . كل هذا يهدد القومية العربية بعد ان اختفى وراء عبارة (لا فضل لعربي على اعجمي الا بالتقوى) من هنا حرص خلفاء بني امية بعد ان تنهوا للخطر الذي يحرق بهم ويتهدد دولتهم من القوميات المتنوعة ودعاة الشعوبية . فانخذوا القومية العربية - اقول اتخذوا واعني ان القومية استيقظت فيهم - فكانت درعا واقية لدولتهم الفتية . ولم يكن مقدرا لدولة بني امية الانتهاء بتلك السرعة لولا وجود من ساعد الشعوبيين وانباء القوميات الاخرى من العرب انفسهم - العلويون والخوارج وبنو العباس المطالبون بالخلافة - على زوال واندثار تلك الدولة . وان ننسى ان الشعوبيين كانوا يستترون بالدعوة لاهل البيت . وهم من العرب . فكان من هؤلاء انهم حاربوا القومية العربية بالدين في أحقية اهل البيت بالخلافة . وبالقومية العربية كون آل البيت عربا : وازدهار الادب والشعر خاصة في زمن بني امية لا يدل على ان الادب هو الذي اذكى القومية في نفوس العرب بل على العكس من ذلك . ان القومية هي التي حركت الشعور بالخطر والاحساس بان هناك ما يتهددهم وينذرهم بأوخم العواقب . فقاموا بدورهم عنها بشعرهم .

واكثر ما يتجلى فضل القومية العربية على الادب هو ظهور الشعوبية حينذاك . هب ابناء القومية ليدافعوا عنها ووقفوا بالمرصاد لكل من يحاول ان ينال منها ، بعد ان حركت فيهم نوازع النفس العربية، ذات الشخصية الميزة . وظهر هذا واضحا حين انتهى الامر الى ايدي خلفاء العباسيين واختلطت الفرس بالعرب وحاول الفرس في خلال تلك الفترة ان يستردوا مجدهم الذي هدمت صرحه أيد عربية . فعزلوا الخليفة عن الشعب . واحاطوه بالجواري والشراب وشجعوه على الازدياد من ذلك بحمل اعباء الحكم والتصرف بشؤونه كيفما شاءوا . وهنا تحركت القومية العربية في نفوس ابناء الشعب من الشعراء فراحوا يرسلون شعرهم ذودا عن قضية امة وتذكروا عهد بني امية وما كان للعربي فيه من عزة وكرامة فلنسمع احد شعراء تلك الفترة يقول :

بني امية هبوا طال نومكم ان الخليفة يعقوب بن داود
صاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا خليفة الله بين الزق والعود

واذا كان قائل هذين البيتين هو بشار بن برد ، وهو مولد ومن دعاة الشعوبية ، الا ان في بيتيه السابقين ما يدل على ان الخليفة كان لا حول له ولا قوة . ولم تكن الجراءة لتنقص الشعر في ذلك الحين . فانتقد الحاكم ولم يخشعه فلنسمع الى احدهم يقول :

خليفة في فقص بين وصيف و (بقا)
يقول ما قال له كما تقول البغفا

واظن ان القارئ لا تخفى قصة هذين الوزيرين عليه مع الخليفة العباسي العربي . يبدو من هذا ان الشعر كان يقوم بوظيفته فحسب . وذلك بحسب طبيعته والوظيفة هي تنبيه الرأي العام وايقاظهم على ما يدور حولهم وما يحاك ضدّهم والباعث على ذلك هو القومية . فالقومية اذن : هي التي تصنع الادب والاديب ولا يصنعانها . وهي احدى مقومات الادب الخالد الرئيسية . كما انها احدى مقومات الشخصية الادبية

تزيين الاسواق بتفصيل

اشواق العشاق

للعالم العلامة داود الانطاكي

صدر اخيرا في ستة اجزاء

عن دار المكشوف

- ١ - العشق الالهي
- ٢ - عشق الجوّاري
- ٣ - عشق المجهول
- ٤ - عشق الغلمان والحيوان والنبات
- ٥ - عشق الافلاك
- ٦ - غرائب العشق

العربية . التي فتنتها غزوات التتر والأتراك . وشرح ضرورة التكتل والتضامن في سبيل الحرية .

وسلمنا الاستعمار التركي بدوره الى الاستعمارين الوحشييين البريطانيين والفرنسي . وكانت يقظة العرب القومية في انفتاحها الجديد على أشدها . فتوردة في مصر ، وأخرى في سوريا وثالثة في العراق . وثورات في فلسطين .

واستجاب الكتاب والشعراء لهذه الأحداث وانفعلوا بها وتفاعلوا معها . فذابت في ذواتهم . كما ذوبوا ذواتهم فيها . فارسلوا أشعارهم وخطبهم وكتاباتهم وهي تفيض بالهيب ، وتحرض على الانتفاض وكسر القيود ، وهدم الأسوار ، أسوار الجهل والانحطاط والذل المروية حولهم . فكان حافظ وشوقي ومطران في مصر والشرقي وأخوانه في سورية . والكاظمي والرصافي والزهاوي في بغداد . قام هؤلاء ينفثون اللهب . ويضيفون الى نار الثورة الحطب ، لتزيد اشتعالا . وتضرب قوة وكفاحا . وانتقلت الثورة في مرحلتها التالية اكثر تنظيما وأصدق عزما وأعمق جذورا . واثارت في نفوس الادباء القومية العربية . واستيقظت نفوسهم وعيا قوميا متفجرا . فظهو أبو سلمى وإبراهيم طوقان وعبد الرحيم محمود في فلسطين والجواهري والراوي - وكان الرصافي لا يزال حيا - في العراق وأبو ريشة في سوريا والشاذلي في تونس وبشارة الخوري في لبنان . ومشوا في طليعة الركب يحدون أناشيدهم ويغنون الام الامة العربية وآمالها . ويشيرون في كينونته ذاته المتحضرة لينفض على ساليه حريته والحاجبين عنه شمسها .

والمفهوم القومي اذ يملأ النفس العربية في هذه المرحلة من تاريخنا

الحاضر انما يعني ان القومية قد اتخذت شكلا حتميا - وهو بالطبع دون الشكل النهائي - فرض عليه تطور التاريخ وتطور المجتمع البشري . وتعدد المفاهيم السياسية للقومية . وما نكبة فلسطين الا الشاهد القوي على ذلك . فانثرا في الادب الحديث بين واضح ، لا يستطيع ان يتعاضد عنه ذو عينين . فقد الفت اطراف المجتمع العربية في شتى اقطاره . ووجود اسرائيل جعلهم يشعرون بالخطر الذي يتهدد القومية العربية في المستقبل . وما يوجد واحد في اي بقعة من بقاع العالم العربي الا وفتحت عينيه هذه النكبة على واقع مجتمعه المزق الرث . وحركت فيه الشعور القومي بضرورة الاتحاد للرد على الخطر المباشر . ومن كان كاتباً او شاعراً حركت فيه ذاته العربية وجردته من زيف المفاهيم المعاصرة . فسال قلعه وأبدع . وبذا فهو مدين لها بتكوين شخصيته الادبية . وهو مدين لها لكونها مصدر وحي لا ينضب معينه . والنكبة - بالطبع - هي حدث قومي ، ان امتاز عن باقي الأحداث فلفظاته وجلاله . اذ نبه الضمير النائم ونادى بسرعة لم اطراف الامة الى بعضها البعض . تحت لواء القومية العربية الذي نكسه الاستعمار . وما هو قد عاد للارتفاع ثانية خفاقا زاهيا عزيزا ...

والصراع القومي الدائرة رحاه الان . هو ايضا وجه آخر من وجوه القومية العربية المتعددة . اذ تقوم دولة البغي الفرنسي بحملات الابادة وفرنسة كل ما هو ليس بالفرنسي في ذلك القطر العزيز . وكان هذا الصراع ولا يزال طاقة هائلة تمد الاديب العربي بالكثير الكثير . والكتب التي الفت في الدفاع عن قضية الجزائر عديدة والقصائد التي قيلت ممجدة كفاح الشعب العربي في الجزائر اكثر من ان تحصى . وما الاعتداء على بور سعيد في العام المنصرم عنه ببعيد . اي اديب في العالم العربي لم يثره الغزو المسعور على مصر العزيزة . فلقتنه بور سعيد درسا قاسيا وعلمته القومية العربية انها تقي العرب اي اعتداء وانه :

اذا الشعب يوما اراد الحياة فلا بد ان يستجيب القسدر وكلمة اخيرة : ان القومية العربية وجود انساني يفرض نفسه بين القوميات الاخرى . ويتحدى دعاة الاقلية الممقوتة . والاممية المجردة . والفلسفات الضبابية والانحلالية .

وختاما تحياتي للذين اجتمعوا في (قلب العالم العربي) ومرحى للدكتور جودت الركابي فقد اجاد .

توفيق صرداوي

الاردن

حول قصة « دم و مرجان »

بقلم سليمان ملوك

كنت اود من « صباح محي الدين » الا يقدم لقصته بهذه التقديم الطويلة ، وكنت اتمنى لو ادخرها ليرد بها على رأي النقاد او بالاحرى على رأي القراء ، و « الاداب » الكريمة تفتح صدرها رحبا امام آراء القراء دائما، وربما كان سبب طلبها هذا هو الخوف على مصر كاتب مثل (صباح محي الدين) الذي تعودنا ان نعجب بكل حرف وكل كلمة يضعها قلعه على الورق ، ولست اجامل اذا قلت ان « صباح محي الدين » يملك قدرة سحرية في حبك قصصه ، واذا قلت ان قصصه اقرب الى القصائد

لقد ساء لها على لسان مرزا .. ولم تبع منها بعد !!
وسفرها مرزا .. من غير ان ترتب !!

ذهب مع الريح

تحفة مرعربيت مبتلى الخالصة

القصّة التي سمّت العالم بأسره
عندما اغمرها لوليد .. تصدّر لأول
مرة باللغة العربيّة .. يسمّيها القراء الكاتب المصري الكبير

الاستاذ يوسف السباعي
في مجلد كامل داخره طبع في فاخر

٥٠٠ صفحة من القطع الكبير - الثمن ٥٠٠ ق.د.

مترجم :
مؤسسة الخانجي بالقاهرة

المكتب التجاري - بيروت

الشكل .

ولكن نريد ان ننبهه الى ناحية مهمة وهي انه : يجب ان ينتبه الى اشخاصه من حيث صلتهم ببعضهم شعوريا ومن حيث احساسهم بالاشياء ونظرتهم اليها على انهم اشخاص يختلفون في سلوكهم وفي تكوينهم في الواقع . واذا كانت صلة بطلي القصة ببعضهما في « دم ومرجان » قد ظهرت بشكل قوي وجيد ، فان مواقفهم من الاشياء وانفعالاتهم كانت احيانا متشابهة الى حد ما ، وهناك شيء اخر نريد ان ننبهه اليه هو عدم استعمال الرموز بدل الاسماء العادية وهو نفسه يعلم ما للاسم من قوة وتأثير ، ولا نريد ان نبرهن على ذلك بعلم النفس لان المجال ضيق

والملاحظة الاخيرة هي ان تقسيم القصة على هذا الشكل المقابل يحقق للكاتب كثيرا مما يريده من فكرة التوافق وارجو ان تخرج القصة في كتابه المقبل على نفس الشكل الذي طبعت به على صفحات « الاداب » واخيرا للكاتب تحياتنا واعجابنا .

سليمان ملوك

دمشق

مالايك ؟

في عاشق يحب فتاة من أسرته
لدينا نفسه أصدر على الظفر بقليها
ولا يخشى التقاليد ولا أهلها
ولا الدين ولا المجتمع ...
كانت محبها .. وكانت تحبها
دمع ذلك لم يتزوجها
فظلت يحلم بها .. من بعيد !
لنحكم عليه الآن .. وإنما اقرأ دفاعه
لنقتنع ولكي تقدر ظروفه وتفهم موقفه
اقرأ

مرمات

لمحمد شتاينيك

في « كتاب الفد »

نشر وتوزيع : المكتب التجاري - بيروت

الشعرية منها الى القصة اكون قد سجلت احساساتي كقارئ فقط ولا اريد ان يؤخذ علي كحكم نقدي ، لانني هكذا شعرت عندما قرأت له « السنفونية الناقصة » .

اقول : ان الخوف من وقوع المأساة التي تلي دائما هذه المقدمات ، حيث أنني على اثر احدى هذه المقدمات وعلى صفحات « الاداب » بالذات افقدت انسانا كان عزيزا علي وكنت اتسقط اخباره بشغف وبجوع ايضا ، فقد قرعت معه طبول الزوج ، وغيت معه من اجل السلام ومن اجل الانسان ، وتطلعت معه من خلال ليالي « الموسى » الحزينة ، من خلال مأساة الامة العربية الاليمة ، من خلال مأساة الشرق كله ، الى مستقبل باسم مشرق كله ضياء وكله نور وكله خير ، وكان آخر لقاء لي معه يوم عيد « غانا » وتواعدنا ان نلتقي ، وطويت « المجلة » وأنا اردد « ملتقانا مقلع الشمس الذي يغسل بالنور ربانا » وافترقنا ، ثم نسي الموعد وبعث رسالة بشكل « مقدمة » على صفحات « الاداب » بعد شهر يقول انه يعتذر عن اللقاء لانه سيشتغل في « العروض » ومن يومها وأنا أسأل عنه وأقلب صفحات « الاداب » فلا اعثر له على اثر .

والان فليعذرني الاستاذ « صباح محي الدين » وليبرر لي هذا الخوف لانني لا اريد ان افقد اصدقائي جميعهم وان كانت النتيجة الان عكس الاولى تماما ، لان قصة « دم ومرجان » التي دلت مقدمتها على انها تقليد او تجربة ، قد لاقت ما يجعلها فاتحة جديدة في عالم القصة العربية القصيرة .

ان ابداعها ليس في سير انفعالات الشخصين جنباً الى جنب ، وليس في اشرار الشخصين في الحديث في آن واحد معا . ان ابداع هنا ليس في التوافق الزمني والمكاني ، ولا من حيث ان التوافق غاية في ذاته ، كما قدم الكاتب الكريم ، ولكن من حيث ان هذا الاسلوب قد اطلق فعاليات كانت جامدة او ميتة في القصة العادية ، ان كل اشخاص القصة العادية من غير البطل كانوا مجرد محرضين فقط لاطلاق شعور البطل واحساساته وآرائه من خلالهم دون ان يكون لهم ، على الغالب ، ادنى عمل غير ذلك .

كان جو البطل فقط في القصة العادية يفور بالحركة ، اما بقية اشخاص القصة فكانوا ملفعين بجو داكن رتيب على الاغلب ، الا من ومضات كان البطل ينثرها حولهم في بعض الاحيان . اما هنا في قصة « دم ومرجان » فان بطلي القصة اشبه بمغناطيس لكل منهما قطبان ، موجب وسالب ، يدوران بنائير قوى طبيعية فيتجاذبان بالحياة والحركة والحيوية ، انها تجربة اولى من نوعها وهي في نفس الوقت خلق جديد في القصة العربية واننا - نحن القراء - الذين تعودنا ان نسمع الحان « صباح محيي الدين » الجذابة ، نطلب منه ان يتابع كتابة قصصه على هذا

العروض والشعر الحر

— تنمة المنشور على الصفحة ٧ —

الطيران . ان الحرية تكاليف باهظة ، والمغامرة قد توقع في مشاكل غير محتملة .

وخلاصة القول في قضية التشكيلات اننا ارتكزنا في دعوتنا الاولى الى الشعر الحر ارتكازا صارما الى وحدة التفعيلة في البحور الصافية ، وان واجبنا الادبي — كشعراء نقاد عرب يسندهم تاريخ شعري طويل له قداسته وجلاله — يحتم علينا ان نرفض هذا المزج الذي يتم — فيما نلاحظ — دونما مبالاة كثيرة . واننا لنرجو الا يكون حسن فتح الباب واحمد عبد المعطي حجازي وفارس قويدر وغيرهم من شعراء هذا العدد قد صلدوا عن منهج مرسوم يدعو الى « تحرير » الشعر الحر من وحدة التفعيلة التي هي قانونه . ولعله احب الى الناقد المخلص للشعر العربي ان يرى الشاعر يسهو فيقع في خطأ غير متعمد من ان يراه يصدر في خطاه عن خطة مبيتة غرضها التجديد ونتيجتها غير المباشرة اخلال الفوضى في شعرنا الحديث .

— ٢ —

المشاكل الخاصة ببحر الرجز

لعل الاخطاء والالتواءات التي يقع الشعراء فيها وهم يكتبون في بحر (الرجز) اكثر مما يقع لهم في اي بحر اخر ، وهذه حقيقة يستطيع القاري ان يلمسها بمجرد مراجعة سريعة ذات طبيعة عروضية لما ينشر في الصحف من هذا الشعر . فما يكاد الشاعر يبدأ قصيدة الرجز حتى تحف به المشاكل . ولم تبرز هذه المشاكل في الشعر العربي الا بعد طغيان حركة الشعر الحر وانسياق الشباب معها بلا تريث . ولقد جاءت الحرية بالضللال خاصة لان الشعراء الجدد فيما يلوح قليلو القراءة للشعر القديم بحيث لم تستقم لهم اسماع عروضية ، مكتملة تحميمهم . وهكذا ظهرت المشكلتان الرئيسيتان اللتان نلاحظهما في قصائد الرجز : مشكلة الزحاف ومشكلة الوند وعلاقته بالكلمة .

اما الوند فان كتب العروض تقدمه لنا مقدمة عابرة في المقدمات ثم لا تعود الى ذكره قط . ونحن اليوم في فترة من تاريخ الشعر تحتم علينا ان نعنى بهذا الوند خاصة في مكانه من تفعيلة الرجز التي تنتهي به . والذي نلاحظه — وهي ملاحظة شخصية — ان الوند في الشعر العربي يتصف بشيء من الصلادة والقسوة ويجنح الى ان يتحكم

في الكلمة ويرفض ان يسمح للشاعر بتخطيه . ومعنى هذا ، اذا اردنا التبسيط ، ان الوند يبلغ من القوة بحيث يستطيع ان يشق الكلمة التي يرد في اولها الى شقين ، ومن ثم فان من الكياسة الشعرية ان يحاول الشاعر ايراد الوند في اخر الكلمة لكي يختمها ويقويها . غير ان للشعراء اساليب كثيرة يقاومون بها سطوة الوند وأبرزها وأكثرها شيوعا ايقاف الوند عند حرف ساكن كالياء في قول ابن مالك « واستعين الله في الفيه » . ان الياء وحرفي العلة الآخرين يوحيان بوقفة وهذا يبدد قوة الوند وصرامته الى حد كبير . وهناك اساليب اخرى لا نحتاج اليها هنا .

ولكن ماذا يصنع شعراؤنا المحدثون بالوند ؟ ان خير نموذج يحضرني لقلة الاكتراث التي يقابل بها الشاعر الحديث هذه القضية المهمة في بحر الرجز بيت للشاعر صلاح الدين عبد الصبور هو ولا ريب من ابياته غير الموفقة :

وحين يقبل المساء يقفر الطريق والظلام محنة الغريب
انه يقف اربع مرات على حرف صلد وهذا ، كما نرى من قراءة البيت ، يلقي على الكلمات عبئا ثقيلا ويكسرهما تكسيرا . ان الوند هنا اقوى من الكلمة بصورة واضحة ولذلك يشطرها شطرين . ولو كان الشاعر اختار موافق ساكنة ينتهي عندها الوند لمساعد البيت كثيرا ، ولكنه لم يفعل . على العكس لقد جمع بين الوقوف على حرف صلد ، والوقوف في وسط الكلمة . فكانت الكلمة تبدأ دائما في وسط التفعيلة وتنتهي في وسط التفعيلة التالية ، وكذلك شأن التفعيلة التي تبدأ في منتصف كلمة وتنتهي في منتصف كلمة تالية .

وفي وسعنا الان ان ننظر في قصائد شعراء «الاداب» الثلاثة ونلتمس اساليبهم في معاملة الوند وسنجد انهم غافلون عنه اجمالا وان كان وقوعهم في الخطأ اقل تركيزا مما نجد في البيت الذي استشهدنا به اعلاه . وهذا مثل واحد من قصيدة احمد حجازي :

لا تفتأ الرياح تستثيرها

ووجهك الحمول يفرش الرضى على الغناء .

ولعله من مستلزمات الوند ان يقف بين الحين والحين في نهاية الكلمة ، ... حتى ابن مالك في الفيته المنظومة كان يصنع هذا . والحق ان منظومته من وجهة نظر العروض تتمتع بموسيقى ضافية نفتقدها في بعض شعر الرجز الحديث الذي شاع في السنتين الماضيتين .

هذا اذا كان يعترف بالعروض العربي ، واطنه يعترف ولا يحاول الخروج عليه . والحق ان من السهل جدا ان نخطيء في قواعد العروض وانا نفسي لا ادعي المعرفة التفصيلية به وقد تكون في ملاحظاتي اخطاء لم افطن اليها غير ان الرجوع الى كتاب في الموضوع لا يضير الشاعر ولا الناقد ولا القارئ فيما نظن فليت شعراءنا المجددين يفعلون ذلك بين الحين والحين .

نعود الى « مقياس » القصيدة ، فنتساءل لماذا احتوى نصا على تفعيلة ذات زحاف ؟ ان « مفاعلا » هذه لا ترد في التفعيلات الرئيسية وانما هي زحاف محض كما سبق ان ذكرنا ، ونحن نقترح على الشاعر ان يضع مكانها تفعيلة سليمة وبذلك يصبح المقياس الصحيح :
مستفعلا فعلا فعلا

وانه ليسرنا ان نلاحظ ان الشاعر لم يخضع لمقياسه ذي الزحاف وانما خرج عليه الى تفعيلات سليمة منذ المطلع ، وهذا ينم عن سلامة الفطرة الشعرية عنده وهي اثنى بالنسبة للشاعر من اية معرفة بعلم العروض .

واما القصيدة نفسها - باعتبار القياس - فهي تتبعه حيناً وتخرج عنه حيناً آخر وفيها تجوز هنا وهناك وببيت مكسور لم نستطع قراءته :

واما الزحاف فان شأنه ايسر . ان كتب العروض تستسيغ انقلاب تفعيلة الرجز (مستفعلا) الى زحافها (مفاعلا) وهذا وارد في الشعر القديم بكثرة ولا ريب في ان الغرض في الاصل التنويع والترويح فهو يدخل على القصائد الرجزية جمالا وموسيقية ، والشاعر العربي الحديث يلجأ بفطرته الى هذا التنويع الذي هو صفة عامة في بحر الرجز تدخل في تركيبه . غير ان ما لا يفعله الشاعر القديم قط ، وانما يقع فيه الشاعر الحر في عصرنا ، هو ان يكتب ابياتا كاملة تفعيلاتها جميعا مصابة بالزحاف . ان بيت عبد الصبور ذا التفعيلات الست من هذا الصنف ، وكذلك بيت حجازي لولا تفعيلته الاولى المبدوءة بكلمة لا . ولا ريب في ان هذا يضيف ثقلا الى البيت .

وبعد فما « الزحاف » اذا اردنا ان ننظر اليه نظرة حديثة ونخرج قليلا من تعريفات العروضيين ؟ انه علة تعتري البيت لا اساس فيه . انه مرض يصيب تفعيلة الرجز ، . . . اختلال صغير نحبه لانه لا يرد كثيرا ، تماما كما قد نحسب خصاما صغيرا مع اصدقاء نغزهم ، او زكاما يداهمنا يومين ثم ينصرف تاركا لنا احساسا اقوى بعدوبة العافية وجمالها . فماذا يحدث لنا لو ان حياتنا كلها استحالت الى خصومات وزكافات لا تنتهي ؟ ان يكون طعم الحياة اذ ذلك يشبهه وقع قصيدة كل تفعيلاتها زحاف ؟

بماذا نعلق اذن على كثرة الزحاف في قصائد الرجز في عدد « الاداب » هذا ؟ هنا كان النادر هو التفعيلة السليمة والظاهر اننا سننتهي الى ان نعد الزحاف هو الاساس و « مستفعلا » هي التفعيلة المريضة .

- ٣ -

أغلاط اتوزن

ادري ان شعراء العدد وكثيرا من القراء لا يحبون ان اثيرت طويلا عند الاوزان والعروض وانما يؤثرون ان نقد القصائد نقدا عاما ، على ان هذه فرصة بالنسبة لي ، انتهرها لانصر للناحية الشعرية من الشعر ولعلها الناحية التي اهملها نقاد الشعر في « الاداب » اهمالا تاما طويلا .

ونبدأ بقصيدة محيي الدين فارس ويلفت نظرنا « المقياس » في المقدمة النثرية . انه يقتبس نغما من الاغاني التسعينية ويتخذ بحرا ذا شطرين . واول خطأ عروضي يقع فيه هو المقياس نفسه حيث جعله : « متفعلا فاعلا فاعلا » وليس في علم العروض تفعيلات كهذه فالعروضيون لا يعرفون بالضميتين وانما يضعون مكانهما نونا وهم كذلك لا يقفون على حرف ساكن غير النون والصواب ان يجعل المقياس كما يلي :

مفاعلا فعلا فعلا

هل قرائتكم؟

في بيتنا حل

لأحسن مدى الفقرة الرائعة التي
صَقَّرَها القصة العربية الطويلة
على يد كاتب القصة الكبير :
إحسان عبد القدوس

٦٠٠ صفحة - طباعة فاخرة - ٦٠٠ ق. د. س.

نشر وتوزيع : المكتب التجاري - بيروت

او ليل اسلاك سرير تشكو .. ولكن لصخور
وقد جاء اكثر من خطأ في وزن قصيدة « زائر في
الغربة » لكامل ايوب . مثال :

فركت على الطين جثوث

...

وافقت وفي انفي رائحة شعير

مثال آخر :

والحقل المنكىء على شط النهر

مثال ثالث :

عام ويديق المغترب على الباب

وفي قصيدة حسن فتح الباب « قصة صيادين » وقع
الخطأ الصغير التالي :

وحكايا فلاح اخرق

يروها من الشط المعتم

ويشبه هذا خطأ في قصيدة « اذا اتى الشتاء » لمبارك
حسن خليفه :

فقلت يا ربيع

عينها لي

- ٤ -

نحن وعلم العروض

يهمنا ان نلاحظ في ختام هذا البحث القصير الذي
ارتكنا فيه الى العدد الماضي من مجلة « الاداب » ان



شعراءنا ينطوون اليوم على ميل الى الاستحياء من علم
العروض واقصائه عن قيم النقد واصوله ، وكأن شعراءنا
اعلى من ان يقاس بالمقاييس الموضوعية الرصينة التي
استقرأها اسلافنا عبر مئات السنين من مئات القصائد
العربية القديمة . وربما كان هذا الخجل من العروض يرجع
في اصله الى النظرية الرومانتيكية التي نادى بأن الشاعر
ملهم . وان الاوزان تنبعث مغنية من اعماق نفسه دون ان
يحتاج الى دراسة العروض واوزان الشعر التقليدية ، وكأننا
بننا نحسب ان الارتكاز الى قواعد العروض في نقد شعراءنا
وتقويمه يقلل من قيمتنا كمنقاد موهوبين يرتكزون الى
الفطرة ولا يحتاجون الى الدراسة العلمية لقواعد الاوزان .
وقد حان لنا ان نحارب هذه النزعة الخجل في النقد
خاصة في هذه السنين التي تعرض الشعر خلالها الى هزة
غير هينة بنشوء حركة الشعر الحر . وما دام الشعر الحر .
في اساسه دعوة الى تطوير الشكل ، ما دام يتناول الاوزان
والتشكيلات والقوافي ، فليس في امكاننا ان ننقده الا على
اساس موضوعي من علم العروض .

على ان دعوتنا الى العودة الى علم العروض ، ونفض الغبار
عنه من اعماق المكتبة العربية لا ترمي الى تقييم الشعر
الحر وتقويمه وحسب ، وانما نقصد بها ايضا الى ان نجد
للشعر الحر اصولا ارسخ تشده الى الشعر العربي القديم
وتضعه في مكانه من سلم التطور ، بحيث يقتنع القاريء
الموسوس بأن عمود الشعر لم يحطم على ايدينا واننا لا نقل
حرصا عليه من اي شاعر قديم مخلص . وسرعان ما
سنكتشف اننا نحتاج الى ان نطور الدراسات العروضية
توقف نموها منذ زمن ولم تلحق بسائر فروع العلوم
العربية . فقد تطور الشكل في الشعر العربي بحيث لم يعد
العروض القديم يكفينا لنقد الاشكال الجديدة التي نمست
اليوم ، وبات ضروريا ان يطور العروض نفسه ليواجه
الشعر . وانه لطبيعي تماما ان تظهر الانماط اولا ثم تعقبها
القواعد التي يقاس بها الفاسد منها ، وهذا لان « النمط »
خلق تندفع به طبيعة فنان تلهمه روح العصر ، واما القواعد
فهي مجرد استقراء واع .

وختما نعتذر الى القراء والشعراء عن اننا قصرنا البحث
على الناحية العروضية وبذلك اضعنا على انفسنا فرصة
ننعم فيها باللمسات الجميلة في هذه القصائد ونتناول
بالنقد الملامح الكثيرة الاخرى .

قصة للطالبة البخازي م. الكبرى باب زوجة : نقولا طويل



وهي ذات رقة ولطافة لا حد لهما .. وانا احبها كابنتي .. ومع ذلك فهناك شيء يؤرقني .. منذ خمس سنوات وهي تزين بيتي ، ولكني لم اسمع صوتها قط ... فهي تطيع التقاليد الابخازية القديمة التي تحظر على المرأة ان تتكلم امام « حميها » (عمها : والد الزوج) وبما انها قد حظيت بمحبتتي وعطفي ... اتمنى ان تشعر انها حرة ، امامي .. وان تتصرف في بيتي كابنة وليس كـ « كنة » . اني اشرب اذن نخب صحتها .. وارجو ، ان تتحقق اميتي .. وانتم ايها الجيران الاحياء ، والاقارب والاصدقاء ، دعوتكم لتطلبوا معي من « انتيتسا » ان تتكلم من الان فصاعدا ، امامي ... »

وافرغ كأسه .. في حين ارتفعت الاصوات المرحية حول الطاولة :
- فليكن كذلك ... نحن ايضا يا « انتيتسا » نرجوك .

كانت المرأة الشابة تجلس في ناحية منزوية ، فاحمر خداه ، وارتبكت ، ثم اطرقت وجهها الجميل ، المحاط بضفائر سوداء طويلة ، ارضا . وملا صاحب الدعوة كأسه ، وقدمها لجاره « ماهاز » ذي الرأس المكلل بالشعر والذي يحترمه الجميع . فاخذ « ماهاز » الكأس ، بتقدير واستدار نحو انتيتسا وخاطبها بهذه العبارات :

- « اني اقترب من سني الثماني والعشرين بعد المائة ، وافول لك الحقيقة : اني لم أر ولم اسمع ان في « ابخازيا » كنة معزة من عمها واصدقائها بهذه الصورة . ولكن كما يقول المثل عندنا « اي شيء لم نره قبل ان نموت » . ومهما يكن ، وبما ان « دجفوانات » الطيب الكريم قد تمنى ، فيجب التصديق ، بانك تستحقين ذلك . ومن الطبيعي ان انضم اليه واطلب اليك ان تتحدثي بعد الان امامه ، وان كان عمك .. نخب صحتك ! »

وتناقلت الايدي الكاس .. وكان كل واحد ، يعيد نفس الرجاء وهو يفرغ محتويات الكاس . ودامت الحفلة وقتا طويلا .. وعاد المدعوون الى بيوتهم في ساعة متأخرة من الليل ..

وفي صباح اليوم التالي نهض المجوز « دجفوانات » من سريره ، وبعد ان ارتدي ثيابه التقى بانتيتسا وهي تحلب البقرة :

- « صباح الخير يا جميلتي » هتف المجوز ، وقد نفذ صبره ، ليستمع الى جرس صوتها . فاجابته :

- « صباح الخير .. صباح الخير ... »

ما هذا الجفاء ؟! كان في حديثها كبرياء . وقد تأكد له ذلك عندما تابعت تقول :

- « بدلا من ان تثرثر بلا طائل يمكنك ان تمسك البقرة .. الانراها تضايقني ؟! »

- « خمس سنوات من الصمت ، فيها الكفاية ، يا ابنتي ، واريد منك ان تتحدثي امامي . افعلي ذلك ، ارجوك ! »

قال المجوز « دجفوانات كوفه » لزوجته ابنة « تامشوغ » ، الشابة الفاتنة « انتيتسا » .

- « منذ خمس سنوات وانت تعيشين في بيتنا ، ومع ذلك فانا لم اسمع قط صوتك . لا بد وان يكون رخيما وحلوا مثلك . تكلمي اذن ، قل لي بضع كلمات على الاقل ! »

ولكن ليس من السهل اقتناع شابة ابخازية ان تمزق تقاليد الاسلاف التي تحظر على العروس « الكنة » ان تتحدث بوجود « حميها » (والد الزوج)

ذهب المجوز الى بيت جاره « ماهاز طاربا » وقال له :

- « انها لتقاليد خرقاء .. واني اعتقد انهم « بلهاء » هؤلاء الذين اوجدوها » .

- « اني لست من رأيك » ، اجاب الجار . « ان الذين تعنيهم ما كانوا يوما « بلهاء » .. وعدا ذلك ، فهناك تقاليد اخرى ليست اكثر قدما تمكنت من الوصول الى بفتك ، اذا تمسكت بها . »

وذكر « ماهاز » للمجوز « دجفوانات » ان امنية واضحة لعشرة اشخاص ، يرغبونها ، ويساندونها ، لا بد وان تلبى .

- « صحيح ! » ، اجاب المجوز ، مفتبطا .

وفي اليوم التالي ، ذبح عجلا ، وامر باحضار المشروبات والماكولات ، تكفي لاربعة اشخاص .

- « ولاية مناسبة ؟ » ، سألته ابنة .

فابتسم الاب ابتسامة غامضة وقال :

- « ستعرف ذلك قريبا » . ثم ذهب بنفسه لدعوة الجيران ، الاقرباء والاصدقاء . ومدت طاولة ضخمة ، بصعوبة ، في البيت الصغير . وعندما اوشك النهار ان ينتصف ، كان على الطاولة مأكولات ومشروبات من كل نوع . ثم توافد المدعوون ، الواحد اثر الآخر .

واجاب المجوز على همسات بعض المتطفلين الحشزين الذين ففدوا الصبر لمعرفة سبب حضورهم لهذه الوليمة الدسمة : (لاية مناسبة ؟ هل سيتزوج المجوز ثانية رغم بلوغه الثمانين ؟) ، بقوله :

- « مهلا ! ساوضح لكم السبب ، عندما نكمل حول الطاولة .. تفضلوا واجلسوا . »

وحينما ابتدأوا ياكلون ويشربون ، وقف المجوز « دجفوانات » وفي يده كأس وقال :

- « ايها الاصدقاء الاعزاء .. لقد حان الوقت لاشرح لكم لماذا دعوتكم اليوم . انكم تعرفون جميعا « كنتي » انتيتسا . ان عينيها تلمعان كنجمتين

أعظم ماخرجه

المطابع لعام ١٩٥٨

ما من شك في ان رجال القلم في لبنان ، وفي الاقطار العربية ، يعرفون منزلة (الليالي) من التاريخ العربي . وعنايتها بنشر هذا التاريخ بالاسلوب الروائي الجذاب الساحر الذي ذهب له في البلاد ذكر . ان روايات (الليالي) التي تشتمل على تاريخ دول العرب في هذا الشرق قبل الاسلام وبعده ، وعلى ما جرى فيها من سياسة وبطولة وفتح وغرام ... ان هذه الروايات تحف رائعة خالدة في عالم الادب والقصة وقد شهدت لها الاقلام الراقية في طول البلاد وعرضها انها بعيدة الاثر في التاريخ والبيان والانشاء السهل ، وقالوا عنها انها اعظم وأجمل وأشهى ما كتبه اقلام الروائيين والمؤرخين ، ان الاستاذ الكبير اميل حبشي الاشقر وهو صاحب مدرسة القصة الحديثة ، واضع هذه الروايات هو من كبار المؤرخين والادباء والروائيين وقد كانت ثمار قلمه هذه المجموعات الكبيرة التي نقرأ

١	الحارث الاكبر	٨	اليتيمة الساحرة
٢	النعمان الثالث ملك العراق	٩	فتاة الشام
٣	زينب ملكة تدمر	١٠	عمر وام كلثوم
٤	حسناء الحجاز	١١	العاشق المجنون
٥	بليقيس ملكة اليمن	١٢	السفاح والمنصور
٦	ملك الانباط	١٣	اسد وكوثر
٧	هند والمنذر	١٤	الامير العاشق

دار الاندلس

للطباعة والتوزيع والنشر - بيروت

هذه الروايات تزف البشري الى رجال العلم والمفكرين وعشاق الفن الروائي البديع ... والتاريخ ، ان هذه الروايات هي اليوم على الالة الطباعة وسنتشر قريباً جداً في الامه وسيرى العرب في كل مكان ان الخدمة التي اسداها المؤلف الى كل عربي هي اجل خدمة يسديها اديب

كان الصوت حاداً ، قاسياً . ماذا ؟! أهكذا تتكلم الجميلة أنتيتسا ؟! ان المعجوز لم يستطع ان يصدق اذنيه ! فاقرب ليمسك البقرة التي كانت لا تتحرك ولا تضيق احداً .. ثم سألها عن ابنه : - « ناشوغ ؟ »
- « وهل اعرف انا اين يكون ؟ ان لديه اكثر من ستة وثلاثين شغلاً .. وليس مثلك لا تفعل شيئاً سوى تقليب ابهامك .. »
- « ماذا جرى لك يا ابنتي ؟ » سألها المعجوز بصوت فيه تردد ..
« هل هناك ما يقلقك ؟ هل تشعرون بمرض ؟ من اين لك هذا المزاج الخبيث ؟! »

- اني في صحتي الكاملة ، ولست مثلك تقضي حياتك بدون ان تشغل فكري ..

ورجع المعجوز الى غرفته حسباً ، واستلقى فوق سريره متسائلاً عن السبب الذي استطاع ان يبدل اطباع أنتيتسا .. عن سبب هذا التحول في ليلة واحدة ... ولكن صوت « كتنه » الهادر في باحة الدار اوقفه عن تأملاته : - « كسول ، يلتذ بالراحة والنوم طول النهار »!
وبعد لحظة بدت عند العتبة وقالت له :

- « ألم « تعرف » بعد من الحياة التي تعيشها ؟ »

لقد « طفح الكيل » . فقفز المعجوز من السرير ، متناسياً ممرض « الروماتيزم » الذي يعانيه ، وارتدى « بشليكه » وخرج الى الشارع ، تلاحقه « كتنه » بصراخها الواخن . وتاه طوال يومه في الحقول ، وزار جيرانه الاكثر بعداً ، ولم يرجع الى البيت الا مع هبوط الظلام .. وقبل ان يضمه الفراش قال لابنته :

- « يا ناشوغ . اني اشعر جيداً ان حياتي الباقية اقصر مما اتصور ... وغداً سأجمع ثمانية اصدقائي . لقد بقي لي عجل واحد . لنذبحه . وهي مع زوجتك « أنتيتسا » الطعام ، ريثما اقوم بالدعوة . هل انت موافق ؟ »
- « طبعاً » ، اجاب الابن بسرور . اني موافق على اقامة الولائم .

وفي اليوم التالي ذبح العجل وجهز الاكل . وتحلق المدعوون - مدعوو الوليمة الماضية انفسهم - حول الطاولة . وعندما فرغت بعض الكؤوس نهض صاحب الدعوة ، وفي يده كأس مملوءة بالنبيذ ، وخاطب المدعوين بهذه العبارات :

- « ايها الاصدقاء الاعزاء ! لقد انصرم يومان ، في اجتماعنا حول هذه الطاولة ، على طلبنا الملحاح من أنتيتسا-كنتي الجميلة - لكي تتكلم امامي . وقد امتثلت لما طلبناه منها . ويوم امس اكتفيت من صوتها واحاديثها . واذا كنت قد دعوتكم اليوم فذلك لتتوجهوا اليها ، معي . والذي اطلبه منها ، حالياً ، الذي سستطلبونه منها ، معي ، كما امل - هو العودة الى التمسك بتقاليد الاسلاف التي تفرض على الكنة ان تلتزم الصمت امام عمها . « فقال « ماهاز » :

- « لقد كنت على حق اذن عندما قلت ان الذين اوجدوا هذه التقاليد لم يكونوا « بلهاء » !
- « بكل تأكيد ! » هتف المعجوز « دجفوانات كوفه » .. « لقد كانوا حكماً ! »

وقال ماهاز بهدوء ، محاولاً ان يخفي ضحكة ساخرة :

- « وكان عليك .. لتدرك هذه الحكمة ، ان تذبح عجولين ! »

ترجمة : نقولا طويل

الأبحاث

بقلم سامي الدروبي

مؤتمراً الادبي الثالث

للدكتور سهيل ادريس

« اذن ، فقد كان اختيار موضوع المؤتمر « الادب والقومية العربية » بعيداً عن الاقتسار والاختلاق ، والحق ان الاحداث والتطورات في شتى ميادين الحياة كانت تفرض هذا الموضوع فرضاً ، ولم يفعل الادباء اذ تطارحوه للبحث الا ان يستجيبوا لرسالتهم التي تنبع من اعماق ذواتهم ، وتتأبى على الفرض والابتسار . »

هذا ما قاله الدكتور سهيل ادريس في تقديمه للعدد الماضي من الادب ، الذي وقفه كله او جلّه على المؤتمر الثالث للادباء العرب .

وهو قول حق . حتى لقد تساءلت غير مرة : اكان يمكن ان يختار الادباء لمؤتمرهم غير هذا الموضوع اذا كانوا يعيشون في الزمان ، ويستجيبون لرسالتهم ، ويتفاعلون مع الاحداث متأثرين ومؤثرين ؟

غير ان موضوع « الادب والقومية العربية » كثير الوجوه متعدد الجوانب ، واذا كان اختياره اطاراً عاماً لما يلقي في المؤتمر من احاديث ، ولما يدور فيه من مناقشات امراً يتفق وطبائع الاشياء ، ولا يشتمل على شيء من قسر او افتعال ، فان تقسيم هذا الاطار الى اربعة قطاعات « الشعر والقومية العربية » ، و « النثر والقومية العربية » ، و « النقد والقومية العربية » ، و « حماية الاديوب والقومية العربية » ، لا يراعي المفاصل العضوية في الموضوع ، ولا يفك عناصره الطبيعية فكاً هيناً لينا ، بل هو يكسره كسراً على نحو ما يفعل الخطاب . واذا كان جان بول سارتر قد فرق في محاضرة له عن « مسؤولية الكاتب » تفريقاً حاسماً بين الشعر والنثر من حيث المسؤولية الاجتماعية ، واذا كان قد ذهب الى ان الشعر لا يهدف الى شيء آخر غير تلك المزاوجة بين الالفاظ بالقوافي على جمال وغناء ، والى ان النثر الصق بمجرى الحياة تأثيراً واعظماً تبعة ، فذلك رأي خاص بجان بول سارتر قد يصدق على الشعر العربي ، لان للشعر في ادبنا العربي وفي امتنا الشعر العربي ، لان الشعر في ادبنا العربي وفي امتنا العربية شأننا ليس له مثله في الادب الاخرى وفي الامم الاخرى ، وهو يحمل من التبعات في حياة الامة العربية

منذ ان كان الشاعر في الجاهلية لسان القبيلة ، الى يومنا هذا الذي يشهد وثبة شعرية تعكس وثبة الامة العربية وتغذيها وتذكّنها في الوقت نفسه ما لا يحمله الشعر في حياة امة اخرى .

اذن لقد كان التفريق بين شعر ونثر ونقد في الحدث عن القومية العربية ، تفريقاً مصطنعاً ، ولا عجب بعد هذا ان رأينا جميع المحاضرين الذين نيط بهم امر الحديث عن « الشعر والقومية العربية » او عن « النثر والقومية العربية » ، او عن « النقد والقومية العربية » يتحدثون عن الادب عامة والقومية العربية .

ولو كان هدف هذا المؤتمر هو اعداد دراسات اكايدمية عن الدور الذي لعبه الادب العربي في حياة الامة العربية ، لغفرتنا ذلك التوزيع المفتعل الذي يلاحظ في كل تقسيم مدرسي ، والذي يقصد الى تيسير الدراسة وتسهيل الغرض . اما وأن المؤتمر قد انعقد لينتهي الى قرارات والى توصيات في شؤون بعينها من شؤون ادبنا العربي الحديث . فلقد كان ينبغي توزيع الموضوعات الفرعية توزيعاً يجعل هذه الشؤون الخاصة هي مدار الحديث .

ولست اقيم نفسي مكتباً دائماً لمؤتمر الادباء حتى اتولى في هذا الحديث السريع المهمة التي كان ينبغي ان ينهض بها المكتب الدائم من حيث تعيين البحوث الفرعية ، ولكن هناك عدداً من المسائل كانت في خاطر معظم الادباء المشتركين في المؤتمر ، وكان ينتظر ان تثار وأن تناقش وان ينتهي فيها الى توصيات . من ذلك مثلاً مشكلة العامية والفصحى في ادبنا الحديث ، وهي من اخطر المشكلات التي تثيرها العلاقة بين « الادب والقومية العربية » . ولئن حرص اكثر المؤتمرين على ان لا تدور المناقشات الا بالفصحى ، ولئن كان هذا كله يحمل معنى اقرار الفصحى وابعاد العامية فلقد كان ينبغي ان تفرد لهذه المسألة محاضرة برمتها تعرض لجوانبها المختلفة ، وتبسط ما للفصحى وما عليها ، وتنتهي الى رأي مدروس تدعمه الحجة .

ومن الموضوعات التي كان ينبغي ان تفرد لها محاضرات بكاملها ، وأن تكون عناوينها موحية بمضامينها محددة لخطتها وخطوطها ، موضوع الدور الذي قام به الادب العربي الحديث في معركة الامة العربية الراهنة ضد الاستعمار والاقطاع والتأخر ، والدور الذي يجب ان يقوم به .

ولقد تضمنت توصيات المؤتمر « رعاية حركة الترجمة وعونها المادي والادبي والمعنوي حتى تكون سبيلاً لتعزيز النتاج الادبي وانماؤه ، والتفاعل بين الادب العربي والادب

شعراء وناثرين ونقّدة ، ان يتحسّسوا قضايا امّتهم العربية ، وان يدكوا صوّبتها الى الحرية والوحدة والعدالة الاجتماعية والاّخاء بين الشعوب والسلام في الارض وهذه اهاية نبيلة ما احسب اديبا من ادباء العرب يرفض ان يستجيب لها ، بل ما احسب ان هناك اديبا واحدا من ادباء العرب الا سمع نداءها في ذات نفسه ، فحتى اشد شعرائنا وادبائنا اغراقا في الذاتية ، واغراقا في الدفاع عن نظرية الفن للفن ، واغراقا في النفرة مما يسمونه بالادب الواعظ المباشر ، او الادب الداعية ، قد انتقلوا بأجنحة خيالهم وبجوانحهم وأفئدتهم الى بور سعيد ، واحسوا جراحاتها جراحات في اكبادهم . وخاضوا المعركة بلهواتهم واقلامهم مثلما خاضها غيرهم بينادقهم ، فقرأنا ابان المعركة شعرا قوميا لعله من احسن ما قالوا من شعر لا لان موضوعه يمس من نفوسنا اوتارنا حساسة فحسب ، بل لانه بلغ في فنيته ذروة من الدرى »

« على انني وانا اصفق لتلك الالهابة المستجابة احب ان تضم توصيات المؤتمر اهاية اخرى ، اهاية بنفر معين من الادباء كأن صدرهم يضيق بكل ادب غير ادب النضال ، ويعدونه لهوا بينما العدو على الابواب ، او يعدونه ترفا بينما الحاجة الى الخبز . . . او يعدونه خطرا على الامة العربية لانه يصرفها عن قضاياها الحيوية ، ويشيع فيها الانحلال . فليت هذا الفريق من الادباء لا يضيق صدره بالوان من الادب غير التي يكتب ، ولا يسرف في الخوف على القومية العربية من قصيدة يغني بها شاعر درامة نفسه . ليتهم لا يشفقون على القومية العربية اشفاقهم على زجاج يوشك ان ينكسر متى مس ولو بوردة ، او اشفاقهم على شعلة ذابلة خاوية تهم ان تنطفئ متى هبت عليها نسمة طرية . فالقومية العربية أشد بأسا من ان يغيرها انصراف شاعر الى التأمل في قوس قزح . بل ان هذا كله لما يشد من ازر القومية العربية ، اذ يثري نفوس ابنائها ، ويفجر طاقاتهم ، ويرفعهم من موطن الى موطن في الثقافة كما قال الدكتور طه حسين . وقد تساءلت غير مرة اثناء كلام عدد من المتكلمين فوق هذا المنبر : ترى لو كان بيننا الان شاعر كعمر الخيام لا يزيد ان يغني الشك والقلق والانحلال والغيوبة والعدم ، اما كان بعضنا يقوم له بالعصي وبالحجارة ، او بالالسنه الحداد والحلوق العراض في أقل تقدير . ومع ذلك ، ايها السيدات والسادة ، فان عمر الخيام شيء ثمين في القومية الفارسية ، تزهو به على الدنيا ، كما يمكن ان نزهو نحن بشاعر كآبي نواس وأضرابه . »

وتساءلت في نهاية الكلمة : ترى هل تشتمل توصيات المؤتمر على اهاية ببعضنا ان لا يضيق ذرعا بغير ما يحب من الوان القول ، وهل ننتهي الى ما انتهى اليه غيرنا من الامم ، الصين الشعبية مثلا ، من ان الادب بستان يجب ان تنبت فيه جميع الازهار ؟

ولكن التوصيات لا تشير الى شيء من ذلك ، مع انه كان رغبة عدد كبير جدا من المؤتمرين .

العالمية » ، فهل حدثنا احد من المحاضرين حديثا واعيا شاملا عن حاجة الادب العربي الى الاعتراف من مناهل الاداب العالمية ، وعن حدود هذه الحاجة ، وعن ضرورة تنظيم حركة الترجمة على النحو الذي تشير اليه التوصية ؟ . . . ولست ادري يعد ذلك لماذا تشتمل التوصيات على عناية بالترجمة من اللغات الاجنبية الى اللغة العربية ، ولا تشتمل على عناية بالترجمة من العربية الى غيرها من اللغات ، مع ان تعريف الاجانب بترائنا العربي ، وبأدبنا المعاصر ، يسهم في رفع شأننا وفي لفت النظر الى نضالنا وفي اجتذاب العطف على حركتنا التحررية . . . ومثل هذا تفعل جميع الامم التي تحررت من ربقة الاستعمار ، فاذا العالم يعرف ان لها ادبا كان الاستعمار يحصر على ان يظل مجهولا . اما كان ينبغي ان تفرد لهذا الموضوع محاضرة ، وان ينتهي فيه الى توصية ؟ ام يظن المكتب الدائم ان مثل هذا الامر لا علاقة له بموضوع « الادب والقومية العربية » ؟ !

ومن آيات الانفصال ايضا بين المحاضرات والمناقشات من جهة ، وبين التوصيات من جهة اخرى ان تشتمل التوصيات على العناية بأدب الاطفال ، بينما لم نسمع كلمة واحدة في هذا الموضوع على كثرة ما سمعنا من كلام ، رغم صلتها الوثيقة بنهضتنا القومية العربية ، من حيث ان ادب الاطفال يسهم في تكوين الشخصية العربية ، ويمكن ان يرضع هؤلاء الاطفال حب القومية العربية ، وان يعرفهم بأمتهم ، وان ينمي فيهم سجاياها وان يعلمهم الفداء والتضحية فسي سبيلها .

الحق ان اكثر التوصيات التي انتهى اليها المؤتمر ، او قل انتهت اليها لجنة الصياغة ، لا تمت الى المحاضرات التي القيت ونوقشت بكبير صلة .

ثم ان بعض الامور التي عولجت ونوقشت في المؤتمر لم تتعرض لها التوصيات من قريب ولا بعيد . من ذلك مثلا ان بعض الفلاة من القائلين بالادب الهادف قد حملوا عددا من المؤتمرين ، وعلى رأسهم الدكتور طه حسين على ان يطالبوهم بالتخفيف من غلوائهم ، وبأن « لا يضيقوا على انفسهم حيث وسع الله علينا » ، وان يصدقوا ان « كل من كتب فأحسن الكتابة ونفع قراءه من العرب ورفعهم من موطن الى موطن ، ومن مكان في المعرفة الى مكان آخر ، فهو يغذو القومية العربية » (الكلام للدكتور طه حسين ، ومن يراجع محاضر الجلسات يجد انه قد قبل بتصفيق حاد) ، ولكن التوصيات لم تشتمل على شيء يحمل هذا المعنى . ولقد قال الاستاذ محمود المسعدي كلاما من هذا القبيل ، اسميته في تعقيب قصير على حديثه بقولي : انه دعوة الى حماية الاديب من الاديب ، وطالبت بأن تشتمل توصيات المؤتمر على شيء من ذلك قائلا (النص منقول من محضر الجلسة) :

« سينتهي مؤتمرنا هذا الى مقررات والى توصيات ، واغلب ظني ان هذه التوصيات ستضم اهاية بالادباء العرب

كل هذا يوضح الانفصال بين المحاضرات والمناقشات من جهة ، وبين التوصيات من جهة أخرى ، والمفروض ان تنبع التوصيات من المناقشات . وما سبب هذا النقص الا سوء توزيع الموضوعات الفرعية .

ولئن كانت التوصيات تحظى بالقبول من جميع المؤتمرين على كل حال ، فما أظن ان جميع المحاضرات قد حظيت بمثل ذلك او بشيء منه .

وهنا اصل الى المآخذ الاساسي الثاني الذي آخذه على تنظيم المؤتمر واعداده . لقد ظن المكتب الدائم ان من الضروري ان تشترك وفود جميع الدول العربية في اعداد المحاضرات ، والرأي عندي ان توزيع المحاضرات على المحاضرين يجب ان لا يقوم على اساس الاقطار ، بل على اساس الكفايات الادبية والثقافية ، حتى ولو اقتضى ذلك ان يكون جميع المحاضرين من قطر واحد او عدد قليل من الاقطار ... وباب المناقشة بعد ذلك مفتوح على مصراعيه لمن يشاء من هنا ومن هناك .

ويقول الدكتور سهيل ادريس في تقديمه للعدد الماضي من الاداب : « واذا لم نستطع ان ندرج في هذا العدد جميع ما لقي في مؤتمر الادباء من محاضرات ، فاننا قد نشرنا بالإضافة الى أهم المحاضرات تلخيصا وافيا لجميع وقائعها . ترى هل اكتفى محرر «الاداب» بنشر بعض المحاضرات دون بعضها الآخر لضيق المجال ، ام لانه لا يرضى لمجلته ان تهبط الى مستوى بعض ما لقي من خطب ؟ ولست ألوم من كان يترك القاعة اثناء انهماك الخطيب في القاء خطابه ... فبعض الناس لا يملك من القدرة على احتمال الهراء مثل ما يملك بعضهم الآخر .

ولا شك ان من اسباب ضعف بعض المحاضرات ان الذين عهد اليهم باعدادها لم يعرفوا انهم سيكونون في المتحدثين الا اثناء انعقاد المؤتمر ، فلا عجب ان تأتي احاديثهم فجأة مبتسرة . وهذا مأخذ ثالث ناخذه على المكتب الدائم .

وقد رد الدكتور سهيل ادريس على من يتساءلون باخلاص او بخبث : هل كان المؤتمر ناجحا ؟ رد بقوله : « نحن نعتقد ان كل مؤتمر ادبي ناجح ، سواء انفذت توصياته ام لم تنفذ » .

ونحن نوافق الكاتب كل الموافقة على ان نجاح امثال هذه المؤتمرات لا يقاس بمقدار ما تصيبه توصياته من نجاح في التنفيذ فحسب ، بل يقاس ايضا بمقدار ما يثير في نفوس المؤتمرين من مشكلات ، وبمقدار ما يشعرهم بأنهم افادوا منه ، وبمقدار ما يلهمهم ويحرضهم ويشيع فيهم الحرارة والايمان ... وما اظن انني اجافي الحقيقة اذا قلت ان حظ المؤتمر لم يكن حظا كبيرا .

واذا كان من اهداف مثل هذا المؤتمر ايضا ان يتعارف الادباء . وان تنعقد بينهم صلات الصداقة ، وان يتبادلوا الرأي في جو مضمخ بعطر المحبة ، فان المؤتمر الثالث

لم يف بهذا الغرض كل الوفاء . واغلب ظني ان عقده في مدينة « القاهرة » هو المسؤول عن ذلك ، فلقد كان الادباء لا يلتقون للحديث والمناقشة الا ساعتين وبعض ساعة في المساء ، اما فيما عدا ذلك من ساعات النهار والليل ، فلقد كانت المدينة الكبيرة تمتصهم وتشردهم : لقد فتنهم عمناء جاءوا من اجله ، وأذهبتهم في رحابها وثناياها كل مذهب . ومن هذه الناحية استطيع ان اقول ان مؤتمر بلودان كان انجح من مؤتمر القاهرة ، فلقد قام الادباء هناك على قمة الجبل الجميل في مكان واحد ، لا يصل اليهم ما قد يذهلهم عن غايتهم من اصوات ، ولا يفترقون في صباح ولا مساء ولا ليل ، يستمعون في الصباح الى المحاضرات ، وينصبون على مناقشة المحاضرات عند الاصيل على هون من سعة الوقت وصفاء جو الشفق ، حتى اذا جاء الليل تجمعوا حلقات متنقلة العناصر نشيطة الحركة يتناشدون الشعر ، ويقص بعضهم على بعض ، ويناقش بعضهم بعضا ، ويقوم بينهم من اسباب التعارف والود ما هو هدف اساسي من اهداف امثال هذه المؤتمرات . وليت المؤتمر الثالث قد عقد في فندق بأسوان في هذا الفصل الجميل من فصول السنة هناك ، اذن لوفى بذلك الغرض وفاء اكمل . وكلمة اخيرة تتصل بتشكيل الوفود . لقد ادرك جميع الناس ان هناك ادباء كان يجب ان تضمهم الوفود « الرسمية » ، وما ضمتهم ، وان بين اعضاء هذه الوفود من ليس له من النشاط الادبي ما يؤهله لان يمثل بلده في المؤتمر . ولا احب ان اتعرض لجميع الوفود ، وحسبي ان اقول كلمة في الوفد السوري . لقد تساءلت وتساءل كثير من المؤتمرين : اين سليمان العيسى الشاعر الذي سيقول التاريخ انه كان شاعر القومية العربية في عصر ابنائها ؟ واين امجد الطرابلسي ، واين وصفي القرنفلي ، واين نزار القباني وغيرهم من فحول شعراء سوريا ؟ ام هل يظن بعضهم ان الانسان يصبح ادبيا بقرار وزاري ، ب « فرمان » من السلطان ؟!

٢ - الادباء هم بناء القومية العربية

للدكتور طه حسين

الفكرة الاساسية التي يمكن ان تحمل شوارد المحاضرة على الالتقاء عندها ، هي ان الادب العربي الذي كان قبل الاسلام يجمع اشتات القبائل المتفرقة على صعيد الاحتفال بالشعر وذوقه وفهمه ، والذي وحد الامة العربية حول الاسلام بالقرآن العربي المبين ، والذي مكن للعرب ان يفزوا العالم لا بقوة السيف وحدها بل بقوة هذه اللغة العربية التي فرضت نفسها على العقول واصبحت لغة العلم ولغة المخاطبة في كل ارض حلت بها ، ان هذا الادب نفسه هو الذي يجمع ابناء العروبة اليوم تحت راية القومية العربية رغم تباعد الاقطار واختلاف الوان الحكم وتفاوت درجات الثقافة ... وخلق بالادباء اذن ان يعدوا انفسهم ببناء

الاول فهو كلامه على قوميتين عربيتين ، احدهما تحررية
تطورية والاخرى رجعية جامدة متحجرة . والحق ان هناك
مذهبين يحاولان ان يتشبها بالقومية العربية التي هي واقع
حي ، احدهما لا يناسبها ولا ينسج من حاجاتها ولا يتجاوب
مع انطلاقها ولا تستطيع ان تعترف له ببئوتها ، والاخر
ينحدر من صلبها ويعبر عنها ويُميل اتجاهها الى امام ويصور
طاقات تفجرها المبدعة .

واما الالتباس الثاني فهو تصويره ان النقد الادبي الذي
يخدم القومية العربية لا يمكن ان توضع قواعده وان تتضح
مقاييسه قبل نشوء فلسفة عربية تسلط اضواؤها على
جميع مشكلات الفكر الانساني : الاخلاق ، المعرفة ، الحق ،
العدالة ، الموت ، القدر ، الخلود ، العزاء ، الالم ، الحب ،
الحقد ، الجمال ، الدين ، الانسانية ، قيمة الشخص
الانساني، حتى اذا نشأت تلك الفلسفة العربية ذات المعالم
الواضحة والمواقف المحددة ، صار في وسع الناقد ان يقيم
الانار الفنية على اساس النظرية الفلسفية . واعتقد ان في
تصور الاستاذ رثيف الخوري كثيرا من البساطة في النظر
الى الامور ، حتى ليتخيل انه سيكون للامة العربية
ميتافيزيقا واحدة ، وأن القومية العربية رهن بوجود هذه
الميتافيزيقا الواحدة ، مع ان النفس العربية الغنية الجوانب
الكثيرة الاتجاهات يمكن ان تفيض بألوان من المواقف
المختلفة تجاه المشكلات التي عددها ، دون ان يغير ذلك
وحدتها الحتمية ، ودون ان يجردها من شيء من مقوماتها .
وقد استعرض الاستاذ رثيف الخوري بعد ذلك عددا من
الآراء التي « اصبحت تأخذ بها مناهج النقد الحديث عندنا »
ففند هذه الآراء تفنيد استاذ قدير ألم بأطراف موضوعه ،
وعاش التجارب المتصلة به ، وتسلح لمعالجته بثقافة رصينة
وفكر قوي . ولكننا نستطيع ان نأخذ عليه شيئا من عدم
الدقة في عرض بعض الآراء التي تناولها بالمناقشة . من
ذلك مثلا قوله ان هناك من النقاد من يذهب الى ان العمل
الادبي عمل فني محض ، اي انه لا اخلاقي ، وبكاد سياق
حديث الاستاذ رثيف يوههم بأن أولئك النقاد يدعون الى
التحلل الاخلاقي في اللغة ، مع ان احدا لم يذهب الى شيء
من ذلك ، وان وصف العمل الفني بأنه Amoral بمعنى انه
لا شأن له بالاخلاق ، لا بمعنى انه مناف للاخلاق Immoral
وشتان بين الامرين . فالعمل الادبي يمكن ان ننظر اليه
من ناحيتين اثنتين ، ناحية فنية لا شأن لها بالاخلاق ننهي
بها الى الحكم عليه بأنه جميل او غير جميل بغض النظر عن
اخلاقيته ، وناحية اخلاقية لا شأن لها بالفن ننهي بها الى
الحكم عليه بأنه نبيل او غير نبيل بغض النظر عن فنيته .
ولا تعارض بين الناحيتين .

ه - قضايا النقد الحديث

للدكتورة سهير قلماوي

الموضوع الذي كان ينبغي ان يدور حوله حديث الدكتورة
سهير قلماوي هو «النقد والقومية العربية» . ونحاول ان
نستخرج من الحديث خطوطه الكبرى او فكرته الموجهة ،
فما نظفر الا بمجموعة مختلطة من الافكار والمعلومات

القومية العربية منذ وعت ذاتها قبيل الاسلام ، الى ان
بصرها الاسلام بحقيقتها والى ان سار بها الاسلام في مشرق
الارض ومغربها ينشر النور والعلم والمحبة ، والى ان اخذت
تستيقظ اليوم على نداء حقيقتها فيعرف العرب انهم امة
واحدة ، ويناضلون من اجل تحررهم ووحدتهم وتقدمهم .
ولكن شوارد المحاضرة كانت تلتصق بهذا الخيط الذي
ينظمها حيناً، وتنفصل عنه احيانا حتى لكانها نسيتها فمات حفل به .
واذا كان الاعتراض على هذه الفكرة الاساسية لا يرد ببال
احد ، فان الاعتراض على بعض الشوارد قد جال في كل
خاطر . يقول الدكتور طه حسين : « ومن غريب الظواهر
الادبية التي تلاحظونها في حياة هذه القومية الجديدة التي
انشأها الاسلام ... ان الشعراء الذين استأثروا بالشعر
وامتازوا فيه واصبحوا هم السنة الامة العربية بمعناها
الجديد ، لم يكن منهم شاعر عربي خالص .. كان بعضهم
فارسيا ، وبعضهم نبطيا ، وبعضهم يونانيا ، ولم يكن منهم
شاعر عربي خالص وانما كانوا جميعا من هذه الامم التي
استعربت واعربت عن شعورها القديم وعن عقولها القديمة
وعن وجدانها القديم في الشعر ، الشعر العربي والعقل
العربي والوجدان العربي » .

فهل صحيح ان جميع الشعراء الذين استأثروا بالشعر
وامتازوا فيه كانوا من الفرس والنبط واليونان ؟ وهل
نفهم من هذا ان ابا العلاء والمتنبي وغيرهما من الشعراء
العرب لم يمتازوا في الشعر ولا يستحقون ان يعدوا في الشعراء ؟
ولا سبيل ، بعد ، الى احصاء جميع الشوارد ، ولسم
شمثها، والتعليق عليها، ودفع بعضها، في هذه الكلمة العجلى .

٣ - رسالة القومية العربية

للاستاذ فؤاد الشايب

ليست هذه المقالة الجميلة محاضرة من المحاضرات التي
القيت في المؤتمر ، وانما هي كلمة الوفد السوري القاها
رئيسه الاستاذ فؤاد الشايب ، نستشف فيها روحه الفنانة،
وثقافته الواسعة ، وفكره الجريء ، فنتحسر على الايام التي
كان فيها هذا الاديوب الموهوب صاحب قلم خصب ، قلم
كالسيف او امضى ، وكقوس قرح او اجمل . قال الراوي :
ان الاديوب قد غرق بعد ذلك في اعمال وظيفته ، ولكنه
يحن الان انه اوشك ان يفقد نفسه وان يفقده الادب ،
فعزم على ان يعود الى قلمه قبل فوات الاوان ... فقلنا :
عسى ... وان فيما تحمله الظروف على كتابته من صفحات
مشرقة من حين الى حين ليدل على ان الجدوة لم تنطفئ ،
وان تحت الرماد نارا ، فما هي الانفخة يسيرة ، فاذا الجمر
يتوهج مرة اخرى .

٤ - واجبات الناقد في خدمة القومية العربية

للاستاذ رثيف خوري

تحدث الاستاذ رثيف خوري عن القومية العربية حديثه عن
مذهب في القومية لا عن القومية العربية كواقع . وهذا ما
اوقعه في التباسين اثنين اضطر الى دفع احدهما في
هامش من هوامش مقالته ، واضطر الى توضيح الثاني اثناء
المؤتمر ردا على اعتراض احد المعارضين . فأما الالتباس

والملاحظات ، الصق بعضها ببعض ، فليس بينها رابطـة عفوية ، وليست تهدف الى تقرير رأي بعينه .
فهـي تذكر ان الفلاسفة والمصلحين الدينيين والخلقـيين والاجتماعيين والسياسيين قد حاولوا ان يملوا على الادب ما يجب ان يفعل ، ولكن الادب الحر لم يعبأ يوما بما يملـي عليه .
وهي تذكر ان مفهوم القومية العربية قد اختلط بمفاهيم كثيرة ، مفهوم الاسلام ، مفهوم الوطن الجغرافي ، مفهوم الثقافة الاسلامية ، الخ . .

وهي تقول ان الاديـب العربي ، شاعرا كان او قاصا او ناقدًا ، لم يحدد مفهوم القومية العربية ، وترجع ذلك الى هجوم النظريات الغربية الكثيرة على عقول مثقفينا ومحاولة تطبيق هذه النظريات قبل تفهمها ، فاذا نحن نتغنى ادبـا انسانيـا بينما الشرق رازح تحت أثقال كل ما هو انساني ، واذا نحن ننجرف في تيار رومانسي بينما لا شيء في الشرق الممزق المهذب يدعو الى التحليـق في سـماوات الحب والتعاطف الانساني .

وهي تذكر ان الذين دافعوا عن اللغة الفصحى اقاموا دفاعهم على اساس الدين لا على اساس الوحدة القومية .
وهي تلوم النقاد لانهم لم يبلوا بلاء حسنا في مناقشة نظرية تولستوي ! وتلوم شعراء المهجر على ان تجديدهم لم يـقم على اساس من درس او فحص يمكنان من رسم الطريق وتشوف المستقبل .

وهي توضح بعد ذلك الاسباب التي ساعدت على نشوء القصة في الغرب ، ونشوء القصة في ادبنا ، وتلوم كتاب القصة على انهم لم يكتبوا في مأساة فلسطين .
ثم هي تشيد اخيرا بإمكانيات الادب العربي الحديث ، وترحب بالمؤتمر الذي كان له فضل التلاقي الحبيب .
لقد حاولت ان اعرف ماذا تريد ان تقول الدكتورـة قلمـاوي ، فلم اظفر بشيء ، وفوق كل ذي علم عليم .

٦ - النقد والقومية العربية

للدكتور عبد الستار الجوّاري

في مقالة الدكتور عبد الستار الجوّاري فكرة رائدة واتجاه واضح ، وهذا ما يفتقر اليه عدد كبير من المحاضرات التي القيت في المؤتمر . ولكن اذا كان لا يؤخذ على مقالته التفكك والاستطراد . فانه يؤخذ عليه فرط التمذهب الذي يؤدي بصاحبه الى قسر الوقائع قسرا على تأييد وجهة نظره ، وتحميلها اكثر مما تحتمل . ان الفكرة الاساسية التي تدور حولها ملاحظاته كلها هي ان خصائص الادب العربي القديم تعكس سجايـا الامة العربية وفضائلها ، وأن الادب العربي قد دخلت عليه بعد ذلك اتجاهات لا تنبع من هذه السجايـا وهذه الفضائل ، وانما هي انحرافات ارادها له الشعوبيون للقضاء على الروح العربية الاصيلـة ، فاذا هو يصبح مرآة لهـو وعيب بعد ان كان ديوان مآثر وسجل مفاخر . . وكان صراع بين الاتجاه الشعبي المنحل ، وبين الخلق العربي النبيل ، في ميدان الادب ، انتهى الى غلبة الخير على الشر .

ويرى المحاضر ان القومية العربية تتعرض اليوم لمثل ذلك الصراع ، وان الادب العربي يستهدف اليوم لشعوبية من لون جديد تتمثل في استخفاف بعضهم بقيمة التراث العربي القديم ، وبدعوتهم الى الاغتراف من الثقافة الغربية على غير روية ، وبايثارهم العامة على الفصحى ، الخ . ولكن كما انتصر الحق على الباطل في الماضي ، فيستنصر عليه في المستقبل ، وسيخرج الادب العربي مرة اخرى محتفظا باصـالته ، معبرا عن روح الامة العربية ، ممثلا صوتها الى معاني الحق والخير، مذكيا نضالها في سبيل تحقيق مثلها العليا .

فالدكتور الجوّاري يعرف اذن ماذا يريد ان يقول ، وقد عبر عما يريد ان يقوله تعبيراً لا مجال فيه للبس او ابهام .
والحق ان كل تطرف يساعد على هذا الوضوح . ولكن الظرف المتمذهب يسهل انزلاق صاحبه الى اكراه الوقائع كما قلنا ، وهذا ما وقع فيه الدكتور الجوّاري ، والا فهل صحيح ان قواعد النقد الادبي التي وضعها امثال ابن قتيبة وابن سلام ثم المبرد كانت ردا واعيا على دعوة شعوبية بعينها ، وعلى اتجاه انحلاي بعينه ، وهل كان ظهور شعر اللهو والمجون محاولة مقصودة من جانب الشعوبية للقضاء على الروح العربية ، ام ان هناك عوامل خاصة حددت ظهوره وانتشاره على ذلك النطاق الواسع ؟ ثم هل يخاو هذا الشعر الذي يسفه كـله ، من قيمة انسانية ؟ . .

٧ - سياسة الكلمة في دولة التعبير

للدكتور سليم حيدر

هذه كلمة لبنان في الحفلة الافتتاحية للمؤتمر القاها رئيسه الدكتور سليم حيدر ، وهي عدا انها تمتاز بالروح الشعاعية ، قد وضعت النقاط فوق كثير من الحروف فيما اشتملت عليه من تساؤلات ذكية : « لماذا تكون اثاره الغرائز البهيمية فنا ، ويكون التعبير عن القيم الروحية والمثل العليا تبشيرا ؟ بل لماذا يكون وصف فرد او مأساة اسيرة عملا فنيا ، ويمتنع عن الفن وصف مأساة امة بأسرها ؟ »

لئن كانت فنية الاثر الفني لا شأن لها بموضوعه بل بجمال الاداء فيه ، فقد تضيف اخلاقية الموضوع في الاثر

زوروا

مكتبة هاشم

شارع سوريا - بيروت - تلفون ٢٦.٧٩

كتب ادبية - مدرسية - ادوات قرطاسية

مطبعة هاشم - شارع الاحب ، بيروت تلفون ٣٩.٠٦٢

مطبوعات تجارية - بطاقات للافراح

جمالاً الى جماله . لئن كانت دمامة الموضوع في اللوحة لا تنتقص من الجمال الفني فيها . فحري بجمال الموضوع ان لا ينتقص . على الاقل ، من جمال اللوحة .

٨ - حماية الاديب والقومية العربية

للاستاذ محمود السعدي

والاستاذ محمود السعدي يعرف ماذا يريد ان يقول معرفة واضحة ، وقد تسليح لعرض آرائه بثقافة لا تتوافر لكثير من كتابنا . والمحاضرة جزآن : اولهما محاولة لتحديد مفهوم القومية العربية ، وانتهاء من هذه المحاولة الى ان « العناصر » التي تتألق منها القومية العربية هي التفاف العرب حول التراث الذي حملته اللغة العربية ، واشتراك في المصالح الاقتصادية والسياسية والمقتضيات الاجتماعية للبلاد العربية ، وما في قلوب العرب جميعا من ارادة مشتركة في ان يكون لهم وجود جماعي واحد . وما كان للاستاذ السعدي ان يصدر محاضرته بهذا الجزء الذي استغرق نصفها تقريبا دون ان يكون من صلب الحديث عن «حماية الاديب والقومية العربية » لولا انه تصور ان عليه ان يحسم الجدل الكثير الذي قام حول تحديد مفهوم القومية العربية حين قصره بعضهم على وحدة المصالح الاقتصادية ، وحين ربطه بعضهم الآخر بالتراث الثقافي وحده ، وحين اراد له بعض ثالث ان يكون محض اشتراك طارئ في مكافحة الاستعمار ، الخ . ولا نحب ان نناقش الاستاذ السعدي رايه في « العناصر » التي تقوم بها القومية العربية ، اذا صح ان القومية العربية تتألف من « عناصر » تجمع له من هنا ومن هناك ، فهذا حديث يطول امره . ولكن لا بد لنا من انصاف الرجل من الهجوم الظالم الذي كان ضحيته في المؤتمر ، نتيجة لسوء الفهم مع خلوص النية لدى البعض ، ونتيجة للاغراض والتجني لدى البعض الاخر . فقد حسب بعضهم ان الاستاذ السعدي يدعو الى استقلال الاديب العربي عن القومية العربية ، وانصرافه الى ما هو فوق ذلك من صنع للجمال او من استشراف على المعاني الانسانية ، فسأله في غير رفق ولا لين : اذا كان هذا راياك فلماذا جئت الى هذا المؤتمر وانت تعرف ان موضوعه : « الادب والقومية العربية » ؟! وعندي ان ما قاله المحاضر لا يحتمل كل هذا الشطط في التأويل ، فكل ما هنالك انه اراد للاديب ان يكون « حرا » فيما تنصب عليه قريحته من موضوعات ، لا يحمل نفسه عليها حملا ، ولا يحمله احد عليها حملا ، فاذا « تفجرت قريحته تلقائيا بالقصيدة القومية الحماسية او بالمرحبة او القصة المجددة للقومية ولعظماء القومية » فقد قال ادبا صادقا يخدم القومية العربية خدمة مباشرة ، واذا انصرف قريحته الى « غير الموضوعات السياسية من القومية العربية » فقد قال ادبا صادقا يخدم القومية العربية ايضا خدمة غير مباشرة ، اذ « يغذي فكر ابناء الامة العربية ويزيد نظرتهم الى الوجود والى الحياة خصبا ووضوحا ، ويمرر امتياز الامة

العربية بخصائصها الفذة ، ويفرض وجودها على التاريخ فرضا . » فهل في هذا ما يفهم منه انه يدعو الى انفصال الاديب العربي عن القومية العربية ، وابعاد نفسه عن قضاياها ؟

وفريق آخر اقام عليه النكرو قال : هذه نعمة وجودية . . . واشهد أنني ما رأيت في المحاضرة من اولها الى آخرها ما يشعر بأن الرجل ينتمي الى المذهب الوجودي من قريب او بعيد ، اللهم الا ان يكون بعض الالتقاء في النظر الى بعض مشكلة الحرية بينه وبين ما تذهب اليه الوجودية دليلا قاطعا على انه وجودي من اخمص قدميه الى قمته رأسه ! وهبه كذلك فاية مسبة في هذا ؟

٩ - الحرية في خدمة القومية العربية

للدكتور جودة الركابي

ما اظن احدا يستطيع ان ينكر ان مقالة الدكتور جودة الركابي تكاد تكون الوحيدة بين سائر المقالات في التزام الموضوع الذي عقد المؤتمر من اجل التحدث فيه والتناقش حوله والانتهاء من التحدث فيه والتناقش حوله السلي قرارات وتوصيات ، اذ لم يغب عن باله لحظة انه لا يكتب محاضرة ما ، بل يكتب حديثا لمؤتمر يجب ان ينتهي الى قرارات وتوصيات بصدد ما يثيره من مشكلات . كل سطر من اسطر المقالة يدور حول الموضوع ويلتصق به ، ولا يرجع ذلك الى فقر فيما تشتمل عليه المقالة من ملاحظات وآراء بل يرجع الى وضوح فكري جعل الكثرة وحدة ، او قل جعل الكثرة شفافة فما تخفي وراء ركامها ما يترقرق فيها من وحدة . وليس يضير المقالة بعد ذلك ان تجيء عبارتها مجنحة ، وكأنها الشعر نصاره .

١٠ - الشعر تعبيرا ووظيفة في التراث العربي

للدكتور محيي الدين صابر

هاتان الصفحتان اللتان هما كل مقالة الدكتور محيي الدين صابر قد عرضتا لعدد كبير جدا من المشكلات التي تستحق كل منها ان يفرد لها مقال برمته ، ووراء كل جملة من جمل المقالة مطالعات واسعة وثقافة غنية . والذي يعنينا خاصة في هذا البحث الذي كان عنوانه في المؤتمر « الشعر والقومية العربية » ، ان الدكتور صابر قد استطاع ان يعبر تعبيرا ذكيا عن رايه في ان الصراع بين نظرية الفن للفن والفن للمجتمع صراع مصطنع ، وان المشكلة من اساسها مشكلة زائفة ، اي ليست بمشكلة اصلا . فهو يقول : « ليس في رأيي شيء من التناقض بين ما يدعيه اهل الفن للفن واهل الفن للمجتمع ، لاننا لو قدرنا ان الشعر يبدأ من الشاعر ، فالذي يتطور اساسا هو الشاعر لا الشعر ، فالشاعر اليوم كائن في مجتمع متعدد العلاقات غير الانسان الشاعر في مجتمع بدائي محدود العلاقات » . واذا كان الدكتور صابر لم يستنفذ كل ما يشتمل عليه ربط الشعر بالشاعر من فضح للاصطناع في كثير من

من المخضرمين الصراع بين التعصب للقديم والتطلع الى الجديد في الادب ، وعلى انه شارك في هذه المعركة بفكره وعاطفته وكان له فيها موقف معتدل يحمد له ، ولكنه لم يعيش الصراع الفكري الذي قام حول القومية العربية في امس بعيد وامس قريب ، والذي لا يزال نسمع ترجس اصدائه الخافتة في بعض ما نقرأ ، وان يكن صوت القومية العربية هو الذي يغلب الان ، لانه صوت الحق ينتصر في قلوب كتاب العرب وعقولهم يوما بعد يوم .

١٣ - نكبة فلسطين في ادبنا القومي

للاستاذ كامل السوافيري

في مقالة الاستاذ كامل السوافيري حرارة هي الى حماسة المراهقين اقرب . وقد اعلن في مطلع مقالته انه يريد ان يبين دور « ادب الخطبة والمقالة والكتاب ! » في ايقاظ الوعي العربي القومي . ولكنه لم يزد على ان ذكر عددا كبيرا من اسماء الكتاب الذين عنوا بالقضية القومية كل العناية او بعض العناية ، مستشهدا بفقرة من مقال للاستاذ احمد حسن الزيات ، وبفقرة اخرى من مقال للاستاذ عمر الدسوقي .

لقد وعدنا مطلع مقالته بدراسة في « الادب القومي » ، ولكن فقر المقالة يدل على انه لم يتبع هذا اللون من الادب ، ولعله لم يتبع الوان الادب الاخرى ايضا ، حتى لكأن جماع ثقافته الادبية عدد من الاسماء بقيت له من بعض القراءات وعدد من العبارات وقعت من نفسه المتحمسة موقعا حسنا . وانما الاعمال بالنيات .

سامي الدروبي

القاهرة

صدر حديثا :

السفوقية الناقصة

مجموعة قصص

بقلم

صباح محي الدين

دار الآداب - بيروت

المشكلات التي يحدث حولها الجدل ، واذا كان قد اكتفى من ذلك كله بالإشارة الى **تطور** الشعر ابتداء من الشاعر ، فلقد كان في وسعه ان يطل من هذا الافق الخصب على كثير من المسائل الاخرى ذات الصلة الوثيقة بما كان بسبيله مسن بحث في الشعر والقومية العربية . وأن يجعل ذلك منطلقه الى تبديد كثير من الشبهات .

١١ - لوحة الشعر العربي الحديث

للاستاذ ابراهيم العريض

كأنني بالاستاذ ابراهيم العريض ، اذ عهد اليه بالحديث عن الشعر والقومية العربية ، قد ظن ان عليه ان يتحدث عن القومية موضوعا مستقلا ، وعن الشعر موضوعا مستقلا آخر . وقد أعفى الاستاذ العريض نفسه من الكلام عن القومية العربية ، لانها « ليست موضع الخلاف من ناحية واقعنا العربي » وأخذ يتكلم في الشعر ، فتساءل اولاً : ما هو الادب ، وأجاب بقوله : هو مظهر من مظاهر احتفالننا بالحياة ، وبسط ما يعنيه بهذا التعريف . ثم وضع الشعر في موضعه من « دوحة الادب الكبرى » ، ثم بحث في الاسباب التي يرى انها جعلت الشعر ينحسر ويتقلص فسي عصرنا هذا ويترك بعض مكانه لالوان اخرى من الادب كالقصة وغيرها . ثم طرح مشكلة الشعر الحديث ، فأشاد ما أشاد به منه ، وعاب ما عابه فيه ، فتهيا الى رأي وسط ، داعيا الله ان يقينا شر المقلدين .

قد يكون كل ما قاله الاستاذ العريض صحيحا ، ولكننا تساءلنا : هل كان هذا الموضوع الذي سئل ان يتحدث فيه؟

١٢ - وثبة التحرر في ادبنا الحديث

للاستاذ محمود تيمور

ما تعلق من مقالة الاستاذ محمود تيمور بموقف الاديب من قضايا مجتمعه ، وما تعلق منها بالتوفيق بين حرية الاديب وفكرة الالتزام ، يدل على ان كاتبنا الكبير يصدر عن تجربة عاناها ثم غذاها بطول التفكير فيها .

ولكن فاتحة المقالة التي يتحدث فيها عن صراع شاهده مع ابناء جيله من المخضرمين من الادباء الذين يتعصبون للقومية العربية والادباء الذين ينتكرون لها ويثورون عليها ، تدل دلالة واضحة على انه يخلط خطأ فاحشا بين دعوة القومية العربية وبين نوع من التعصب الذميم والاكتفاء به والانتقاص من قيمة كل جديد يأتي من الغرب او ينبع في بلاد العرب نفسها . والحق ان القومية العربية ما ظهرت الدعوة اليها واضحة كل الوضوح الا على لسان كتاب ومفكرين تأثروا بالثقافة الغربية تأثرا عميقا وتجاوبوا مع ظهور القوميات في بلاد الغرب ابان القرن التاسع عشر تجاوبا قويا ، وليسوا ممن اوصدت نفوسهم دون التيارات الثقافية الحديثة .

فالصراع الذي قام حول القومية العربية لم يكن صراعا بين الادباء المحافظين والادباء المجددين كما يقول الاستاذ تيمور ، بل كان صراعا بين القومية العربية وبين دعوات اخرى كفكرة القومية الاقليمية ، او فكرة الرابطة الاسلامية ، او فكرة الاتجاه العالمي ، الخ .

ان مقالة الاستاذ تيمور تدل على انه عاش مع ابناء جيله



سافروا بطائرات
مشايكاوت
الى
طهران



توزيع آخر نشرات
روسترا الاخبار على
المسافرين في الطائرة.

السفر نهائياً وفي
أوقات مناسبة.

لاستعلامات ومجزات التذاكر اجمعوا وكلاء السفر او شركتي طيران الشرق الاوسط بيروت
- حساب ادريس - بنايتي عجمود - تلفون ٢١٢١٢/٣/٤/٥
- راس بيروت - بنايتي انكل سمار - تلفون ٢٣٩٣٩
- شارع احمد شوق - تجاه اوتيل باليم بيتش - تلفون ٤١٠٢٠
طيران الشرق الاوسط

معارض ومعارض...

جوائز الفن السنوية

كان المعرض السنوي الذي اعتادت مديرية الآثار السورية ان تقيمه في كل خريف حافلا هذا العام بالعدد الكبير من الاسماء المجهولة اكثرها، وبالعدد الكبير من اللوحات ، المبتدئة والضعيفة جلها . اي انه كسان معرضا كيميا الى اقصى درجة اهمل فيها كل عناية صحيحة بالجدارية والموهبة واهتم بملء الجدران بالالوان ، أية اللون ، وبالشكال ، أية اشكال، ما دامت ألوانا وأشكالاً ... كل هذا باسم تشجيع المبتدئين !... اننا نخطيء دائما عند ما ننازل عن القيمة الفنية المتعارف عليها عاليا باسم نسبية شروطنا الخاصة . وأما ان نتناسى كذلك أنه حتى المبتدئ يجب ان يكون فنانا فنانا غير متمرن على الاول - فاننا نكون قد اضعنا هذا الفارق بين ما هو فن وما هو ليس بفن .

ومع ذلك ، ورغم ان قسما كبيرا من اساندة الفن قد فاطموه ، فأنسه ما كان يخلو من الجمال والصدق احيانا . وكانت بعض اللوحات تبشر اصحابها بمستقبل باهر في عالم الابداع .

ولقد ميزت لوحة الاستاذ عبد العزيز نشواني التي تمثل ولدين في حال القراءة بواقعية غنية وصبر دقيق على انتقاء الالوان وتقسيم اللوحة وابرار نقابل الظل والنور بشكل اضفى على لوحته جوا عميقا منسجما . وهي اللوحة التي استلحت الجائزة الاولى لهذا العام .

وكذلك انتقى القيمون لوحة (ازهار) لزهير صبان ، ولوحة (طفل) لابراهيم هزيمه ، وهو فنان ناشئ بنطوي على امكانيات ثرة .

وافتتحت الجمعية السورية موسمها بعرض لثلاثة فنانين هم نصير شوري وعبد العزيز نشواني وميشيل كرشه . وهي طريقة جديدة للعرض تقتصر على عدد قليل من الفنانين مما يتيح فيها عرض جملة من اللوحات تساعد على حفظ شخصية الفنان لدى المتذوق والتعرف الى خصائصه والتمتع باكثر عدد ممكن من انتاجاته الجديدة .

وأما الفنان شوري فهو تابع مدرسته الجمالية في شغف اللون، وشاعرية الجو، والاضفاء الانساني على عمقية الصورة. ولا تبرز طريقته تلك بشكلها الامثل الا في لوحات الطبيعة كما في لوحة (فج معلولا) القرية التي كسفت روائعها الفنية الاستاذ شوري فصارت محجبا للناس ومنهلا له وللفنانين الاخرين . وتنوع عرضه هذه المرة بين موضوعات تاليفية واخرى رمزية .. وهذه الاخيرة تجربة جديدة للفنان يكشف فيها عن قدرات كامنة له في هذا الميدان ، ولكنها قدرات ليست في مستوى اختصاصه الاول .

وللأستاذ عبد العزيز نشواني لوحة حازت على اعجاب زوار المعرض هي (أبي) وتمثل شيخا من الجيل الماضي مستغرقا خلف نظارته في القراءة ، ولعلها قراءة دينية . وأقوى ما في هذه اللوحة العناية الفائقة بترسم وضع القارئ بهيبته وتواضعه وتعمقه الساذج ، وخشوعه امام

معاني الكتاب الذي نقرأ ، او لحمله الكتاب المقدس فقط ...

وعلى هذا فان موسم الرسم يبدو احفل حتى الان من موسم الادب فلقد نتابعت ثلاثة معارض في مدة وجيزة ، من معرض للفنان الجعفري الى معرض الدولة الى معرض الفنانين الثلاثة . وكل هذا يضيف على الحياة الثقافية جوا من الحياة والنشاط هو دائما عامل هام في تربية الحس الفني عند جمهورنا .



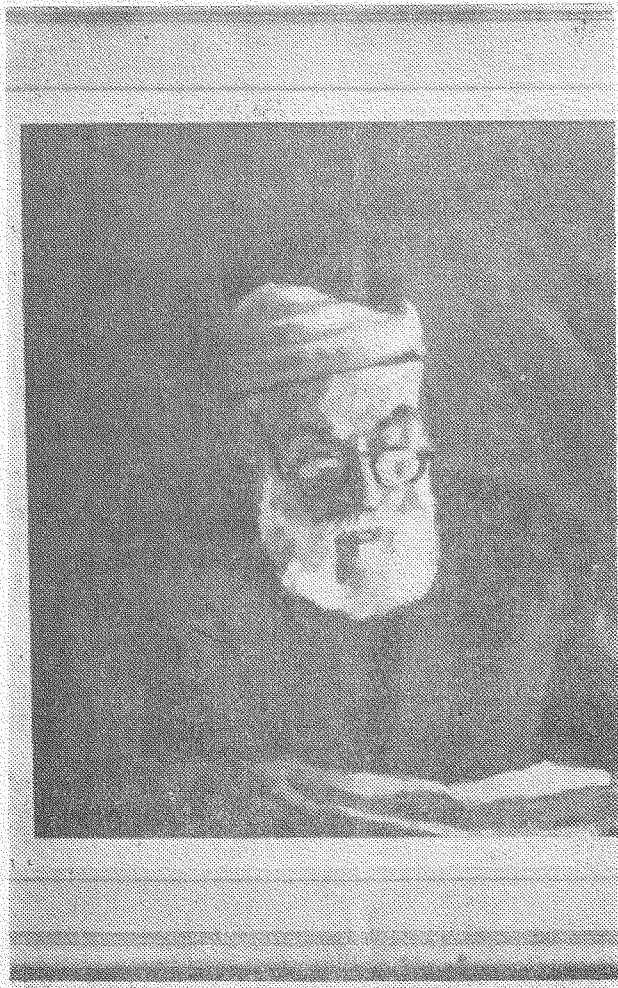
معرض الجعفري

افتتح موسم الخريف الفنان ناظم جعفري خلال الثلث الاخير من الشهر الماضي ، وذلك في بهو (الحلقة الاجتماعية لخريجي المعاهد العالية) . ولقد امتاز معرض الاستاذ جعفري بخصب في الانتاج وجدة مستمرة ونقدم في تركيز الطريقة .

ومن المعروف في الاوساط الثقافية بدمشق ان الاستاذ جعفري من اعرق الفنانين في بلادنا .. فلقد كانت له ابدا شخصيته الخاصة في كل ما ينتج ويقدم الى الجمهور المتذوق . وهو من الفنانين النادرين الذين استطاعوا ان يبرزوا في معركة النضال من اجل ابراز حياة فنية حقيقية . عاش منعزلا ، وأبدع منعزلا ، وحافظ على مثله الخاصة في هذه العزلة . ورغم انه قاسى من عزله تلك ، الا ان المشادات بينه وبين الفنانين كانت تخرجه بين الحين والآخر ، لتلقي به فجأة بين سمع الجمهور وأعينهم فنانا عميقا مناضلا من اجل ما يعتقد به في نفسه من القدرة والموهبة ،



المطالعة - لعبد العزيز نشواني



أبي - لعبد العزيز نشواتي

ان معنى اعتناء الفنان بالوجه الانساني هو تأنيس اللون ، هو جعل المادة الخارجية مفضحة عن روح داخلية . وبالقدر الذي تضيء فيه الالوان الخارجية للوجه فانما ينبغي ان تحافظ على اظلاله الداخل ، على الكهف الانساني المخفي وراء عيون ما وشفا ما وتتوء في الخدين، ورمحية في الانف ..

وهناك معنى اخص للعناية بوجه المرأة من دون بقية الوجوه للرجل او الطفل مثلا . ان في المرأة يتركز امل الفنان الباحث عن وحدة الجمال والمعنى معا .. عن الرشاقة والرمز ، عن التفتح والانغلاق معا ، عن كل الالوان الجميلة الحارة . وعن كل الالوان الغائمة المستترقة عند نقطة بعيدة لا تتناهي .

وهكذا يجذب المتذوق بالجمال الخارجي اولاً ، ثم يشعر ان شيئاً ما في اللوحة يقبه الى بعيد وعميق . ومن غير ان نمر باللوحة عابرين ، او منتشين بحيوية الالوان والجمال والانسجام ، فان للوجه خصوصيته تدعونا الى ان نقف ونأمل ، فهنا قلق انسان يتطلب منا الا نتذوق فقط ، وألا نفرح فرح اللون الظاهري ، بل ان نفهم ونتعاطف ونستجلي الشخصية من خلال موقف فريد انتقاء الفنان من سلسلة اوضاع في الحياة والواقع ، كانت حيادية متروكة لولا حساسية نظرتة وارادة القبض على النموذج وهو في ذروة نموذجيته الوجيهة .

ومن اجل ان يدفع بالتخرصات حوله ، ويعلن عن جدارته وقيم فنيته واصالته .

ولقد لاحظ المتذوقون في هذا المعرض غزارة الانتاج . فكثر صورته تعود الى العامين الاخيرين . كما شاهدوا كذلك تكاملاً في المنحني التعبيري للأسلوب الذي بدأه منذ ان عرف كفنان له مفاهيمه الذاتية فيما يبدع ويتنج ..

ان السيد جعفري يتركز غالباً حول هذا النوع الخصب العميق من الرسم وهو الوجوه الانسانية . ويكاد يتناول الوجه الى جانب اوضاع الجذع ، فيجمع بين اللون في الملامح ، والحركة في الشكل والاتجاه . وفي الواقع فان الوجه الانساني ينطوي على ثروة تعبيرية لا تتناهي فيما اذا استطاعت ريشة حاسة ان تكشف وان تستق من لونها مغانها ورموزها .

ولقد كان الرسم الكلاسي مفرقا في اعتماده على الوجوه ، كما ان الرسم الحديث وجد في الوجه منطلقاً سخياً نحو فن رمزي يشف عن الابعاد المختلفة للشخصية الانسانية . وعندما استطاع الفن الحديث ان يضيف الوضع والحركة الى جانب ملامح الوجه ، وان يخضع اللوحة الى مختلف المسافات والانقذات الضوئية ، خطا خطوة عميقة نحو الجمع بين الانسان والظرف البيئي المحيط ، وبهذا فان انحناء الرأس الى طرف

دون آخر مع نظرة شبه جانبية ، مع تجميع للملامح الوجه في الاتجاه العام للعنق وليلة الجذع .. ان اية انحناء او عطفة او ايماءة لقادرة على اعطاء اللوحة الجو الذي كله .. جو بطل اللوحة ، وهو خلال سدرته او انفتاحه ، خلال تآزمه او انفراجه .. خلال فكرته .. هذه التي ليست بفكرة تماماً ، وانما هي معنى وجودي مظلل دائماً غير مفصوح .

الثقافة الإنسانية وفلسفة التربية في الشرق والغرب

مباشرة دولية نظمتها الأونسكو

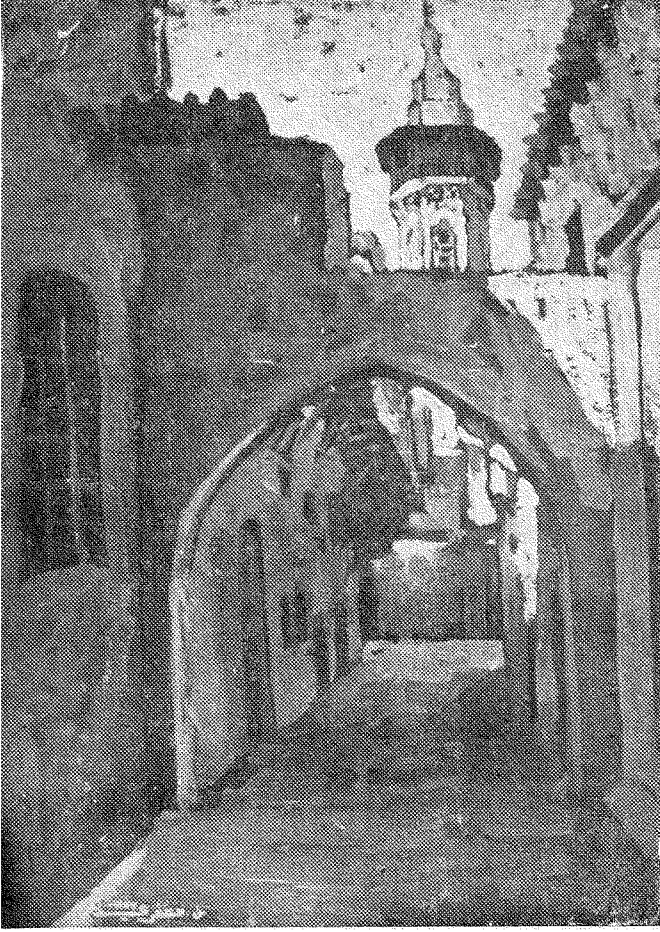
نقلها الى العربية الاستاذ انطون خوري المحامي

اقرأ في هذا الكتاب اوسع مناظرة ، بين فلاسفة العالم الكبار حول المثل الانسانية العليا في الشرق والغرب ، ونظرية التربية في الولايات المتحدة ، ومفهوم التقدم في فلسفة الهند وفي الفلسفة الغربية ، ووجهة النظر البوذية ، وتطور الثقافة اليابانية .

السعر ٣٥٠ ق . ل .

٣١٠

دار النشر للجامعيين



منظر - لناظم جعفري

صدي دائما ، انه اشد الناس وحدة ونقمة ، واشدهم بطولة ورحمة في وقت واحد .

ولكن هذه المباشرة الصارخة في اللون ، في الضوء ، في ازدحام باللون والضوء ، اخذت تستقر على نوع من الرزانة والتعمق والصبر . فعوضا من ان يقذف المتفرج بزخم الالوان ، على السطح المباشر لافسق الزاوية ، اصبح يدعى دعوة هيئة جذابة نحو المنظور الروحي اللسون نحو ما ورائية اللطخة المستقرة في مكانها الطبيعي من انظومة الحل المبدع لعل الفنان اهتدى الى مركز وجوده وهنه . . الى بؤرة اشعاعه . . وهي ان تكون الا من صميمه وذاته . . وليس من حسد زميل ، او جهل مجتمع او كفر مننوق . فليكن الفنان اذن ابن ثقته بموهبته ، ابن بطولته الخاصة التي يصنعها في صمنه وفلقه غير المفهوم من الآخرين ابدا وهذه هي شجاعة الفنان وبراءته ، شجاعته التي هي انتاجه الاول . ولعل فناننا الجعفري يحقق نموذج هذا لوحة بعد لوحة ، او ثقة بعد ثقة !

وبعد ماذا تفعل الالوان بالنسبة للتعبير ، الا ان تحقق فنية التعبير ذاته ، الا ان تمنح المعنى قدرة على الجمال نخوله الانبثاق في النفس والشعور قبل مجابهة العقل والمنطق . . هذا هو المثل الاعلى في الفن الذي يقدر جدارته . .

والفنان جعفري يكاد يعي هذا المثل في وجدانه الفني ولهذا فانسه دائب المحاولة في تحقيقه من لوحة الى لوحة ، ومن تخطيط دراسي الى آخر . فهو فنان وجوه ، وفنان وجوه نسائية بشكل اخص ، وفنان وجوه نسائية منطلقها الاول وجه أليف قريب منه دائما هو وجه شقيقته التي استأثرت بعدد كبير من لوحاته ، وفي كل لوحة يخلق الفنان الوجه مرة اخرى ولبعد جديد ولطائفة من الالوان والاجواء جديدة مبتكرة . وفي وجه الشقيقة نموذج الفنان عن كل وجه نسائي آخر . وهو في الحق سيما رشاقة وخصوصية غنية بالاحداث الفنية .

كانت ألوان الجعفري منذ سنين عاصفية عتيقة ، تنتقي الشدة والحرارة والصرامة . وتلحم في دوامة من الكثافة في التفاصيل ومنعكسات الالوان القوية على بعضها ، مع الاضواء المباشرة الفزيرة في ذات الوقت . ولعل هذا العنف كان تعبيرا عن عنف الصراع الداخلي الذي يكظمه الفنان في ذاته ضمن بيئة مبتدئة بالفن والحضارة معا . . . وهكذا ان اشنع ما يلقاه المبدع في مثل هذه البيئة هو انه لحن بدون



اختي - لناظم جعفري

أسرع السفريات من بغداد الى

القاهرة

البحرين

الكويت

البصرة

الموصل

طهران

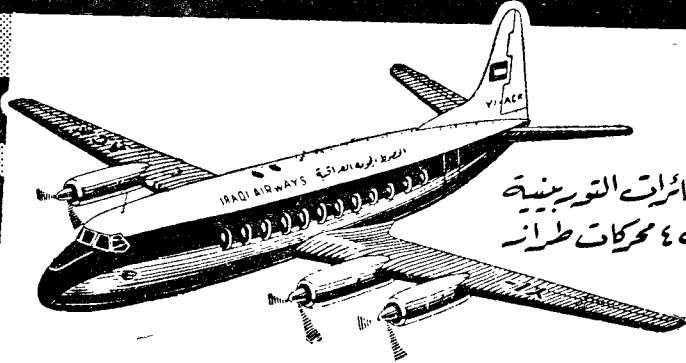
عبدان

استنبول

اوروبا

فيينا

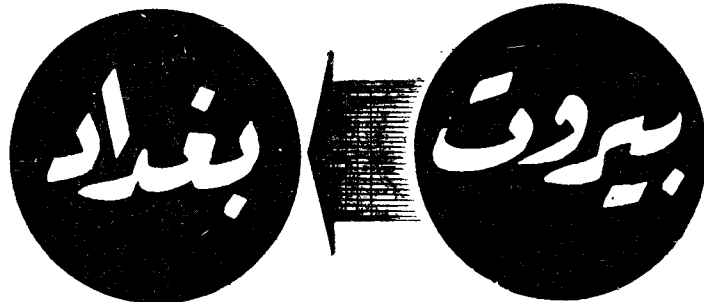
لندن



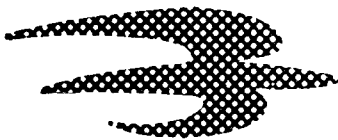
بالطائرات التوربينية
زات ٤ محركات طراز

فايكوت

مرجحة ومتسعة ومكيفه هواء وضغطاً - طيارين هادئين خال من الاهتزازات
على ارتفاع ٢٥ ألف قدم - سرعة ٣٢٠ ميلاً بالساعة - خدمة ممتازة وعناية فائقة



٥ رحلات كل اسبوع
ايام: الثلاثاء - الاربعاء - الجمعة - السبت - الاحد



الخطوط الجوية العراقية

عضو الاتحاد الدولي للنقل الجوي

لكافة الاستعلامات: الوكلاء العموميون - حتي افهوان - ساحة النجمة - تلفون ٢١٧٦٥ وعموم مكاتب السفر المعترف بها

النشاط الثقافي في الوطن العربي

سوريا

لرسل « الاداب » الخاص

جمعية ومجلة وكتب

ان الصعوبات التي تواجه فعالية الاديب واحدة تقريبا في الاقطار العربية ، وهي ان اختلفت احيانا فذلك راجع بالدرجة الاولى الى نوعية الظروف المحلية التي يترعرع ضمنها الادب وشؤونه .

ونوع هذه الظروف المحلية في سوريا يرجع الى نوعية الحياة التي يعيشها الاديب ذاته . انها حياة العزلة لا حياة المشاركة . ولا نفهم من هذه العزلة المصطلح التقليدي الدارج (البرج العاجي) ، ان عزلته ناشئة عن كونه بلا برج عاجي اصلا ، اي انه بلا شخصية ادبية . وذلك لان المجتمع الثقافي في سوريا لم يتبلر الى درجة يسمح فيها بظهور التجمع الادبي او الفني او أي تجمع آخر يقوم على اساس فردية الاختصاص ، ان صح التعبير . فما زال مدرس اللغة العربية مثلا يعتبر نفسه ادبيا ، وكذلك فعل الصحفي ، وكذلك المختص بالتاريخ او الجغرافية او موظف الدواوين ، او من شئت ممن يعنون تحت عنوان ثقافي ، وممن تاطر باطار شهادة ثقافية ترجع الى كلية الاداب بالمعنى الكلاسي اللاتيني . وهكذا اختلط على المجتمع امر الادب والادباء وامر الاستنارة والاساندة . وانها لالغاب تسيل على كل لسان مع اللعاب . حتى اذا سمحت الظروف بخروج اديب حقيقي ما استطاع هذا ان يجد له صفا حقيقيا يضم ذاته اليه ، وفضل دائما ان يكون من غير هذه الفئة من المعنويين بالادب والكتابة ، والتحدث حديث الثقافة والنقد والاطلاع على انتاج الدور والمكاتب . انه هكذا اشبه بالوحيد ، بدون جماعة ، بدون صالون من الحذقة والمتحدثين ، بدون صنف رسمي ، بدون اعتراف به من دولة او مؤسسة او مجتمع .

واعجب من هذا اننا اذا تصفحنا المجلات العربية ، وخاصة منها اللبنانية، لقرانا اسماء كثيرة من سوريا ولكن اذا سألنا سوريا عن ابنائها هؤلاء لبقينا بدون جواب . . ولعل الاصلاء يفضلون عدم الضجة فيركنون الى خلواتهم وحجرهم ومكتباتهم . ويخلو الجو لبروز المدعين والمتأدبين وذوي العناوين الرنانة .

واذا حدثت مناسبات نودي فيها على اصحاب الاقلام لم يلق الرسميون امامهم الا رسميين آخرين ليأتمروا في مؤتمرات وليمثلوا غير انفسهم - طبعا - ممن هم في عزلة عن شعبية الادب في المقاهي او النوادي الطبية - طبقة الثقافة المستحدثة - وقد يسمح لانفسهم بعض الشباب ممن لهم موهبة او ظنوا في انفسهم الموهبة ، فيقفزون الى الحلبة وينهبون مثلا الى مصر ليحتكروا امام مؤتمر الادباء الثالث ادب الشباب الطليعي في سوريا ولينهبوا وليرجعوا الى اقلامهم الفضة او الفجة كل فضل للكلمة وللرنة الفنية ، وهم اذا ذكروا مرة مكانتهم الحقيقية واضطروا الى الاشارة نحو اصلاء آخرين شغلهم جدهم

الحقيقي عن متابعة التمثيلية معهم هناك ، فانهم يشملونهم بنوع من العناء والابهام حتى يخيل اليهم انهم افقدوهم وجودهم حقا .

هذا كمثل راهن أسوقه من مؤتمر الادباء الثالث لا بين فيه عزلة الاديب الحقيقي الخيفة في سوريا . وكاملة قائمة عن ضياع شخصية الاديب في تلك الجمعيات والمنشآت الثقافية التي تؤلفها فئات محدودة من طبقة المثقفين . ان هذه الظاهرة تنبئ عن تشتت التبلر الفني او الادبي .

هنا المثقفون يدعون كل فن وادب حتى تتحد الشهادة بالموهبة المزيفة . وتصبح الشهادة ذاتها بدلا عن موهبة او ميل صحيح ، ويلعب طبعا المركز الاجتماعي ، النابع غالبا عن المركز الوظيفي الرسمي ، الدور الاول في التقييم . وتحل الحاضرة العابرة محل الكتاب ، ومنندى المثقفين عن جمعية المتأدبين ، والمقالة المنزوية في جريدة عن مجلة .

كل هذا شعر به الواعون حقا من المثقفين والادباء حقا من المتأدبين ، وجاء المؤتمر الثالث ليكشف هذا الشعور ويحيله الى انذار حاسم في نفوسهم . فالادب لا بد له من جمعية حقيقية ، لا بد له من مجلة محلية ، لا بد له من نشاط منظم اجتماعي ، وبالتالي من حماية ضد الزيف والادعاء والاهمال .

ان اعمق تأثير وصدى للمؤتمر الثالث هو هذه الحقيقة : لا بد للادب من كيان !

جمعية الادباء العرب في سوريا

ولهذا فقد تنادى فريق من الادباء لبناء الشخصية الاجتماعية للادب ، وتاليف الجمعية القظرية التي اوصى بها المؤتمر الثاني والثالث . ومن المتوقع ان تبرز هذه الجمعية الى الوجود خلال الشهر الحالي . ويشعر المعنويون بامرهم ان اهداف مثل هذه الجمعية لا بد ان تكون كثيرة وخطيرة . فهي تواجه اولا مشكلة حيوية بالنسبة لتطور الوعي الاجتماعي وانفتاحه نحو عقيدة القومية العربية ومطالبة الجيل المبدع بتحقيق النماذج الفنية عن الاتصال الصميمي بين واقعية القومية العربية والفن . وكما ان القومية العربية هي عقيدة الامة وفكرتها المثلى عن صيانتها وطريقتها في الوجود ، كذلك فان الادب يطالب ذاته بشكل مطلق ان يكون نابعا من هذه العقيدة ، صافي الشكل واضح المضمون دون لبس او تداخل بعقائد اخرى غريبة .

والجمعية مطالبة كذلك بتحقيق الانسجام بين الادباء دون القضاء على مميزاتهم الشخصية في افكارهم واتجاههم ، وهي لا يمكن ان تضعهم الا تلقاء الزامهم الذاتي وليس الخارجي عنهم . كما انها لا بد لها من ان تصطلح على مقاييس الجدارة الابداعية التي تجعل انسانا ادبيا مشروعا وانسانا ليس بأديب . وهي ايضا عليها ان تعي قيمتها الاجتماعية ودورها في التعجيل بتطور انساننا نحو انسان الكرامة والحرية والوعي .

ومقابل ذلك فلا بد ايضا من ان تقيم حول الاديب جميع شروط الحماية والاعتبار ، وان تسعى لدفعه الى اقصاها ، في وقت حملت فيه الكلمة الكبيرة اصغح الاكاذيب وخطر الاضاليل .

النشاط الثقافي في الوطن العربي

واخيرا .. مجلة من سوريا

الحياتي المرتبط بوقائع وجود الشاعر ذاته . ومثل هذا الديوان يشكل ظاهرة خاصة به في ايامنا .. وقد كادت فيها ان تلتبس علينا قيم الشعر الحقيقي . ولا بد من دراسة مستقلة عنه .

وصدر اخيرا كتاب الاستاذ سعد صائب (مع الفجر العربي) وهو جملة من المقالات القومية التي تدرس دائما منازع الواقع العربي نحو الوحدة والحرية وتؤكد حقيقة هذه الیقظة الرائعة التي تعيشها امتنا . واجمل ما يطف في هذا الكتاب اسلوبه المنساب وهو يقودك بين اللوحة الفكرية السريعة ، والوحدة العاطفية النبيلة ، والصورة التاريخية والمثل الواقعي .. كانه في حديث مستمر بين مجمع من الاصدقاء ، هذا الحديث الحلو الذي يتقنه الاستاذ سعد في محافله . وهو اسلوب يجعل الكتاب في متناول العدد الاكبر من القراء لسهولة وسره وطلاوة اسلوبه وبدانة افكاره .

٠ ص ٠ م

المغرب العربي

لرسل « الاداب » في مراكش

آلة جديدة للطباعة العربية

الاستاذ محمد الاخضر من انشط رجال الفكر العاملين في صمت . وهو يشغل الان منصب رئيس مصلحة التربية الاساسية بوزارة التهذيب الوطني بالمغرب . ويبدل مجهودات جبارة في ميدان محاربة الامية وتعميم التربية الاساسية في المغرب . وقد كانت آلة الطباعة العربية الموجودة الان من العوائق التي تقف دون تنفيذ برامجه . فهو عندما يحاول طبع

كألاء الذي يحفّت تحت دهب الشمس ..
هكذا تتخر من المكتبات ألوف الشخ
من كتاب :

فبيسنا حبل

لكتاب القصة الكبير
إحسان عبد القدوس

أمام إقبال القراء الحماسي الرائع !

(طباعة فاخرة)

٦٠٠ صفحة

٦٠٠ ق. د. ب

توزيع : المكتب التجاري - بيروت

ان قصة عدم وجود مجلة ادبية ذات قيمة في سوريا قد يجهلها العدد الاكبر من المشتغلين بالكتابة والقراءة في بلادنا .. ولطالما رسمت اشارات الاستفهام والتعجب لدى امثال هؤلاء في الاقطار العربية: لماذا لا تخرج من سورية مجلة ادبية واحدة ..

ان الجواب كان دائما يختفي في اضابير مئات من طلبات المجلات تكس في مستودعات مديرية الدعاية والانباء ..

ولكن لا بد لهذا الفموض اخيرا من ان ينكشف فاما ان تكون سورية عقيمة من الادب والادباء ، ومن القراء والخواص .. وهذا ما ينقضه الواقع وتشهد ضده الاسماء الادبية اللمعة الكثيرة التي تزحم بعضها في المجلات العربية ، واما ان تكون هناك عقبات كأداء تقام في وجه كل محاولة جدية للم شعث الادب ..

غير ان محاولة اخيرة ينتظر لها النجاح ستنتهي باخراج مجلة ، يؤكد صاحبها انها ستكون لسان حال الجمعية التي تتألف الان . وهي ان نجحت حقا ، فان يقينا جديدا سيولد في نفوسنا بان سوريا بدأت حقا بتحقيق استقلالها الداخلي كما حققته خارجيا .

كتب من محصول العام

فضلا عن التغذية المستمرة التي يمارسها ادباء عرب من سوريا لمجلات شقيقنا لبنان ، فان عسر المطابع وعقمها في انتاج كتب غير الكتب المدرسية قد يتحطم لمرات نادرة وولد عن كتاب او اثنين او ثلاثة في الادب او الفكر . ومن ابرز هذه الكتب (العقيدة العربية في لسانها) للمفكر القومي الكبير الاستاذ زكي الارسوزي . وهو كتاب يعتبر فتحا في تقليل فلسفة القومية العربية ، التي كان الارسوزي السباق اليها عملا مناصلا وتفكيريا خلاقا . وينطوي هذا الكتاب على كشف اصيل حاسم يصحح منطلقا لكل فلسفة عربية حقيقية ، في وقت التيس الامر فيه على كتاب العربية ومفكرها : من اين يجدون المضمون الفكري للمشاعر القومية ، وما هي الينابيع الاصلية للقومية العربية .. لقد عثر عليها الاستاذ في اللغة العربية ذاتها ، فبرهن على ان الكلمات العربية ليست مصطلحات بل هي تجسيد موسيقي لصور حسية انبثقت في خيال العربي لتوضيح معنى فاضت به نفسه واشرق به ذكاؤه ، واذا استطاع مفكر ان يرتفع الى مستوى النفسية العربية الكامنة وراء التعابير وأن يتقمص روح مبدعها وأن يلقي ما بوجوده من حقيقة عليها ، فانه لا بد كاشف نظرة العربي الاصيل الى الوجود والحياة ، وواجد المثل الحية التي كانت تحرك خياله وتطبع حياته بالبطولة والتمرد والفرح والشباب .

كتاب لا يمكن هنا الا تشير الى اهميته دون ان يسمح لنا المجال بنقده ودرسه وان كنا سننفل ذلك في فسخة اخرى .

وكتاب آخر طبع ثلاث او اربع مرات خلال اشهر ، انه ديوان الجواهري الذي اقام بسوريا لمدة طويلة ، وهو شاعر فحل من عرب العراق .

ان هذا الديوان على ما لقي من التشجيع والتعجيد لم يبلغ حقا درجة وعي مميزات فحواه الشعري . وكلمة مختصرة لقد جمع الجواهري فحولة الشعر العربي والموسيقى الحديثة والمضمون النصالي والصدق

النشاط الثقافي في الوطن العربي

والان وقد تأسست الجامعة العربية المصرية الملائمة لتطورات العصر، يحق لنا ان نتساءل عن مصير كلية القرويين . هذه الكلية التي هربت وشاخت وما تزال تعيش في عصر الشنفري ! بينما العالم يعيش في عصر السبوتنيك !

ابتداء الموسم المسرحي

استهلّت الفرقة الوطنية المغربية موسمها المسرحي هذه السنة ، بمسرحية عمانويل روبلس « مونسييرا » او « ثمن الحرية » التي ترجمها الى العربية الدكتور سهيل ادريس . . وقام باخراجها اخراجا متقنا الفنان الشاب ابراهيم بوطبول . هذا الفنان الذي برهن عن مقدرة فذة . واستطاع ان يؤلف الفرقة الوطنية من عناصر طيبة امدته بها وزارة التهذيب الوطني . امثال احمد العليج ، والغسيمي ، وعفيفي . وغير هؤلاء ، ممن سبق لهم ان شاركوا في المسرحية الدولية التي اقيمت في باريس اواخر سنة ١٩٥٥ فشفروا وجه المغرب بما نالوه من اعجاب الاوساط الفنية العالمية .

وقد كان اقبال الجمهور على مسرحية « ثمن الحرية » منقطع النظير . وزاده رونقا الرئاسة الفعلية لسمو ولي العهد المحبوب . وحضور رجل اعضاء الحكومة المغربية . وكانت براعة الممثلين متناهية . كنت المصحح الديموع تترقق في عين النظارة ، عند محاورة ازيكاردو للضحايا الستة . وعندما جاء دور « الممثل » وكان يقوم به الفنان المقتدر احمد العليج بلغت الرواية حدا من الروعة ، جعل البعض يتساءل هل حقا ان امثال هؤلاء الفنانين المبدعين يوجد في المغرب ؟!

حقا لقد كانت سهرة ممتعة ، نتمنى ان تتمتع بها كافة مدن المغرب . وقد اتصلت ببعض افراد الفرقة ، فلمست فيهم روحا فنية خالصة توافقه الى العمل بجهد ونشاط ، واخبروني انهم سيقومون بجولات في الخارج ، بعد زيارة اهم المدن المغربية . وسيزورون الاقطار العربية الشقيقة وفي مقدمتها لبنان .

كتاب النقد الذاتي باللغة الانجليزية

لست في حاجة الى تقديم كتاب « النقد الذاتي » للاستاذ غلال الغاسي الذي اصدره سنة ١٩٥٢ عندما كان مقيما بالقاهرة ، بقود معركة الحرية في الداخل والخارج .

وقد استقبل « النقد الذاتي » اثناء صدوره بعاصفة من التقدير والاعجاب ما زال صداها يرن في بعض الجامعات الادبية والفكرية في الوطن العربي . ولا عجب فكتاب الاستاذ غلال ثورة فكرية مبنية على اصول منطقية ، وقد عالج فيه بروح المسلم الحي كل مشاكلنا الاجتماعية ، وعرض حلولها ، وقارن ما بين هذه المشاكل عندنا ، وكيفية معالجتها ، ثم بين هذه المشاكل نفسها وكيف عالجتها امم اخرى .

هذا ، والكتاب القيم ، ترجمه الى الفرنسية الاستاذ عبد الكبير الغاسي وستصدر عما قريب ترجمته الانجليزية في حلة قشبية . وبقلوب احد كبار المستشرقين الانجليز .

ادريس ابن جلون

فاس المغرب

كتاب عربي مشكول يجد نفسه في حاجة الى استعمال ٤٧٥ من الحروف الناتئة اما اذا حاول استعمال الحروف غير الناتئة فليتكلم على الله وليستعمل ٨٠٠ حرف . وليكن ملمسه ذا (١٣٦) لمسة . وليس يخفى ما يتطلبه هذا العمل المضني من مجهودات ومصروفات ، وقد التفت نحو آلات الطباعة غير العربية فاذا بها لا تكلف الا قليلا من الجهد ، لذلك صمم على تذليل هذه العقبة الكداء . وبعزمته القوية استطاع ان يجعل بين يدي القارئ العربي آلة جديدة قليلة المصاريف ، من غير ان يحدث أي تغيير في اشكال الحروف العربية . اللهم الا ما كان من ثلاثة احرف ، وقد عقد معالي وزير التهذيب الوطني ندوة صحافية تحدث فيها عن مزايا هذا الابتكار الجديد الذي قام بانجازه الاستاذ محمد الاخضر خدمة للغة العرب في مختلف اقطار العالم . وقد لخص الاستاذ الفاسي مزايا هذا الابتكار ، فقال :

(١) في المطابع : سيكتفى في طبع النصوص العربية مع جميع اشكالها وحركاتها بـ ٦٧ حرفا فقط بدل ٤٧٥ حرفا من الحروف الناتئة وأصبح في الاستطاعة تحويل آلات الطبع بالحروف اللاتينية الى آلات مطبعية عربية بدون زيادة في الثمن ولا التخلي عن احدى مزاياها السابقة . (٢) عن الآلات الكاتبة : ان آلة الاستاذ محمد الاخضر الجديدة ستتيح للناس استعمال الآلات اليدوية بأصغر حجمها . والآلات الكهربائية بشتى انواعها بلا فرق بينها وبين الآلات الأوروبية الا في جعل « العربية » تنتقل من الشمال الى اليمين .

تري هل استطاع الاستاذ الاخضر ان يحل مشكلة الطباعة العربية التي كانت وما تزال حجر عثرة في سبيل نشر الثقافة العربية بما يتطلبه عصر السرعة . عصر السبوتنيك ؟ ذلك ما سيعرفه العالم عندما تعم آلة الاستاذ الاخضر كافة الانحاء . ويكفي ان نعلم ان قراءة حروفها لا يتطلب من القارئ الا اقل جهد بفضل توحيد اشكال الحروف واتخاذها شكلا واحدا مهما كان موقع الحرف من الكلمة . وبذلك يتيسر للجماهير الشعبية التي لم تطلع على كتب « سبويه » ان تقرأ كافة المطبوعات ما دامت ستكون واضحة مشكولة . وأن تتلقى ألوان المعرفة التي يروج بها العصر الحديث . وقد علمنا ان هذه الآلة ستعرض على اعضاء الوفود العربية التي ستشارك في مؤتمر اليونسكو الاقليمي الذي سينعقد بفاس في هذا الشهر .

ميلاد الجامعة المغربية

بعد سلسلة المشاريع الانشائية التي قامت بها الحكومة الوطنية ، ها هي تتوج هذه الجهود بإبراز فكرة الجامعة المغربية الى حيز الوجود . هذه الفكرة التي كان بعضهم يعتقدوها حلما لن يتحقق . ولكن جهود العاملين تكافست وأبرزتها في حلة قشبية . واذا كانت لا تتألف الا من : كلية الاداب وكلية العلوم وكلية الحقوق ، فلن يمر وقت قصير حتى تتسع أرجاؤها لنضم مختلف ألوان المعرفة . وبذلك لن يكون طلبتنا في حاجة الى الهجرة لانمام دراستهم . الشيء الذي يحملهم مشاق الغربة ويكلف الدولة في نفس الوقت مصاريف باهظة .

فهرست

العدد الثاني - شباط (فبراير) - السنة السادسة

- | | |
|---|---|
| ٥٢ « قرية ظالمة » يوسف الشاروني | ١ العربي الانسان الدكتور عبدالله عبد الدائم |
| ٥٥ « معجم البلدان » عبد العزيز سيد الاهل | ٤ في الشؤون العربية |
| ٥٧ العيد للجميع (قصة) علي بدور | ٤ في مؤتمر التضامن الافريقي (الاسيوي) |
| ٥٩ الساقى (قصيدة) زكي قنصل | ٦ العروض والشعر الحر نازك الملائكة |
| ٦٠ النقد والشعر العراقي الحديث عبد الجبار داود البصري | ٨ اغنية انتصار لطروادة (قصيدة) يوسف الخطيب |
| ٦٥ فقدت ابنتي (قصيدة) ابراهيم محمد نجا | ٩ تيارات الادب في مصر المعاصرة الدكتور محمد مندور |
| ٦٧ مفامرة (قصة) ادكار سركيس | ١٢ مكسيم غوركي سلامة موسى |
| مناقشات | |
| ٦٩ من وحي مؤتمر الادباء عبداللطيف مصطفى السحرتي | ١٧ التكيف الحضاري والفكر العربي المعاصر الدكتور محيي الدين صابر |
| ٧١ في مؤتمر الادباء العرب الثالث توفيق صرداوي | ٢٢ ضرورة ثقافية عاجلة رجاء النقاش |
| ٧٥ حول قصة « دم ومرجان » سليمان ملوك | ٢٥ رسالة من سجين جزائري الجنيد خليفة |
| ٧٩ انتيسا (قصة) بقلم م. لاكرياي | ٢٧ رأي في كتابة تاريخنا ذوقان قرقوط |
| ترجمة نقولا الطويل | ٣٠ توحيد (قصيدة) مجاهد عبد المنعم مجاهد |
| قرأت العدد الماضي من الآداب | |
| ٨١ الابحاث سامي الدروبي | ٣٢ الانسان المأساة في شعر نزار قباني |
| الفنون العربية في شهر | |
| ٨٥ معارض وجوائز « م. ص » | ٣٨ العذريون والتصوف احسان الملائكة |
| النشاط الثقافي في الوطن العربي | |
| ٩٢ سوريا جمعية ومجلة وكتب | ٤٠ المحروم (قصيدة) ملك عبد العزيز |
| ٩٤ المغرب العربي | ٤١ الشيخ حداد (قصة) عثمان سعدي |
| آلة جديدة للطباعة العربية - ميلاد الجامعة المغربية - بدء الموسم المسرحي - كتاب « النقد الذاتي » باللغة الانكليزية | ٤٤ الخوف (قصيدة) حسن فتح الباب |
| | ٤٥ المدنية سراياها وبقينها شريف الراس |
| التنتاج الجديد | |
| | ٤٩ « في ازمة الثقافة المصرية » الدكتور سهيل ادريس |
| | ٥٠ « حضارة في طريق الزوال » محمد وهبي |

الرواية الإنسانية الرائعة التي نالت

جائزة نوبل للآداب ١٩٥٧

الطاعون

للكاتب الفرنسي الكبير : البير كامو

نقلها عن الفرنسية

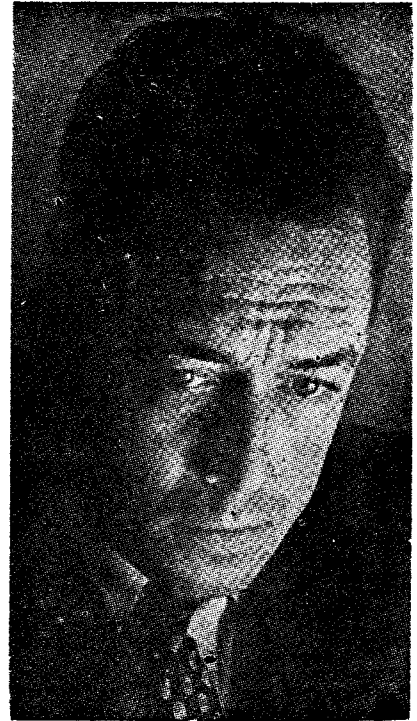
الدكتور سيميل ديش

« الطاعون » هي الرواية التي تصور اصدق تصوير
الفظائع العنيفة التي عرفتھا ارض الجزائر في حربها المقدسة
من أجل خلاصها وحریتھا .

وهي أجمل ما كتب كامو في رأي نقاد الادب
ومؤرخيه .

وهي مترجمة باذن خاص من المؤلف الكبير .

اخراج رائع وطباعة انيقة ممتازة
اصدار المنشورات العربية
تطلب من المكتبة الشرقية - بيروت





مؤسسة المطبوعات الحديثة



يوسف مشافة وشركاه

كتب توزعها المؤسسة

من مطبوعات : دار المعارف بمصر - دار بيروت - دار صادر - دار المكشوف

غ.ل.	غ.ل.
٢٠٠	٢٠٠
حركة الترجمة في مصر خلال القرن التاسع	اللغة والمجتمع
لجالة تاجر	لعلي عبد الواحد وافي
٢٠٠	٥٠٠
الشعر والفنون الجميلة	الصناعتين
لابراهيم العريض	لابي هلال العسكري
٦٠٠	٥٠٠
المختار	فقه اللغة
لعبد العزيز البشري	لعلي عبد الواحد وافي
٣٠٠	٢٥٠
حديث عيسى بن هشام	رباعيات عمر الخيام
لمحمد المويلحي	ترجمة وديع البستاني
٥٠٠	٢٥٠
جمع الجواهر في الملح والنوادر	حواء الملهمة
للحصري	لمحمد علي الحوماني
٢٥٠	٣٠٠
الغزل عند العرب	الطائر الجريح
لحسن ابو رحاب	لابراهيم ناجي
١٥٠	٢٠٠
ابو العتاهية	ابو الشوارب
لمحمد احمد برانق	لمحمود تيمور
١٠٠	٨٠٠
القصص الحيواني وكتاب كلية ودمنة	المفضليات
لمحمد عبد القادر	للمفضل الضبي
٢٥٠	٢٠٠
جنة الشوك	ابراهيم الثاني
لطلح حسين	لابراهيم عبد القادر المازني
٢٠٠	٢٠٠
كرم على درب	شجرة الدر
لميخائيل نعيمة	لمحمد سعيد العريان
٣٠٠	٤٥٠
صوت العالم	سيرة شجاع
لميخائيل نعيمة	لعللى احمد باكثير
١٥٠	١٠٠
مجمع الاحياء	فاتنة الحي
لعباس محمود العقاد	لشكري عابدين
١٥٠	
رجعة فرعون	
لبنت الشاطيء	

مؤسسة المطبوعات الحديثة

مركز الشرق العربي بيروت

بناية العسيلي - ساحة رياض الصلح ص.ب ٢٦٧٦

توكيلات في مختلف الاقطار العربية